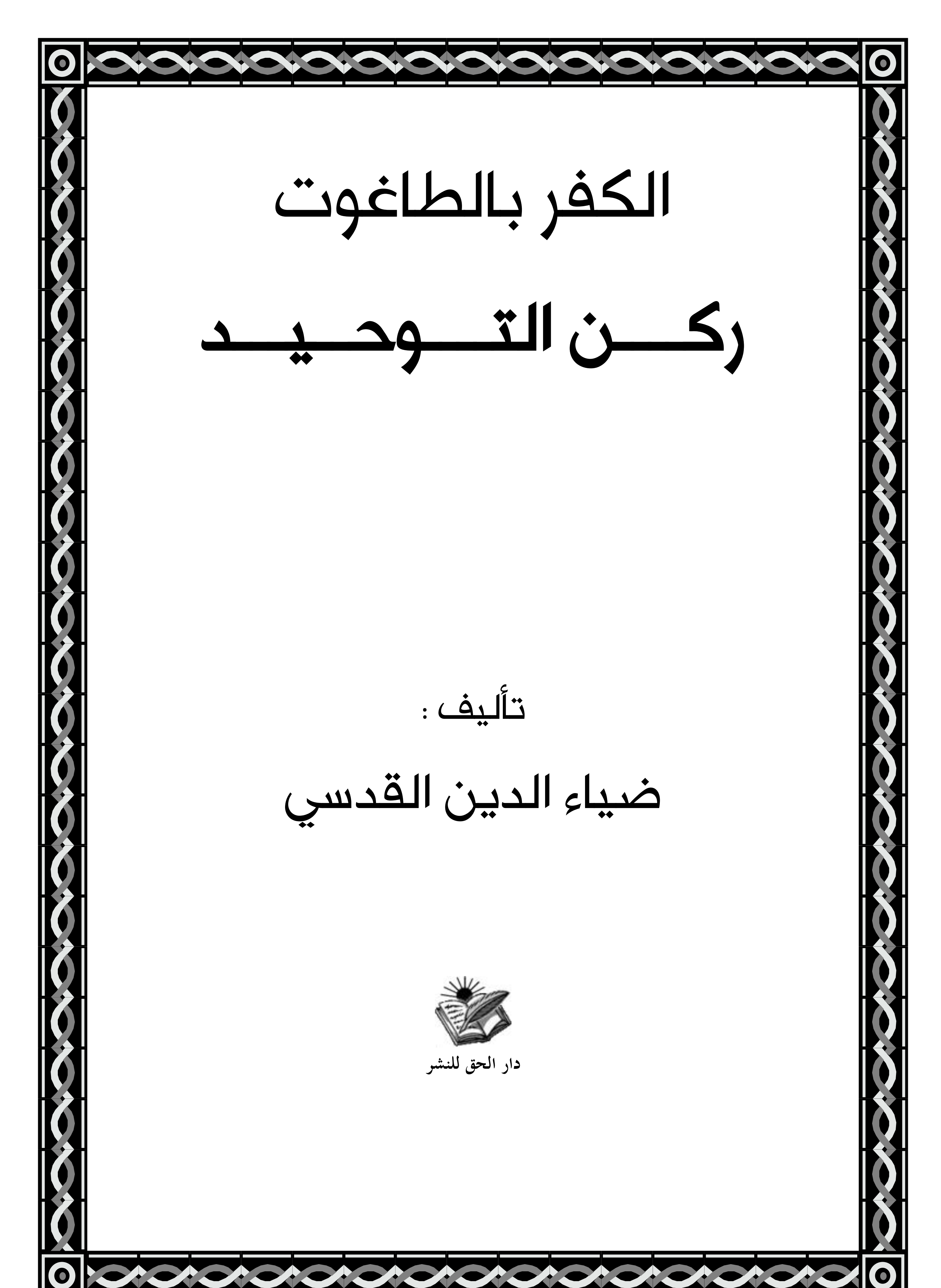


الكفر بالطاغوت

ركـــن التـــوحـيـــد

تأليف :

ضياء الدين القدسي

دار الحق للنشر

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنْ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلا أُوْلَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلا النَّارَ وَلا يُكَلِّمُهُمْ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۞ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوْا الضَّلالَةَ بِالْهُدَى وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ ﴾

اللهم ها قد بينا... ها قد بينا... فلا صبر لنا على النار.

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: 102] **﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَتَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾**[النساء: 1] **﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلا سَدِيدًا . يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾** [سورة الأحزاب : 70-71].

أما بعد :

فإن أصدق الحديث كتاب الله ، وخير الهدي هدي محمد ﷺ ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار .

إن الغاية من وجود الإنسان ، بل والخلق كله ، عبادة الله تعالى وحده لا شريك له .

كما قال تعالى : **﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ﴾** [سورة الذاريات : 56] وقال تعالى : **﴿ وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ﴾** [سورة البينة : 5] وقال تعالى : **﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾** [سورة الروم: 30]

وفي الحديث فقد صح عن النبي ﷺ أنه قال : **"كل مولود يولد على الفطرة .."** [1].

وفي الحديث القدسي : " **إني خلقت عبادي حنفاء كلهم** (أي مسلمين موحدين خالين من الشرك) **وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم ، وحرمت عليهم ما أحللت لهم ، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانا** "[2].

---

[1] **رواه مسلم.**

[2] **رواه مسلم**

فشياطين الإنس والجن عملت منذ القدم – ولا تزال – على صرف الناس عن التوحيد الخالص ، وتأمرهم بعبادة غير الله عز وجل. فهي تارة تزين لهم عبادة غير الله عز وجل بالركوع والسجود، فإن لم تفلح تزين لهم عبادة غيره تعالى بالاستغاثة والدعاء والطلب ، فإن لم تفلح تزين لهم الإشراك عن طريق التوكل والإنابة والخشية ، فإن لم تفلح تزين لهم الإشراك والعبودية لغير الله تعالى عن طريق الطاعة والاتباع والانقياد ، فإن لم تفلح زينت لهم العبودية لغير الله تعالى عن طريق التحاكم والتحليل والتحريم ...

وهذا هو المراد من قوله تعالى في الحديث القدسي : (**إني خلقت عبادي حنفاء كلهم و إنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم ، وحرمت عليهم ما أحللت لهم ، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانا**) [1].

لذلك أرسل الله تعالى الرسل – حسما للحجج والأعذار – مبشرين أهل التوحيد الخالص ، ومنذرين أهل الكفر والشرك ، داعين إلى عبادة الله وحده ، والكفر بكل ما يعبد سواه أيا كان نوع المعبود وصفته وحاله .

كما قال تعالى : ﴿ **وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنْ اُعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ** ﴾ [النحل: 36] وقال تعالى : ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلا أَنَا فَاعْبُدُونِ** ﴾ [الأنبياء: 25] وقال تعالى : ﴿ **وَمَا أُمِرُوا إِلا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لا إِلَهَ إِلا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ** ﴾ [التوبة : 31]

فقضية توحيد الله في العبودية والكفر بالطاغوت ، كانت الهم الأكبر ، والغاية العظمى للأنبياء والرسل ، لا يصرفهم عنها صارف ، ولا يشغلهم عنها شاغل ، ولم تكن تقبل عندهم المساومة ، أو يرضوا فيها أنصاف الحلول ، فإما استسلام وعبودية مطلقة لله تعالى وحده ، وهو الإيمان ، أو عبودية للطاغوت – ولو في جانب من جوانب العبادة – فهو الكفر والشرك ، والخروج من دائرة الدين الحق إلى دين الطاغوت .

لذا كان لأجلها تُسل السيوف ، وتبعث البعوث ، وتجهز الجيوش، وعليها يعقد الولاء والبراء . ويعلن الحرب والسلم ، وفي سبيلها تبذل المهج والأرواح ، ويرخص كل غال ونفيس .

فإنها بحق ، قضية لا بد من أن تحسم أولا ، وبوضوح وصراحة، مع الطواغيت كل الطواغيت : من المعبود بحق في الوجود ، هم أم الله الواحد القهار ؟

فهي مسألة — عندنا — لا يمكن تجاوزها ولو استغرق ذلك الدهر كله ، أو الانشغال عنها بأي مسألة مهما عظمت أهميتها ، قبل أن تعطى عليها إجابة صريحة صادقة من الناس كل الناس ... .

من المعبود بحق في الوجود ...؟

---

[1] **رواه مسلم.**

ومما يؤسف له أننا نلحظ كثيراً ممن يعملون في حقل الدعوة والوعظ والإرشاد – رهبة أو رغبة – قد تجاوزوا هذه القضية الهامة قبل أن تحسم مع القوم ، بل قبل أن تفاتح معهم ، وانشغلوا عنها بالفروع ، والرقائق ، والفقهيات ، وبما لا يترتب عليه تبعات من قبل الطواغيت... !

وهؤلاء أنَّى لجهودهم أن تثمر في نفوس الناس ،وقد تجاهلوا أصل الأصول الذي لا يمكن أن يُرفع بناء من دونه ، وهم – في عملهم هذا – مثلهم مثل من يريد غرس شجرة ممتدة الجذور والفروع ، فيبدأ يغرس الغصون والفروع متجاهلا الجذور والأصول التي من دونها لا يثبت شجر ولا ينبت ثمر ... !

و الهدف العام لهذا الكتاب ، هو إرشاد العباد إلى عبادة الله وحده، وتحذيرهم من عبادة الطواغيت – وقد تنوعت وتعددت وعلت فتنتها على البلاد والعباد – التي تدعي الألوهية من دون الله تعالى ، والتي تعمل ليل نهار على تعبيد العباد لذواتها ولو في أوجه دون أوجه من العبادة .

أسأل الله تعالى القبول ، والتوفيق ، والسداد ، والثبات ، وحسن الختام ، إنه تعالى سميع قريب مجيب .

اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل ، فاطر السماوات والأرض، عالم الغيب والشهادة ، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون ، اهدنا لما اختلف فيه من الحق بإذنك ، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم.

و صلى الله على محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم.

مفاهيم بين يدي البحث

لكي يدرك المرء حقيقة موقفه من عبادة الله ، وفي أي دين هو ، ومن مألوهه المطاع : الله أم الطاغوت ، أرى أنه لا بد من تناول المفاهيم التالية كتمهيد ضروري للبحث ، وهي :

العبادة ، الدين ، الإله ، الطاغوت .

و بخاصة أن هذه المفاهيم والمصطلحات قد اعترتها كثير من الشروحات والتفسيرات الخاطئة التي شوهت حقيقة معانيها في أذهان الناس ، وبالتالي فهم إذا ما خوطبوا بها حملوها على غير محملها الشرعي الصحيح ، مما جعلهم أن يقعوا في المحظور ، وأن يكونوا طعما سهلا للشباك التي ينصبها لهم الطواغيت .

1- العبادة :

العبادة لغة : تعني التذلل والخضوع والطاعة والدينونة ، ومنه الطريق المعبد إذا كان مذلل بكثرة الوطء [1].

وشرعا : فهي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة[2]، ويتضمن ذلك كمال الخضوع والطاعة والانقياد مع كمال الحب لله تعالى .

وإفراد الله بالعبادة يقتضي إفراده بأركان العبادة الثلاث :

النسك .. التشريع .. الولاية أي :

إفراد الله بالنسك أو الشعائر التعبدية ...

إفراد الله بالحكم والتشريع ...

إفراد الله بالولاية ...

فمن أتى بالطاعة والانقياد من غير حب لله تعالى فهو منافق مبغض ، ومن زعم حب الله تعالى من غير طاعة ولا انقياد لظاهر الشريعة فهو زنديق كذاب ، كما قال تعالى : **﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمْ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾** [آل عمران : 31]

قال ابن كثير : " هذه الآية حاكمة على كل من ادعى محبة الله وليس هو على الطريقة المحمدية فإنه كاذب في دعواه في نفس الأمر حتى يتبع الشرع المحمدي والدين النبوي في جميع أقواله وأفعاله " [3].

---

[1] **انظر لسان العرب، والقاموس المحيط.**

[2] **العبودية ، لابن تيمية.**

[3] **التفسير : 366/1.**

ومما تقدم يعلم أن العبادة شاملة لجميع جوانب ومجالات الحياة الإنسانية ، فأي قول أو عمل أو اعتقاد يرضي الله تعالى ويتقرب به إليه فهو داخل في مسمى العبادة والعبادة تطاله وتشمله .

وبالتالي فإن العبد عندما يُطالب بعبادة الله تعالى وحده ، فهو يراد منه هذا المعنى العام لمعنى العبادة : عبادته تعالى وحده في الركوع والسجود والخضوع ، وعبادته في الصوم والحج والنذر والنسك ، وعبادته في الحب والكره ، والجهاد والتضحية ، والخشية والتوكل ، وفي الدعاء والإنابة والرجاء ، وفي الطاعة والانقياد والاتباع والحكم والتحاكم ، وغيرها من الأمور الواجبة والمستحبة شرعا .

ولا أدل على ذلك من قوله تعالى : **﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلا لِيَعْبُدُونِ﴾** [الذاريات: 56]

قال ابن القيم :

" أخبر سبحانه أنه إنما خلقهم للعبادة ، وكذلك إنما أرسل إليهم رسله وأنزل عليهم كتبه ليعبدوه فالعبادة هي الغاية التي خلقوا لها "[1].

وكذلك قوله تعالى : **﴿ قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَاي وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾** [الأنعام: 162- 163]

قال ابن الجوزي :

" مقصود الآية أنه أخبرهم أن أفعالي وأحوالي لله وحده ، لا لغيره كما تشركون أنتم به " [2].

فكما أن النسك والشعائر التعبدية لله وحده ، كذلك بقية الحياة وما يعتريها من أحوال وتقلبات ومواقف فهي كلها لله تعالى وحده ، حتى الممات يجب أن يكون لله وفي الله وليس للوطن أو لأوثان نصبت في زماننا – فتنت الناس عن دينها – ما أنزل الله بها من سلطان .

ومن الأدلة كذلك على شمولية العبادة في الإسلام وأنها أعم من النسك والشعائر ، قوله تعالى : **﴿وَمَا أُمِرُوا إِلا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾** [البينة: 5]

فالأمر بالعبادة هنا جاء عاما شاملا لجميع جوانب العبادة ومجالاتها ، ثم خص الله تعالى بالذكر من مجالات العبادة الصلاة والزكاة لبيان أهميتهما في الإسلام .

نحو ذلك قوله ﷺ : **" بني الإسلام على خمس ، على أن يعبد الله ويكفر بما دونه ، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وحج البيت وصوم رمضان"** [3].

فالأمر بالصلاة والزكاة وحج البيت وصوم رمضان ليس تكرارا للأمر بعبادة الله تعالى ، وإنما هي تخصيص هذه الفرائض من عموم يشمل جميع مجالات العبادة وعلى رأسها التوحيد .

---

[1] **بدائع التفسير ، لابن القيم : 248/4.**

[2] **زاد المسير : 161/3.**

[3] **رواه مسلم .**

و غيرها كثير من الأدلة التي تدل على أن العبادة في الإسلام أشمل وأعم من أن تحصر في المناسك والشعائر التعبدية وحسب .

و لكن مع مرور الزمن على حملات التضليل والتجهيل – المكثفة والمستمرة – بحقيقة هذا الدين ، التي تنهض بها العلمانية الكافرة من جهة ، وأعوان الطواغيت من المشايخ المأجورين المنتفعين التي تنفخهم الأنظمة الطاغوتية بإعطائهم صفة العلامة والعالم ، لتضليل الناس وإسباغ الشرعية للأنظمة الطاغوتية الحاكمة ، مما أدى إلى تشويه وانحسار كثير من المفاهيم الشرعية عن مدلولها الشرعي الصحيح ، من تلك المفاهيم – التي طالتها أيدي التضليل والتشويه — العبادة ، حيث حصروها في دائرة أداء المناسك والشعائر التعبدية التي ساحتها المساجد والمعابد والزوايا وحسب !

حتى تشكل لدى كثير من الناس أن العبادة تعني تلك الشعائر وحسب ، فانعكس ذلك سلبا على تصوراتهم وعقائدهم وسلوكهم،ولربما تجد أحدهم يعبد الله في الركوع والسجود لكنه يعبد من دونه آلهة أخرى في المجالات الأخرى للعبادة ، ثم بعد ذلك يظن نفسه أنه على الحق المبين !

ولو أنكر عليه منكر فإنه سرعان ما ينظر إلى إنكاره نظرة اعتراض واستهجان واستغراب ، وعلى أنه يريد أن يقحم السياسة ساحة الدين ، ويقحم الدين مجالات ليست تابعة له ولا من اختصاصه !

لذا فإنه يتعين علينا أن نبين للناس أخص ما يدخل في مسمى العبادة ، ويُجري على صاحبه مسمى العبودية سواء أقر بذلك أم لم يقر ، وليعلم أهو داخل في عبادة الله وطاعته وحده أم في عبادة المخلوق وطاعته ، **﴿ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة ﴾** [الأنفال : 42] من ذلك :

أ – الطاعة :

اعلم أنه لا يُطاع لذاته إلا الله سبحانه وتعالى لأنه الإله المعبود المستحق لذلك ، ولأنه تعالى لا يأمر إلا بالحق والعدل ، وما سواه – أيا كانت صفته وهيئته – فإنه يُطاع لغيره – أي لله – لا لذاته ، وأيما مخلوق يطاع لذاته فهو مألوه معبود ، والمطيع له – على هذا الوجه – هو عبد له بكل ما تعني كلمة العبودية من معنى ، وداخل في مسماها لغة واصطلاحا ، ثم أي مخلوق يأمر بأن يطاع على هذا الوجه فاحذره وحذِّر منه ، واعلم أنه طاغوت كبير يجب الكفر به .

وقولنا يطاع لذاته ، أي يطاع لأن ذاته مستحقة للطاعة بغض النظر عن طبيعة الأوامر الصادرة عنه وصفتها ، ومثل هذه الطاعة لو أعطيت لمخلوق فهي عين الشرك والكفر البواح ، وإليك بعض الأدلة على ذلك :

قال تعالى : **﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَابَنِي آدَمَ أَنْ لا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾** [يس: 60]، عبادة الشيطان هنا بطاعته في معصية الله ، زين لهم الشرك فأطاعوه ، فتلك كانت عبادتهم إياه [1].

---

[1] **انظر تفسير الطبري ، وزاد المسير.**

وكذلك قوله تعالى : **﴿ إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ ، ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ﴾** [سورة محمد : 25-26] وفي قوله : **﴿ إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا ..﴾** ، قال ابن كثير :

" أي فارقوا الإيمان ورجعوا إلى الكفر " [1].

وذلك كان بسبب قولهم للذين كرهوا شرع الله سنطيعكم في بعض الأمر ، وإذا كان الأمر بهذا الحزم والخطورة فما يكون القول إذا فيمن يقولون للذين تجاوزوا مرحلة الكره إلى مرحلة المحاربة العداوة الظاهرة لشرع الله عز وجل سنطيعكم في كل الأمر وكل ما تأمرون به ؟! لا شك أنهم أولى في الكفر والارتداد والخروج من الدين .

ونحو ذلك قوله تعالى : **﴿ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴾** [الأنعام : 121].

أي إن أطعتموهم في استحلال أكل الميتة بعدما حرّمها الله عليكم إنكم لمشركون مثلهم بعد أن كنتم مؤمنين [2].

ولا يسمى شيء شركا إلا إذا كان فيه نوع عبادة وتأليه للمخلوق ، فحيثما يرد ذكر الشرك والكفر فاعلم أنه يوجد نوع عبادة وتأليه لغير الله عز وجل .

ونوع العبادة والتأليه للمخلوق هنا يكمن في طاعة المشركين في أخص خصيصة من خصوصيات الله عز وجل ، ألا وهي خاصية التحليل والتحريم ، والتحسين والتقبيح ، كما قال تعالى : **﴿ إِنْ الْحُكْمُ إِلا لِلَّهِ أَمَرَ أَلا تَعْبُدُوا إِلا إِيَّاهُ ﴾** [يوسف : 40]، وقال : **﴿ وَلا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا ﴾** [الكهف : 26].

---

[1] التفسير : **193/4**.

[2] **ينبغي للقارئ أن يدرك أن الطاعة المذمومة شرعاً نوعان : نوع مكفر يخرج صاحبه من الملة ، ونوع دون ذلك لا يُخرج صاحبه من الملة ، أما النوع المكفر الذي يخرج صاحبه من الملة : أن يُنظر لمخلوق – أيا كانت صفته ونوعه – أن له حق الطاعة على العباد لذاته ولمكانته ، وأن أمره يُطاع لأنه هو صاحب الأمر والنهي بغض النظر هل وافق الحق فيما أمر أو نهى عنه .. فهذه طاعة مكفرة لأنها تتضمن التأليه للمخلوق .**

وكذلك من الطاعة المكفرة طاعة المشركين والكفار فيما هو كفر وشرك ، كأن يأمروه بموالاتهم على المسلمين ، أو بتحليل ما قد حرّمه الله ، وغير ذلك من الأمور المكفِّرة .. فطاعتهم على ذلك كفر وشرك وصاحبها يكفر لوقوعه في الكفر والشرك وليس لمجرد الطاعة ، إلا إذا كان يعتقد في المطاع أن له حق الطاعة لذاته فهنا يكون كفرا لمجرد الطاعة أو الإقرار لهذه الخاصية كما تقدم .

أما النوع غير المكفِّر الذي لا يخرج صاحبه من الملة ، وإنما يوقعه في دائرة الفسوق والعصيان هي الطاعة التي تكون دون ما تقدم ، كالطاعة فيما يعتبر من المعاصي والذنوب التي هي دون الكفر ، ما لم يتبع هذه الطاعة استحلال وتحسين لتلك المعاصي والذنوب فحينها تكون طاعة مكفِّرة .

فإذا عرفت ذلك ، فتأمل كم هم المطاعون لذواتهم في زماننا ، وكم هم الذين يعطونهم الطاعة على ذلك ، فستجد أن مجتمعاتنا تغص بالآلهة المزعومة المكذوبة ، وأن أكثر الناس على عبادتهم من دون الله ، سواء علموا أم جهلوا .

فالذي يقول للمخلوق – أيا كانت صفته وهيئته ونوعه ، كان شخصا أو نظاما أو مجلسا أو غير ذلك فلا فرق : أنت لك خاصية التشريع ، والتحليل والتحريم ، والتحسين والتقبيح ، فما تقول عنه حسن فهو الحسن وما تقول عنه قبيح فهو القبيح ، ولك الأمر من قبل ومن بعد، ولك علينا حق الطاعة في ذلك ، فقد زعم له الألوهية التي زعمها فرعون لنفسه ، وتحققت له عبوديته – وإن صلى وصام وقال إنني من المسلمين – وجعل منه ندا لله في أخص خصوصياته سبحانه وتعالى .

قال ابن حزم : " العبادة إنما هي الاتباع والانقياد مأخوذة من العبودية ، وإنما يعبد المرء من ينقاد له ومن يتبع أمره ، وأما من يعصي ويخالف فليس عابد له وهو كاذب في ادعائه أنه يعبده " [1]

ومما يوضح ذلك أكثر قوله تعالى : ﴿ **اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لا إِلَهَ إِلا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ** ﴾ [التوبة : 31].

قال البغوي في التفسير : " فإن قيل إنهم لم يعبدوا الأحبار والرهبان — بمعنى الركوع والسجود — قلنا : معناه أنهم أطاعوهم في معصية الله واستحلوا ما أحلوا وحرموا ما حرموا ، فاتخذوهم كالأرباب .

و عن عدي بن حاتم ﵁ قال : أتيت رسول الله ﷺ وفي عنقي صليب من ذهب فقال لي : " يا عدي اطرح هذا الوثن من عنقك " ، فطرحته فلما انتهيت إليه وهو يقرأ : ﴿ **اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ**﴾ ،حتى فرغ منها قلت : إنا لسنا نعبدهم ، فقال : " أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه ، ويحلون ما حرم الله فتستحلونه " ، قال : نعم ، قال : " فتلك عبادتهم " [2].

فتأمل كيف جعل النبي ﷺ طاعة الأحبار والرهبان في تحليل ما حرم الله وتحريم ما أحل الله عبادة لهم ، واتخاذهم أربابا من دون الله .

ولو أمروهم أن يصلوا ويصوموا لهم لما أطاعوهم ولربما رجموهم ، لأن مثل هذه الشعائر عبادة ظاهرة لا تخفى على عوام الناس فضلا عن خاصتهم ، ولكن جاؤوهم من جهة الطاعة والانقياد – و هذا أمر تخفى فيه صفة العبودية على كثير من الناس– فأطاعوهم وعبدوهم من دون الله من هذا الوجه ، ومن غير حرج !

قال أبو البختري : " أما إنهم لم يصلوا لهم ، ولو أمروهم أن يعبدوهم من دون الله – بمعنى السجود والركوع – ما أطاعوهم ، ولكن أمروهم فجعلوا حلال الله حرامه وحرامه حلاله فأطاعوهم ، فكانت تلك الربوبية [3]. وتلك عبادتهم .

قال ابن تيمية : " فمن جعل غير الرسول[1] تجب طاعته في كل ما يأمر به وينهى عنه ، وإن خالف أمر الله ورسوله فقد جعله ندا ، وربما صنع به كما تصنع النصارى بالمسيح ، فهذا من الشرك الذي يدخل صاحبه في قوله

[1] (الإحكام : **93/1**) **قلت : هذا كلام ينبغي أن يحمل على التفصيل المتقدم في بيان نوعية الطاعة التي تكفر ، والطاعة التي لا تكفر .**

[2] **تفسير البغوي : 285/3**.

[3] **الفتاوى لابن تيمية : 76/7**.

تعالى : ﴿ وَمِنْ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ [سورة البقرة: 165] " [2].

وقال : " فمن طلب أن يطاع دون الله فهذا حال فرعون[3]، ومن طلب أن يطاع مع الله فهذا يريد من الناس أن يتخذوا من دون الله أندادا يحبونه كحب الله . والله سبحانه أمر أن لا يعبد إلا إياه ، وأن لا يكون الدين إلا له ، وأن تكون الموالاة فيه والمعاداة فيه " [4].

ورحم الله سيد قطب إذ يقول : " عندما يدعي عبد من العبيد أن له على الناس حق الطاعة لذاته ، وأن له فيهم حق التشريع لذاته ، وأن له كذلك حق إقامة القيم والموازين لذاته ، فهذا هو ادعاء الألوهية ولو لم يقل كما قال فرعون : ﴿ أَنَا رَبُّكُمْ الأَعْلَى﴾ [سورة النازعات: 24] ، والإقرار به هو الشرك بالله أو الكفر به، وهو الفساد في الأرض أقبح الفساد ...

إن الذي يملك حق التحريم والتحليل هو الله وحده ، وليس ذلك لأحد من البشر ، لا فرد ولا طبقة ولا أمة ولا الناس أجمعين ، إلا بسلطان من الله وفق شريعة الله ...

والتحليل والتحريم – أي الحظر والإباحة – هو الشريعة ، هو الدين ، فإذا كان الذي يحلل هو الله ، فالناس إذن في دين الله . وإن كان الذي يحرم أو يحلل أحد غير الله ، فالناس إذن يدينون[5] لهذا الأحد ، وهم إذن في دينه لا في دين الله ، والمسألة على هذا الوضع هي مسألة الألوهية وخصائصها ، وهي مسألة الدين ومفهومه ، وهي مسألة الإيمان وحدوده ، فلينظر المسلمون في أنحاء الأرض أين هم من هذا الأمر ؟ أين هم من هذا الدين ؟ وأين هم من الإسلام وإن كانوا ما يزالون يصرون على ادعائهم للإسلام !! " [6].

لذلك نجد أن الإسلام قد رشد قضية الطاعة أيما ترشيد منعا للنفوس المريضة أن تستغلها فتتمادى في غيها وظلمها وطغيانها ، فمنع من طاعة المخلوق — أي مخلوق — في معصية الخالق سبحانه وتعالى ، وجعل طاعته — فقط — في المعروف وبما فيه طاعة لله عز وجل ، وإلا فلا سمع ولا طاعة أصلا .

---

[1] طاعة الرسول ﷺ من طاعة الله عز وجل ، لأن الأنبياء لا يأمرون إلا بما يأمر به الله ، لذا فقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: " من أطاعني فقد أطاع الله " ، والأمر بطاعة الرسول ﷺ واتباعه جاء في أكثر من ثلاثين موضع وآية من القرآن الكريم.

[2] الفتاوى : 267/10.

[3] أي هو مثل فرعون حيث يطلب أن يفرد بالطاعة من دون الله ، وما أكثر الفراعنة في زماننا الذين يدّعون هذا الادعاء لأنفسهم.

[4] الفتاوى : 328/14.

[5] يدينون له إن قبلوا به مشرعاً لهم من دون أو مع الله ، أو اتبعوه فيما يحلّل ويحرّم . هكذا ينبغي أن يحمل كلام سيد رحمه الله.

[6] طريق الدعوة في ظلال القرآن : 170/2 و 179.

كما في الحديث : " **السمع والطاعة على المرء المسلم فيما أحب وكره ، ما لم يؤمر بمعصية ، فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة** " [1].

وفي رواية : " **لا طاعة لبشر في معصية الله ، إنما الطاعة في المعروف** ".

وقال ﷺ : " **طاعة الإمام حق على المرء المسلم ، ما لم يأمر بمعصية الله عز وجل ، فإذا أمر بمعصية الله فلا طاعة له** " [2].

وقال ﷺ : "**سيلي أموركم بعدي رجال يطفئون السنة ، ويعملون بالبدعة ، ويؤخرون الصلاة عن مواقيتها ، فقلت – وهو عبد الله بن مسعود– : يا رسول الله إن أدركتهم كيف أفعل ؟ قال : تسألني يا ابن أم عبد كيف تفعل ؟! لا طاعة لمخلوق في معصية الله** " [3].

وقال : " **من أمركم من الولاة بمعصية فلا تطيعوه** " [4].

حتى الوالدين – على فضلهما وعظم حقهما على الولد – لا طاعة لهما إن أمرا ابنهما بمعصية الله عز وجل ، كما قال تعالى : **﴿وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُمَا﴾** [لقمان : 15].

ب – التحاكم :

كذلك مما يدخل في مسمى العبادة ومجالاتها " **التحاكم** " فإن كان العبد يتحاكم في جميع شؤون حياته الخاصة والعامة إلى شرع الله تعالى فهو عبد لله عز وجل ، وإن كان يتحاكم إلى شرع غيره – أنا كان هذا الغير – ولو في جزئية من جزئيات حياته فهو عبد لهذا الغير وداخل في عبادته من أوسع أبواب العبادة . وسر ذلك أن الحكم والتشريع وسن القوانين والقيم والموازين يعتبر من أخص خصوصيات الإلهية ، فمن ادعاه لنفسه من دون – أو مع – الله عز وجل فقد ادعى الإلهية وزعمها لنفسه اختصاصا وعملا ، وجعل من نفسه ندا لله عز وجل في أخص خصوصياته. وبالتالي من أقر له بهذا الحق وتحاكم إليه – من دون أو مع الله – فهو داخل في عبادته من دون الله أقر بذلك أم لم يقر ، علم أم جهل .

---

[1] متفق عليه.

[2] رواه أحمد وغيره.

[3] رواه أحمد وعبد الرزاق في الجامع بسند صحيح .

[4] رواه أحمد وغيره . أقول : النهي عن طاعة الإمام الوارد في الأحاديث أعلاه ، لا يستلزم الخروج عليه وعدم طاعته مطلقا ، وإنما اعتزاله وعدم طاعته فيما يعتبر معصية فقط ، إلا إذا كانت المعصية التي يأمر بها من النوع التي تكفره وتخرجه من الملة ، فحينها لا طاعة له البتة ، ويتعين الخروج عليه بالسيف لقوله تعالى :
﴿وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلا﴾ [النساء : 141] ، ولقوله ﷺ : " إلا أن تروا كفراً بواحاً عندكم من الله فيه برهان " ، ولقوله : " من ارتد عن دينه فاقتلوه " رواه البخاري وأبو داود والترمذي والنسائي .

ولكي يتضح أن عملية " **التحاكم** " هي عبادة من المتحاكِم إلى المتحاكَم إليه ، لا بد من أن نثبت أولا – بالدليل الشرعي – أن الحكم والتشريع من مقتضيات الألوهية واختصاصها ، وهي من أخص خصوصيات الله عز وجل لا يجوز أن يشركه فيها أحد من خلقه ، وأن أي مخلوق – أيا كانت صفته ونوعيته – يدعي شيئاً من ذلك لنفسه فإنه قد زعم الألوهية وجعل من نفسه إلها للعباد ، وندا لله عز وجل في أخص خصوصياته .

قال تعالى : ﴿ **إِنْ الْحُكْمُ إِلا لِلَّهِ أَمَرَ أَلا تَعْبُدُوا إِلا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ** ﴾ [يوسف : 40].

نفي بعده إثبات يفيد الحصر والقصر ، أي ليس الحكم – وهو التشريع الذي يتضمن القضاء والأمر والنهي – لأحد إلا لله تعالى . ثم أتبع ذلك نفي وإثبات آخر ، وهو أمره تعالى بأن لا يُعبد أحد – في أي جزئية أو مجال من مجالات العبادة – إلا إياه سبحانه وتعالى .

وهذا نص في أن الحكم من خصوصيات الله وحده لا يشركه فيه أحد من خلقه ، وأيما مخلوق يزعم لنفسه هذا الحق فقد زعم الألوهية وجعل من نفسه ندا لله تعالى ، وكذلك من أقر له بهذا الحق فقد تحققت له عبوديته من دون الله تعالى ، وأشركه في العبادة مع الله تعالى .

قال البغوي في التفسير :

" ﴿ **إِنْ الْحُكْمُ إِلا لِلَّهِ** ﴾ ، ما القضاء ، والأمر والنهي إلا لله " [1] .

وقال سيد قطب رحمه الله : " إن الحكم لا يكون إلا لله ، فهو مقصور عليه سبحانه بحكم ألوهيته ، إذ الحاكمية من خصائص الألوهية ، من ادعى الحق فيها فقد نازع الله سبحانه أولى خصائص ألوهيته ، سواء ادعى هذا الحق فرد أو طبقة ، أو حزب ، أو هيئة ، أو أمة ، أو الناس جميعا في صورة منظمة عالمية. ومن نازع الله سبحانه أولى خصائص ألوهيته وادعاها فقد كفر بالله كفرا بواحا ، يصبح به كفره من المعلوم من الدين بالضرورة ، حتى بحكم هذا النص وحده .

وادعاء هذا الحق لا يكون بصورة واحدة هي التي تخرج المدعي من دائرة الدين القيم ، وتجعله منازعا لله في أولى خصائص ألوهيته – سبحانه – فليس من الضروري أن يقول : ما علمت لكم من إله غيري ، أو يقول : أنا ربكم الأعلى ، كما قاله فرعون جهرة . ولكنه يدعي هذا الحق وينازع الله فيه بمجرد أن ينحي شريعة الله عن الحاكمية ، ويستمد القوانين من مصدر آخر ، وبمجرد أن يقرر أن الجهة التي تملك الحاكمية ، أي التي تكون هي مصدر السلطات ، جهة أخرى غير الله سبحانه ، ولو كان هو مجموع الأمة أو مجموع البشرية ..

[1] **تفسير البغوي ، 427/2**.

وفي قوله : ﴿ **أَمَرَ أَلا تَعْبُدُوا إِلا إِيَّاهُ** ﴾ ، قال : حين نفهم معنى العبادة على هذا النحو – وهو الدينونة لله وحده ، والخضوع له وحده ، واتباع أمره وحده – نفهم لماذا جعل يوسف عليه السلام اختصاص الله بالعبادة تعليلا لاختصاصه بالحكم ، فالعبادة – أي الدينونة – لا تقوم إذا كان الحكم لغيره .

ومرة أخرى نجد أن منازعة الله الحكم تخرج المنازع من دين الله – حكما معلوما من الدين بالضرورة – لأنها تخرجه من عبادة الله وحده ، وهذا هو الشرك الذي يخرج أصحابه من دين الله قطعا ، وكذلك الذين يقرون المنازع على ادعائه ، ويدينون له بالطاعة وقلوبهم غير منكرة لاغتصابه سلطان الله وخصائصه ، فكلهم سواء في ميزان الله "[1].

﴿**ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ** ﴾، وهو تعبير يفيد القصر ، فلا دين قيما سوى هذا الدين الذي يتحقق فيه اختصاص الله بالحكم تحقيقا لاختصاصه بالعبادة "[2].

ومن الأدلة كذلك قوله تعالى : ﴿ **وَلا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا** ﴾ [الكهف : 26].

قال الإمام الطبري في تفسير هذه الآية : " ولا يجعل الله في قضائه ، وحكمه في خلقه أحدا سواه شريكا ، بل هو المنفرد بالحكم والقضاء فيهم ، وتدبيرهم وتصريفهم فيما شاء وأوجب "[3].

وقال الشنقيطي : " المعنى ولا يشرك الله جل وعلا أحدا في حكمه بل الحكم له وحده جل وعلا لا حكم لغيره البتة ، فالحلال ما أحله تعالى والحرام ما حرمه ، والدين ما شرعه ، والقضاء ما قضاه ، وحكمه جل وعلا المذكور في قوله : ﴿ **وَلا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا** ﴾ شامل لكل ما يقضيه جل وعلا ، ويدخل في ذلك التشريع دخولا أوليا .

وما تضمنته هذه الآية الكريمة من كون الحكم لله وحده لا شريك له فيه ، جاء مبينا في آيات أُخر ، كقوله تعالى : ﴿ **إِنْ الْحُكْمُ إِلا لِلَّهِ أَمَرَ أَلا تَعْبُدُوا إِلا إِيَّاهُ** ﴾ [سورة يوسف: 40] ، وقوله تعالى : ﴿ **إِنْ الْحُكْمُ إِلا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ** ﴾ [يوسف: 67] ، وقوله تعالى : ﴿ **وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ** ﴾ [سورة الشورى: 10] ، وقوله تعالى : ﴿**كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ** ﴾ [سورة القصص: 88] ، وقوله : ﴿ **أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ** ﴾ [المائدة: 50] ، وقوله تعالى :

---

[1] **لأن الراضي بالشيء كفاعله ، والقاعدة الشرعية تقول : الرضى بالكفر كفر .**

[2] **في ظلال القرآن : 4/1990–1991.**

[3] **التفسير : 8/212.**

﴿ أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ إِلَيْكُمْ الْكِتَابَ مُفَصَّلا ﴾ [الأنعام: 114] ، إلى غير ذلك من الآيات " [1].

ومن لوازم هذا التسليم – وهو أن الله تعالى متفرد في الحكم والتشريع ، وأن الحكم من خصوصياته تعالى لا يُشركه فيه أحد من خلقه – ومقتضياته أن من يدعي من العباد صلاحية الحكم لنفسه من دون الله تعالى – أو معه – فقد ادعى الألوهية والربوبية ، وجعل من نفسه ندا وشريكا لله تعالى ، ونصب من نفسه إلها معبودا على العباد .

ومن الأدلة التي تزيد المسألة وضوحا وتبسيطا ، قوله تعالى عن فرعون : **﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي ﴾** [القصص: 38] ، **﴿ فَحَشَرَ فَنَادَى ۞ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمْ الأَعْلَى ﴾** [النازعات: 23-24]

فهنا فرعون لم يرد من الألوهية والربوبية التي زعمها لنفسه ، أنه الإله الخالق المتصرف بنواميس الكون فهو أعجز وأحقر من أن يخلق بعوضة فأدنى ، وعندما واجهه موسى عليه السلام بآية العصا حيث تحولت إلى أفعى تسعى ، لم يكن له حول ولا قوة سوى أن استنجد بالسحرة والمشعوذين ليذودوا عنه وعن سلطانه ، ولكن أنَّى له ولهم أمام آيات الله الباهرات ...

إذاً هو يريد من دعواه الألوهية والربوبية أنه لا حاكم ولا مشرع ولا مطاع ترجع إليه الأمة – في شؤون حياتها – سواه ، والرأي له من قبل ومن بعد .

وهذا المراد يظهر بصورة أوضح عندما نادى في قومه وجنده :

﴿قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ [غافر: 29].

فالرأي والتشريع ما يراه ويشرعه هو ، لا ما يراه ويشرعه غيره ، تلك كانت دعوى الألوهية والربوبية التي زعمها فرعون لنفسه ، فمن رضي له ذلك أو تابعه عليه ، كان داخلا في تأليهه وعبادته من أوسع أبواب ومجالات العبادة .

وبالتالي فإن أي مخلوق – أيا كانت صورته ونوعيته ، كان فرداً ، أم مجلساً ، أم حزباً ، أم شعباً أم غير ذلك – وفي أي زمان كان ، يدعي لنفسه صلاحية الحكم والتشريع ، وأنه مصدر التشريع ،وأن على العباد طاعته واتباعه في ذلك ، فقد ادعى الألوهية والربوبية التي ادعاها فرعون لنفسه ، وإن لم يقل كما قال فرعون : **﴿ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي ... أَنَا رَبُّكُمْ الأَعْلَى ﴾**.

وهذا المعنى نجده في آيات أخر ، كقوله تعالى : **﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلا نَعْبُدَ إِلا اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾** [آل عمران: 64] . وكذلك قوله تعالى : **﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾** [التوبة: 31].

---

[1] أضواء البيان : **82/4**.

وقد فسر النبي ﷺ الربوبية التي ادعوها لأنفسهم ، أنهم قد شرعوا فأحلوا وحرموا للناس من غير سلطان من الله تعالى . كما فسر عبادة الناس لهم بطاعتهم واتباعهم على ذلك .

وكذلك قوله تعالى : ﴿ **أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلالا بَعِيدًا** ﴾ [النساء : 60]

.

قال الشوكاني : " فيه تعجيب لرسول الله ﷺ من حال هؤلاء الذين ادعوا لأنفسهم أنهم قد جمعوا بين الإيمان بما أنزل على رسول الله ، وهو القرآن ، وما أنزل على من قبله من الأنبياء فجاؤوا بما ينقض عليهم هذه الدعوى ويبطلها من أصلها ويوضح أنهم ليسوا على شيء من ذلك أصلا ، وهو إرادتهم التحاكم إلى الطاغوت[1]، وقد أمروا فيما أنزل على رسول الله وعلى من قبله أن يكفروا به " [2].

وقال محمد بن إبراهيم آل الشيخ :

" فإن قوله عز وجل ﴿**يزعمون**﴾ تكذيب لهم فيما ادعوه من الإيمان ، فإنه لا يجتمع التحاكم إلى غير ما جاء به النبي ﷺ مع الإيمان في قلب عبد أصلا ، بل الإيمان ينافي الآخر " [3].

قال ابن القيم رحمه الله : " أقسم سبحانه بنفسه المقدسة قسماً مؤكداً بالنفي قبله عدم إيمان الخلق حتى يحكموا رسوله في كل ما شجر بينهم من الأصول والفروع وأحكام الشرع وأحكام المعاد وسائر الصفات وغيرها ، ولم يثبت لهم الإيمان بمجرد هذا التحكيم حتى ينتفي عنهم الحرج وهو ضيق الصدر ، وتنشرح صدورهم لحكمه كل الإنشراح وتنفسح له كل الانفساح وتقبله كل القبول ، ولم يثبت لهم الإيمان بذلك أيضاً حتى ينضاف إليه مقابلة حكمه بالرضى والتسليم وعدم المنازعة وانتفاء المعارضة والاعتراض " [4].

قلت : إذا كان الإيمان لا يثبت لصاحبه إلا بالتحاكم إلى شرع الله عز وجل ، فإن ذلك يدل على أمرين :

أولهما : أن التحاكم إلى شرع الله تعالى عبادة له سبحانه ، لأنه شرط للإيمان ، ولا يكون شيء شرطاً للإيمان إلا إذا كان يتضمن نوع عبادة لله عز وجل .

أما الأمر الثاني : فهو أن عدم التحاكم إلى شرع الله عز وجل.. ينفي الإيمان عن صاحبه ، وقد تقدم أن الإيمان لا ينتفي عن صاحبه إلا للشرك الذي يتضمن عبادة المخلوق ، ولو في وجه من الأوجه .

فدل أن " **التحاكم** " عبادة من المتحاكِم إلى المتحاكَم إليه ، فمن يتحاكم – في جميع شؤون حياته الخاصة والعامة – إلى الله وحده فهو عبد لله تعالى ، ومن يتحاكم إلى غيره – أيا كان هذا الغير ولو في جزئية من جزئيات حياته – فهو عبد لهذا الغير ..

---

[1] **كل شرع غير شرع الله تعالى فهو طاغوت ، وسيأتي –إن شاء الله– حديث مفصل عن الطاغوت...**

[2] **فتح القدير : 482/1.**

[3] **رسالة تحكيم القوانين.**

[4] **التبيان في أقسام القرآن : 270.**

وقال الشنقيطي : " ويفهم من هذه الآيات كقوله : ﴿ **وَلا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا** ﴾ [سورة الكهف: 26] أن متبعي أحكام المشرعين غير ما شرعه الله أنهم مشركون بالله ، وهذا المفهوم جاء مبيناً في آيات أخر ...

ومن أصرح الأدلة في هذا : أن الله جل وعلا في سورة النساء بين أن من يريدون أن يتحاكموا إلى غير ما شرعه الله يتعجب من زعمهم أنهم مؤمنون ، وما ذلك إلا لأن دعواهم الإيمان مع إرادة التحاكم إلى الطاغوت بالغة من الكذب ما يحصل منه العجب ، وذلك في قول تعالى : ﴿ **أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلالا بَعِيدًا** ﴾ [سورة النساء: 60] .

وبهذه النصوص السماوية التي ذكرنا يظهر غاية الظهور أن الذين يتبعون القوانين الوضعية التي شرعها الشيطان على ألسنة أوليائه مخالفة لما شرعه الله جل وعلا على ألسنة رسله صلى الله عليهم وسلم ، أنه لا يشك في كفرهم وشركهم إلا من طمس الله بصيرته[1]، وأعماه عن نور الوحي مثلهم " [2].

وبعد ، فمن يتأمل حال من يدعي الإسلام اليوم من هذه القضية الهامة ، يدرك أن هذا الدين قد عاد غريباً كما بدأ وأشد ، حيث إن الحاكم والمشرع هو الطاغوت ، وأن الشريعة المتبعة هي شريعة الطاغوت ، والناس يتحاكمون إليها طواعية ومن دون أن يجدوا في أنفسهم حرجاً من ذلك ، فدخلوا في زمرة المشركين الذين يعبدون الطاغوت من حيث يشعرون أو لا يشعرون ، ولربما تجد منهم – ومع ذلك – من يصلي ويصوم ، ويزعم أنه من المسلمين ...!!

جـ – الحب والكره (الموالاة والمعاداة)

مما يدخل كذلك في مسمى العبادة : الحب والكره ، والموالاة والمعاداة ، فمن كانت موالاته ومعاداته ، وحبه وكرهه لله تعالى وفي الله ، بحيث يحب ما يحبه الله، ويكره ما يكرهه الله ، ويوالي من يوالي الله ورسوله ، ويعادي من يعادي الله ورسوله ، ويرضى ما يُرضي الله ، ويبغض ما يبغض الله تعالى ، فهو حينئذ يكون عبداً لله تعالى وحده ، قد صح إيمانه ، ومن كان مناط حبه وكرهه ، وموالاته ومعاداته غير الله تعالى ، فهو عبد لهذا الغير – مهما اختلفت وتعددت صوره وأشكاله – وداخل في عبادته وتقديسه أقر له بذلك أم لم يقر .

وفي الحديث فقد صح عن النبي ﷺ أنه قال : " **من أحب لله ، وأبغض لله ، وأعطى لله ، ومنع لله ، فقد استكمل الإيمان** " [3].

---

[1] ما أكثر هؤلاء في زماننا ، ولقد وجدنا بعضهم من توقف عن تكفير طغاة قد اجتمعت فيهم جميع نواقض الإيمان..!!

[2] أضواء البيان : 4/73-74.

[3] رواه أبو داود وغيره بسند صحيح.

وقال ﷺ : " **أوثق عرى الإيمان : الموالاة في الله ، والمعاداة في الله ،والحب في الله ، والبغض في الله عز وجل** " [1].

وكون ذلك أوثق عرى الإيمان ، فهو لتحقق كما العبودية وأعلى مراتبها ودرجاتها ، وبالتالي فمن أعطى ذلك لغير الله تعالى فقد تحققت عبوديته لهذا الغير بأعلى مراتب العبودية ودرجاتها .

فلا يحب لذاته إلا الله تعالى ، وما سواه يحب له سبحانه وتعالى وليس معه ، وأيما مخلوق –أيا كانت صورته [2] – يُحب لذاته أو مع الله ، بحيث يُعقد عليه الولاء والبراء فيما أصاب وفيما لم يصب ، وفي الحق والباطل ، فقد اتُخذ نداً وعُبد من دون الله .

قال تعالى : ﴿ **وَمِنْ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ** ﴾ [سورة البقرة: 165].

قال ابن تيمية رحمه الله : "لا يجوز أن يُحب شيء من الموجودات لذاته إلا هو سبحانه وبحمده ، فكل محبوب في العالم إنما يجوز أن يحب لغيره لا لذاته ، والرب تعالى هو الذي يجب أن يُحب لنفسه ، وهذا من معاني إلهيته ﴿ **لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلا اللَّهُ لَفَسَدَتَا** ﴾ [سورة الأنبياء: 22] ، فإن محبة الشيء لذاته شرك فلا يُحب لذاته إلا الله ، فإن ذلك من خصائص إلهيته ، فلا يستحق ذلك إلا الله وحده ، وكل محبوب سواه لم يحب لأجله فمحبته فاسدة ...

فمن جعل غير الرسول تجب طاعته في كل ما يأمر به وينهى عنه، وإن خالف أمر الله ورسوله فقد جعله نداً ، وربما صنع به كما تصنع النصارى بالمسيح ، فهذا من الشرك الذي يدخل أصحابه في قوله تعالى :
﴿ **وَمِنْ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ** ﴾ [سورة البقرة: 165] " [3].

وقال ابن القيم رحمه الله تعالى : " فالله تعالى إنما خلق الخلق لعبادته ، الجامعة لكمال محبته ، مع الخضوع له والانقياد لأمره .

فأصل العبادة : محبة الله ، بل إفراده بالمحبة ، وأن يكون الحب كله لله ، فلا يحب معه سواه ،وإنما يحب لأجله وفيه ،كما يحب أنبياءه ورسله وملائكته وأولياءه ، فمحبتنا لهم من تمام محبته ، وليست محبة معه كمحبة من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحبه " [4].

---

[1] **رواه أحمد وغيره بسند صحيح .**

[2] **سواء كان بشراً أم أمراً مادياً كالتراب والوطن ، أو معنوياً كالمناهج والدساتير والأحزاب في بعض صورها .**

[3] **الفتاوى : 267/10 و607.**

[4] **مدارج السالكين : 99/1.**

ومن الأدلة كذلك على شرك الحب والطاعة والاتباع ، قوله تعالى عن المجرمين وهم في سقر : **﴿ قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ۞ تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ ۞ إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾** [الشعراء : 96-98].

فتسوية الرعاع التبع لأسيادهم وزعماءاتهم المتبوعين برب العالمين كانت في الحب والطاعة والانقياد ، وليس في الخلق أو التصرف بنواميس الكون ، فهم أعجز من أن يخلقوا ذبابة واحدة فما دون .

ولكن لما أخصوهم بالحب والطاعة لذواتهم ، وبما لا يجوز إلا لله تعالى ، حصلت منهم هذه المساواة الظالمة ، وهذا الشرك الأكبر الذي أودى بهم إلى العذاب الأكبر ، وإلى هذا التلاوم والندم ، ولات حين مندم .

قال ابن القيم رحمه الله :" ومعلوم أنهم ما سووهم به – سبحانه – في الخلق ، والرزق ، والإماتة والإحياء ، والملك والقدرة ، وإنما سووهم به في الحب والتأله والخضوع لهم والتذلل ، وهذا غاية الجهل والظلم ، فكيف يسوى التراب برب الأرباب ؟! وكيف يسوى العبيد بمالك الرقاب ؟!

وقال : " وهذه التسوية لم تكن منهم في الأفعال والصفات ، بحيث اعتقدوا أنها مساوية لله سبحانه في أفعاله وصفاته وإنما كانت تسوية منهم بين الله وبينها في المحبة والعبودية والتعظيم . .

ولم تكن تسويتهم لهم بالله في كونهم خلقوا السماوات والأرض أو خلقوهم أو خلقوا آباءهم ، وإنما سووهم برب العالمين في الحب لهم كما يحب الله فإن حقيقة العبادة هي الحب والذل " [1].

وبعد ، فمن يتأمل واقع من يدعي الإسلام في هذا الزمان يجد أن كثيراً من الأشياء تُوالى لذاتها حيث عليها يعقد الولاء والبراء ، والناس داخلون سراعاً في عبادتها – من هذا الجانب – وهم يدرون أو لا يدرون ...!

علامات الحب :

إذ لكل دعوى علامات تصدقها أو تكذبها ،ولدعوى الحب علامات ينتفي الحب بانتفائها ويثبت بثبوتها ، من أبرزها وأهمها :

1- الاتباع والطاعة والانقياد ، فمن كان اتباعه للنبي ﷺ والتزم بما جاء به من عند ربه كمل حبه لله تعالى ، حيث كلما قوي الاتباع قوي الحب ، والعكس كذلك كلما قوي الحب قوي الاتباع ، فكل منهما دليل على الآخر ولازم له .

ومن ينتفي عنده مطلق الاتباع الظاهر لهدي النبي ﷺ كان ذلك دليلا على انتفاء مطلق الحب في الباطن لله عز وجل ، وهذا لا يكون إلا من كافر زنديق ، ومن يدعي الحب من غير اتباع ظاهر فاعلم أنه كذاب ، وصريح الآية يبطل زعمه ودعواه ، وهو قوله تعالى **﴿ قُلْ إِنْ كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمْ اللَّهُ ﴾** [آل عمران : 31].

---

[1] **بدائع التفسير لابن القيم : 3/328-329.**

قال ابن كثير رحمه الله : " هذه الآية حاكمة على كل من ادعى محبة الله وليس هو على الطريقة المحمدية فإنه كاذب في دعواه في نفس الأمر حتى يتبع الشرع المحمدي والدين النبوي في جميع أقواله وأفعاله " [1].

وقال ابن تيمية رحمه الله : " فكل من ادعى أنه يحب الله ولم يتبع الرسول فقد كذب ، ليست محبته لله وحده ، بل إن كان يحبه فهي محبة شرك ، فإنما يتبع ما يهواه ، كدعوى اليهود والنصارى محبة الله ، فإنهم لو أخلصوا له المحبة لم يحبوا إلا ما أحب فكانوا يتبعون الرسول ، فلما أحبوا ما أبغض الله مع دعواهم حبه كانت محبتهم من جنس محبة المشركين " [2].

وقال ابن القيم رحمه الله :" وإذا كانت المحبة له هي حقيقة عبوديته وسرها ، فهي إنما تتحقق باتباع أمره واجتناب نهيه ، فعند اتباع الأمر واجتناب النهي تتبين حقيقة العبودية والمحبة ، ولهذا جعل اتباع رسوله علماً عليها ، وشاهداً لمن ادعاها ، فقال تعالى : ﴿ **قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمْ اللَّهُ**﴾ [آل عمران : 31]، فجعل اتباع رسوله مشروطاً بمحبتهم لله ، وشرطاً لمحبة الله لهم ، ووجود المشروط ممتنع بدون وجود شرطه وتحققه بتحققه ، فعلم انتفاء المحبة عند انتفاء المتابعة ، فانتفاء محبتهم لله لازم لانتفاء المتابعة لرسوله، وانتفاء المتابعة ملزوم لانتفاء محبة الله لهم ، فيستحيل إذاً ثبوت محبتهم لله ، وثبوت محبة الله لهم بدون المتابعة لرسوله " [3].

ودل على أن متابعة الرسول ﷺ هي حب الله ورسوله وطاعة أمره ، ولا يكفي ذلك في العبودية حتى يكون الله ورسوله أحب إلى العبد مما سواهما ، فلا يكون عنده شيء أحب إليه من الله ورسوله ، ومتى كان عنده شيء أحب إليه منهما فهذا هو الشرك الذي لا يغفره الله لصاحبه البتة ، ولا يهديه الله ، قال تعالى :

﴿ **قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ** ﴾ [التوبة : 24]

فكل من قدم طاعة أحد من هؤلاء على طاعة الله ورسوله ، أو قول أحد منهم على قول الله ورسوله ، أو مرضاة أحد منهم على مرضاة الله ورسوله ، أو خوف أحد منهم ورجاءه والتوكل عليه على خوف الله ورجائه والتوكل عليه ، أو معاملة أحدهم على معاملة الله ، فهو ممن ليس الله ورسوله أحب إليه مما سواهما وإن قاله بلسانه فهو كذب منه ، وإخبار بخلاف ما هو عليه ، وكذلك من قدم حكم أحد على حكم الله ورسوله ، فذلك المقدم عنده أحب إليه من الله ورسوله " [4].

---

[1] التفسير ، **366/1**.

[2] الفتاوى ، **360/8**.

[3] **قلت : والحب شرط من شروط الإيمان والتوحيد ، لا ينتفي إلا عن كافر مشرك .**

[4] مدارج السالكين : **1/99-100**.

قلت : ويُعلم كذب الحكام الآثمين الجاثمين على صدر الأمة ومقدراتها – ومن يزين أحوالهم في أعين الناس من مشايخ السوء – الذين يدعون – استرضاء ونفاقا لشعوبهم – حب الله ورسوله ، ثم هم في المقابل يحرصون على تنفيذ سياسات الشرق أو الغرب في جميع شؤون حياة الأمة ، ويحكمون قوانينهم الكافرة في شعوبهم ويقدمونها على حكم الله ..!!

وفي الحديث ، فقد صح عن النبي ﷺ أنه قال : " **لا يؤمن عبد حتى أكون أحب إليه من أهله وماله والناس أجمعين** "، وفي رواية : " **لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين** "[1].

وانتفاء الإيمان –كما تقدم – لا يكون إلا لنوع شرك يتضمن نوع عبادة لغير الله تعالى .

قال أبو سليمان الخطابي في شرحه للحديث :

" فمعناه لا تصدق في حبي حتى تفنى في طاعتي نفسك ، وتؤثر رضاي على هواك وإن كان فيه هلاكك " [2].

فتأمل هذا المعنى وواقع من يدعي الإسلام في زمننا الحاضر منه ، ثم انظر كم الهوة واسعة بين واقع الناس وبين حقيقة هذا الدين ...

فليحذر كل امرئ لنفسه ودينه ، فإن الخطب جدٌّ خطير ، ثم لا يحسبن نفسه بمفازة من العذاب من وحد الله تعالى في النسك والشعائر ثم هو في بقية حياته لا يبالي أن يكون فيها عبداً للطاغوت ، فلا يحسبن من كان كذلك أن دينه بقي سالماً له ، وأن مسمى الإسلام يشمله ، وأنه ناج من عذاب الله ، أو أن شفاعة الشافعين ستناله وتطاله ، كلا وألف كلا ...

2– الدين :

لكي يدرك المرء في أي ملة هو ، وعلى أي دين ، لا بد له من أن يعرف معنى كلمة الدين ومدلولاتها ، لينظر بعد ذلك على أي دين هو ، أهو في دين الله وطاعته وشرعته ، أم في دين غيره وطاعته وشرعته .

جاء في لسان العرب معنى كلمة الدين : الدَّيان : من أسماء الله عز وجل ، معناه الحكَم القاضي وسئل بعض السلف عن علي بن أبي طالب ﷺ ، فقال : كان ديان هذه الأمة بعد نبيها أي قاضيها وحاكمها[3].

والديَّان : القهار ، وقيل : الحاكم والقاضي ، وهو فعَّل من دان الناس أي قهرهم على الطاعة . يقال دنتهم فدانوا أي قهرتهم فأطاعوا ...

وفي حديث أبي طالب : قال له عليه السلام : " **أريد من قريش كلمة تدين لهم بها العرب** " أي تطيعهم وتخضع لهم .

---

[1] **رواه مسلم.**

[2] **شرح صحيح مسلم 15/2.**

[3] **إطلاق هذا الاسم على أحد من سلف الأمة ، فهو على اعتبار أنه حاكم يحكم بشرع الله تعالى .**

والدِّين : الجزاء والمكافأة ، ودِنته بفعله دَينا : جزيته ، ويوم الدين : يوم الجزاء . وفي المثل : كما تدين تُدان ، أي كما تُجازي تُجازى أي تجازى بفعلك وبحسب ما عملت . ومنه قوله تعالى :

﴿ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ ، معناه مالك يوم الجزاء والحساب ...

والدين : الطاعة . وقد دِنته ودِنت له أي أطعته ..

والدين : العادة والشأن ، تقول العرب : ما زال ذلك ديني وديدَني أي عادتي ...

وفي الحديث : " **الكيِّس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ، والأحمق من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله** " ، قال أبو عبيد : قوله دان نفسه ، أي أذلها واستعبدها ، وقيل : حاسبها ...

والدين لله من هذا إنما هو طاعته والتعبد له ، ودانه دينا أي أذله واستعبده . يقال : دِنته فدان ...

وفي التنزيل العزيز : **﴿مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ﴾** [سورة يوسف: 76] ، قال قتادة : في قضاء الملك .

ودِنتُه أَدينُه دَينا : سُسْتُه . **ودنْته** : ملَكْته . **ودُيِّنْته** أي مُلِّكته . **ودَيَّنتُه القومَ** : وليته سياسَتهم . **ودِنْتُ الرجلَ** : حملته على ما يكره .

والدين : ما يتدين به الرجل .**والدين** : السلطان .**والدين** : الورع **والدين** : القهر . **والدين** : المعصية. **والدين** الطاعة .

وفي حديث الخوارج : " **يمرقون من الدين مُروقَ السهم من الرميَّة** "، قال الخطابي : يعني قوله ﷺ يمرقون من الدين ، أراد بالدين الطاعة أي أنهم يخرجون من طاعة الإمام المفترض له الطاعة وينسلخون منها ، والله أعلم .

وفي حديث الحج : " **كانت قريش ومن دان بدينهم** "، أي اتبعهم في دينهم ووافقهم عليه "[1].

وقال ابن تيمية رحمه الله : " الدين مصدر ، والمصدر يضاف إلى الفاعل والمفعول ، يقال دان فلان ، فلانا ، إذا عبده وأطاعه ، كما يقال دانه إذا أذله ، فالعبد يدين لله أي يعبده ويطيعه ، فإذا أضيف الدين إلى العبد فلأنه العابد المطيع ، وإذا أضيف إلى الله فلأنه المعبود المطاع "[2].

يستخلص مما تقدم أن أخص ما يدخل في مسمى الدين ومعناه : الحكم والقضاء والتشريع ، وكذلك الطاعة والاتباع والانقياد والخضوع والذل لسلطة عليا قاهرة .

وعليه : فإن من يدخل في طاعة الله تعالى ، وينقاد إلى حكمه وشرعه ، ويتبع ما أنزل على نبيه ﷺ فهو داخل في دين الله الإسلام ، وهو عابد له سبحانه وتعالى . وبالتالي فإن من يعرض عن طاعة الله تعالى وعن

[1] لسان العرب : **166/13**.

[2] الفتاوى : **158/15**.

حكمه وشرعه ، ومن ثَمَّ يطيع غيره ويحتكم إلى حكم وشرع هذا الغير – ولو في جزئية من جزئيات حياته – فهو داخل في دينه ، وعابد له من دون الله ، ولو زعم بلسانه – ألف مرة – أن دينه الإسلام ، وهو من المسلمين !

وإليك بعض الأدلة على ذلك :

قال تعالى : ﴿ **وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ** ﴾ [الأنفال: 39].

قال ابن تيمية رحمه الله : " والدين هو الطاعة ، فإذا كان بعض الدين لله وبعضه لغير الله ، وجب القتال حتى يكون كله لله " [1].

فانظر كيف فسر الدين بالطاعة ، وأن من كان على طاعة غير الله – ولو في جانب من جوانب حياته – فهو في دين هذا الغير وليس في دين الله ، ويتعين قتاله حتى يعطي الطاعة كلها لله وحده .

وقال ابن جرير في التفسير : ﴿ **وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ** ﴾ [سورة الأنفال: 39] ، يقول : وحتى تكون الطاعة والعبادة كلها لله خالصة دون غيره ، وقد فسر الفتنة بالشرك [2].

وقال تعالى : ﴿ **الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ** ﴾ [النور: 2] وقال تعالى : ﴿ **إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ** ﴾ [التوبة: 36] وقال تعالى : ﴿ **كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ** ﴾ [يوسف: 76] وقال تعالى : ﴿ **وَكَذَلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِنْ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ** ﴾ [الأنعام: 137] وقال تعالى : ﴿ **أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنْ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ** ﴾ [الشورى : 21] وقال تعالى : ﴿ **لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ** ﴾ [الكافرون: 6] . وغيرها من الآيات .

فالمراد بـ (**الدِّين**) في جميع هذه الآيات هو القانون والحدود ، والشرع والطريقة والنظام الفكري والعملي الذي يتقيد به الإنسان ، فإن كانت السلطة التي يستند إليها المرء لاتباعه قانوناً من القوانين ، أو نظاماً من النظم سلطة الله تعالى ، فالمرء لا شك في دين الله عز وجل ، وأما إن كانت تلك السلطة سلطة ملك من الملوك ، فالمرء في دين الملك ، وإن كانت سلطة المشايخ والقسوس فهو في دينهم . وكذلك إن كانت تلك السلطة سلطة العائلة أو العشيرة ، أو جماهير الأمة ، فالمرء لا جرم في دين هؤلاء .

وقال تعالى: ﴿ **وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الأَرْضِ الْفَسَادَ** ﴾ [غافر: 26].

وبملاحظة جميع ما ورد في القرآن من تفاصيل لقصة موسى عليه السلام وفرعون ، لا يبقى من شك في أن كلمة (**الدين**) لم ترد في تلك الآية بمعنى النحلة والديانة فحسب ، بل أريد بها الدولة ونظام المدينة أيضا.

---

[1] **الفتاوى : 544/28.**

[2] **تفسير ابن جرير الطبري : 245/6.**

فكان مما يخشاه فرعون ويعلنه : أنه إن نجح موسى عليه السلام في دعوته ، فإن الدولة ستزول وإن نظام الحياة القائم على حاكمية الفراعنة والقوانين والتقاليد الرائجة سيقتلع من أصله .

ومنه يعلم أن هذه الأنظمة والقوانين الوضعية السائدة والحاكمة في أمصار المسلمين ، هي دين وإن لم يسمها أهلها بذلك ، ومن دخل فيها أو تابع الطغاة عليها ، أو رضي بها فهو في غير دين الله – وهو في دين الطاغوت – وإن زعم الإسلام وتسمى بأسماء المسلمين .

ثم إن كل منهاج أو نظام أو دستور أو قانون لا يقوم على أساس الإسلام والطاعة لله عز وجل ، والمتابعة لرسوله ﷺ ، فهو دين باطل وطاغوت يتعين البراءة منه والكفر به .

كما قال تعالى في سورة الكافرون : **﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ۞ لا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۞ وَلا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ۞ وَلا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدتُّمْ ۞ وَلا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ۞ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾** وقال تعالى : **﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الإِسْلامُ ﴾** [آل عمران: 19] وقال تعالى : **﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنْ الْخَاسِرِينَ ﴾** [آل عمران: 85].

ومنه يعلم كذلك أن ما من امرئ في الوجود إلا وله دين يدين به ومعبود يعبده ، حتى ذاك الملحد الذي يكفر بوجود الله تعالى وبالأديان السماوية وغيره ، له دين يدين به وينهجه في حياته ، وله آلهته الخاصة به التي تشرع له فيتبعها ويعبدها من دون الله ، ففر – بزعم التحرر من عقدة الأديان – من الدين الحق إلى الدين الباطل ، ومن العبودية الحقة التي توافق الفطرة البشرية إلى العبودية الباطلة الدخيلة ..!

مثل ذلك : الشيوعي الذي يدعي الكفر بجميع الأديان ، فدينه الشيوعية ومبادئها ومعتقداتها ، والفلسفة التي يتبناها عن الكون والحياة والنفس البشرية ، ومن آلهته الكثيرة التي يعبدها – في الحب والطاعة والانقياد والخضوع – منظِّري الحزب ، كماركس ولينين واستالين وغيرهم من الطغاة ، وكذلك حال من ينتمي إلى حزب علماني أو فكر وضعي يقوم على أساس محاربة دين الله تعالى .

3– الإله :

" **الإله** : الله عز وجل ، وكل ما اتخذ من دونه معبوداً إله عند متخذه ، والجمع آلهة .

والإلاهة والأُلوهيَّةُ والأُلوهة : العبادة...

والله : أصله إلاه ، على فِعال بمعنى مفعول ، لأنه مألوه أي معبود ...

وقيل في اسم **الباري** سبحانه : إنه مأخوذ من أَلِهَ يأْلَهَ إذا تحير ، لأن العقول تأله في عظمته . وأَلِهَ يأله أَلَهاً أي تحير ، وأصله ولِهَ يَوْلَهُ ولَهاً . وقد أَلِهتُ على فلان أي اشتد جزعي عليه ، مثل ولِهتُ ، وقيل : هو مأخوذ من أَلِهَ يأْلَهُ إلى كذا أي لجأ إليه لأنه سبحانه المفزَعُ الذي يُلجأُ إليه في كل أمر ...

والتألُّهُ : التنسك والتعبد . **والتأليه** : التعبيد " [1].

قال ابن رجب رحمه الله : " الإله هو الذي يطاع فلا يُعصى هيبة له وإجلالا ومحبة وخوفا ورجاء وتوكلا عليه وسؤالا منه ودعاء له ، ولا يصلح ذلك كله إلا لله عز وجل ، فمن أشرك مخلوقاً في شيء من هذه الأمور التي هي من خصائص الإلهية ، كان ذلك قدحاً في إخلاصه في قوله : " **لا إله إلا الله** " ، وكان فيه من عبودية المخلوق بحسب ما فيه من ذلك " [2].

ومنه يعلم أن المعبود – ولو في جزئية من جزئيات العبادة – هو إله ومألوه بالنسبة لعابده ، ومن دخل في عبادة غير الله عز وجل فيما يعتبر من خصائص الإلهية ، فقد أقر لهذا الغير بالإلهية ، واتخذه إلهاً مع الله أو من دونه .

وحتى تتعرى لنا الآلهة – المزعومة الهزيلة – التي فتنت العباد عن دينهم ، وفرضت نفسها على البلاد والعباد كآلهة يجب أن تعبد وتطاع ، لا بد من أن نقف على بعض خصائص إلهية الله تعالى التي لا يجوز لأحد من خلقه أن يشركه فيها ، لنرى بعد ذلك كم هم الآلهة التي تدعي في زماننا هذه الخصائص لنفسها ، ثم كيف هم يأطرون الناس أطراً ليعترفوا لهم بهذه الخصائص ، وأنها حق لهم من دون الله تعالى !!

من خصائص إلهية الله تعالى :

أولا – من خصائص الإلهية ، أن الحكم لله تعالى وحده ، فله الخلق والأمر .

قال تعالى : ﴿ **أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ** ﴾ [الأعراف: 54] ، قال تعالى : ﴿ **إِنْ الْحُكْمُ إِلا لِلَّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ** ﴾ [الأنعام : 57] ، وقال تعالى : ﴿ **إِنْ الْحُكْمُ إِلا لِلَّهِ أَمَرَ أَلا تَعْبُدُوا إِلا إِيَّاهُ** ﴾ [يوسف: 40] ، وقال تعالى : ﴿ **أَلا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ** ﴾ [الأنعام: 62] ، وقال تعالى: ﴿ **وَلا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا** ﴾ [الكهف: 26].

وغيرها كثير من الآيات التي تدل على هذا المعنى .

وبالتالي فإن من يدعي من الخلق – وما أكثرهم في زماننا – هذه الخاصية لنفسه ، خاصية الحكم التي هي وقف لله تعالى ، فقد ادعى الإلهية لنفسه ، ومن أقر له بهذه الخاصية فقد أقر له بالإلهية ، وتألهه من دون الله تعالى .

ثانياً– خاصية التشريع ، والتحليل والتحريم ، والتحسين والتقبيح.

حيث يعتبر ذلك من أخص خصائص الإلهية التي تفرد الله سبحانه وتعالى بها . وبالتالي فإن من يدعي من الخلق – وما أكثرهم في زماننا[3] – هذه الخاصية لنفسه ، خاصية التشريع والتحليل والتحريم ، فقد ادعى الإلهية

---

[1] **انظر لسان العرب : 467/13.**

[2] **قرة عيون الموحدين ، ص 25.**

[3] **ستعرفهم عند الحديث عن أنواع الطواغيت التي تعبد من دون الله في زماننا.**

وجعل من نفسه ندا لله تعالى ، ومن أقر له بهذه الخاصية أو تابعه عليها فقد أقر له بالإلهية ورضيها له ، وتألهه من دون الله تعالى .

قال تعالى : ﴿ **اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لا إِلَهَ إِلا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ** ﴾ [التوبة: 31].

قد تقدم تفسير الآية ، وقد نقلنا أقوال أئمة العلم والتفسير في المراد من الربوبية والإلهية التي ادعوها الأحبار والرهبان لأنفسهم ، حيث كانت في تصدرهم لخاصية التحليل والتحريم من غير سلطان من الله تعالى. وكانت عبادة التبع لهم بمجرد الإقرار لهم بهذا الحق ومتابعتهم عليه .

وقال تعالى : ﴿**أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ**﴾ [الشورى: 21] ، وقال تعالى : ﴿**قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلالا قُلْ آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ**﴾ [يونس: 59] ، ﴿**وَلا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لا يُفْلِحُونَ**﴾ [النحل: 116].

وقد روي أن أعرابياً من بني تميم قال للنبي ﷺ : إن حمدي زين ، وذمي شين ! قال له : " **ذاك الله** " [1].

أي ليس ذلك من خصوصياتك ولا من خصوصيات البشر كلهم ولو اجتمعوا في صعيد واحد ، وإنما هو من خصوصيات الله تعالى وحده . فإن ما تطلق عليه حكم الزين والتحسين قد يكون عند الله شينا وقبيحا ، وما تطلق عليه حكم الشين قد يكون عند الله زينا وحسنا ، فالحكم على الأشياء لله تعالى وحده وليس لأحد من خلقه .

ثالثا – من خصائص الإلهية كذلك أن الله تعالى يحكم ما يريد من غير أن يعقب عليه أحد أو يقدم بين يديه بقول أو فهم أو اعتراض ، فله تعالى الأمر ، وعلى رسولنا البلاغ ، وعلينا الرضى والتسليم .

قال تعالى : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ** ﴾ [المائدة: 1] ، وقال تعالى : ﴿ **وَاللَّهُ يَحْكُمُ لا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ**﴾ [الرعد: 41] ، وقال تعالى : ﴿ **وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ** ﴾ [الأحزاب: 36] ، وقال تعالى : ﴿ **يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُقَدِّمُوا** [2] **بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ** ﴾ [الحجرات: 1] ، وقال تعالى : ﴿ **إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ**

---

[1] رواه أحمد والطبراني ورواه الترمذي وقال حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيب.

[2] التقديم بين يدي النبي ﷺ هو تقديم بين يدي الله تعالى ، لأن النبي ﷺ يبلغ عن ربه ولا ينطق إلا بحق ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنْ الْهَوَى ، إِنْ هُوَ إِلا وَحْيٌ يُوحَى﴾ [النجم: 3–4] ، وصفة التقديم على النبي ﷺ بعد وفاته تكون برد سنته الثابتة الصحيحة بأقوال الرجال وأفهامهم ، وسوالف أهل البادية وعاداتهم وقوانينهم وغير ذلك .

بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُوْلَئِكَ هُمْ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [النور: 51] ، وغيرها كثير من الآيات التي تدل على هذا المعنى .

وبالتالي فإن من يدعي هذه الخاصية لنفسه ، فيقول : أنا أحكم ما أريد من غير معقب ، وأنا فوق أن يقدم بين يدي بقول أو فهم أو اعتراض ، فقد ادعى الإلهية وجعل من نفسه ندا لله تعالى ، ومثله مثل فرعون عندما قال : **﴿ مَا أُرِيكُمْ إِلا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلا سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴾** [غافر: 29].

وكذلك فمن يقر له بهذه الخاصية لا شك فإنه يكون قد أقر له بالإلهية، واتخذه إلها معبوداً من دون الله تعالى .

وكذلك من ادعى لنفسه حق التعقيب على حكم الله ورسوله كما يحدث اليوم في البرلمانات الديمقراطية الكافرة فقد كفر بالله العظيم .

رابعا– ومن خصائص الإلهية التي تفرد الله تعالى بها ، أنه تعالى لا يُسأل عما يفعل وما سواه فإنه يُسأل.

كما قال تعالى : **﴿ لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴾** [الأنبياء: 23].

وبالتالي فإن من يدعي هذه الخاصية لنفسه ، حيث يقول : إنه لا يُسأل عما يفعل أو أنه فوق المساءلة ، فقد ادعى الإلهية لنفسه وجعل من نفسه ندا ومثيلا لله تعالى ، والله تعالى يقول : **﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ ﴾** [الشورى : 11].

وكذلك فإن من يقر له بهذه الخاصية فقد رضي له الإلهية وأن يكون له معبوداً من دون الله تعالى .

خامسا– ومن خصائصه تعالى أنه المحبوب لذاته، وماسواه فيحب له سبحانه وتعالى، وقد تقدم ذكر الأدلة على هذه الخاصية ...

وبالتالي فإن أي مخلوق يدعي هذه الخاصية لنفسه ، وأن له الحق في أن يُحب لذاته ، بحيث يُوالى ويعادى عليه ، فقد ادعى الإلهية وجعل من نفسه مثيلا ونداً لله تعالى. وأيما مخلوق يقر له بهذه الخاصية فقد اتخذه إلهاً ، ورضي أن يكون معبوده من دون الله تعالى .

سادسا– وكذلك من خصائصه سبحانه وتعالى أنه المطاع لذاته ، وما سواه يُطاع له وفيه ،حيث لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق .

وقد تقدمت الأدلة على أن من يدعي الطاعة لذاته فإنه يدعي خاصية هي من خصائص الله تعالى وحده ، ومن يعترف له بذلك فإنه يعترف له بالإلهية والندية لله تعالى .

سابعا– ومن خصائصه سبحانه وتعالى أنه النافع الضار ، بيده وحده الضر والنفع ، وهو يُجير ولا يجار عليه .

قال تعالى : **﴿ وَلا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لا يَنْفَعُكَ وَلا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِنَ الظَّالِمِينَ ۞ وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلا كَاشِفَ لَهُ إِلا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾** [يونس: 106- 107] ، وقال تعالى : **﴿ قُلْ أَنَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لا يَنفَعُنَا وَلا يَضُرُّنَا﴾** [الأنعام: 71] ، وقال تعالى : **﴿ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لا يَضُرُّهُمْ وَلا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾** [يونس: 18] ، وقال تعالى : **﴿ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لا يَمْلِكُونَ لأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلا ضَرًّا﴾** [الرعد: 16] ، **﴿ قُلْ لا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلا ضَرًّا إِلا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾** [الأعراف: 188] ، وغيرها كثير من الآيات التي تدل على هذا المعنى .

وفي الحديث ، عن ابن عباس قال : كنت خلف النبي ﷺ ، فقال : **"يا فتى ألا أهب لك ، ألا أعلمك كلمات ينفعك الله بهن ؟ احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده أمامك ، وإذا سألت فاسأل الله ، واعلم بأن الخلائق لو أرادوك بشيء لم يردك الله به لم يقدروا عليه ، واعلم أن النصر مع الصبر ، وأن الفرج مع الكرب ، وأن مع العسر يسرا "** [1].

قال ابن تيمية رحمه الله :" فمن جعل الملائكة والأنبياء وسائط يدعوهم ، ويتوكل عليهم ، ويسألهم جلب المنافع ودفع المضار ، مثل أن يسألهم غفران الذنب ، وهداية القلوب ، وتفريج الكروب ، وسد الفاقات : فهو كافر بإجماع المسلمين .

قال تعالى : **﴿ وَلا يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾** [آل عمران : 80] ، فبين سبحانه أن اتخاذ الملائكة والنبيين أرباباً كفر " [2].

خلاصة ما تقدم :

نقول : إن لله تعالى خصائص وصفات لا يجوز لأحد من خلقه أن يشركه فيها ، **﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾**[3] [الشورى : 11].

---

[1] **رواه ابن أبي عاصم في السنة بسند صحيح.**

[2] **الفتاوى : 124/1.**

[3] **أقول : من دلائل هذه الآية الكريمة ، الاستدلال على بطلان من يدعي أو يتشبه بخصائص الإلهية التي هي من خصوصيات الله وحده ، ولكن لسوء في التلقي فإن الآية حصرت في الرد على المجسم فقط !!**

و أنه تعالى هو الإله المعبود بحق ، الذي يجب أن تصرف إليه وحده جميع أنواع العبادة ومجالاتها : **﴿ قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، لا شَرِيكَ لَهُ ﴾** [الأنعام : 162].

وبالتالي إن أي مخلوق – أيا كانت صفته ومكانته – يدعي خصائص وصفات هي من خصوصيات وصفات الله تعالى وحده ، فإنه قد ادعى الإلهية ، وجعل من نفسه نداً وشريكا لله تعالى في خصائصه .

وكذلك فإن أي امرئ يقر لذلك المدعي الإلهية على ما ادعاه ويتابعه عليه ، فإنه قد رضيه إلهاً ومعبوداً من دون الله تعالى .

فإذا عرفت ذلك أصبح من السهل عليك أن تعرف معنى الطاغوت – موضوع بحثنا – وأنواعه وأصنافه ، وما يجب عليك نحوه .. فإلى ذلك .

الكفر بالطاغوت شرط لصحة التوحيد والإيمان

اعلم أن أعظم ركن في الإسلام جاءت به الرسل هو الإيمان بالله تعالى وحده والكفر بالطاغوت ، وهو غاية الرسل والرسالات ، وأول ما يجب على العبد القيام به نحو ربه قبل الصلاة والصيام والزكاة وحج بيت الله الحرام ، وغير ذلك من الطاعات ، فلا يصح إيمان إلا بعد الكفر بالطاغوت ، ولا يقبل عمل إلا بعد الكفر بالطاغوت ، ولا يُعصم دم إلا بعد الكفر بالطاغوت .

قال تعالى : **﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولا أَنْ اُعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلالَةُ ﴾** [النحل : 36].

فهي المهمة الأولى لجميع الرسل بلا استثناء .

وقال تعالى : **﴿ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾** [البقرة : 256]. فتقديم الكفر بالطاغوت على الإيمان بالله تعالى ، له دلالات عظيمة :

منها عدم الاستهانة بقضية الكفر بالطاغوت ، وبيان أنه أصل هام تبنى عليه بقية الأصول والفروع .

ومنها ، أنه لا بد من أن يسبق الإيمان الكفر بالطاغوت ، ولو قُدم الإيمان على الكفر بالطاغوت فإن الإيمان لا ينفع صاحبه في شيء إلا بعد الكفربالطاغوت والتخلي عن الشرك .

ومنها ، أن الإيمان بالله والإيمان بالطاغوت لا يمكن اجتماعهما في قلب امرئ واحد ولو لبرهة واحدة ، فإن الإيمان بأحدهما يستلزم انتفاء الآخر . لأنه لا يجتمع الإيمان والكفر الأكبر في قلب واحد ، فإما إيمان بالله يتقدمه كفر بالطاغوت ، وإما إيمان بالطاغوت وكفر بالله تعالى ، وافتراض اجتماعهما هو افتراض اجتماع الشيء وضده في آن واحد .

وفي معنى ﴿**العروة الوثقى**﴾ قال بعض أهل العلم : العروة الوثقى يعني الإيمان ، وقال بعضهم : يعني الإسلام ، وقال بعضهم : يعني لا إله إلا الله، وهذه أقوال متقاربة كلها صحيحة لا تنافي بينها [1].

ومفهوم الآية يقتضي أن من آمن بالله ولم يكفر بالطاغوت ، أو كفر بالطاغوت ولم يؤمن بالله لا يكون قد استمسك بالعروة الوثقى وشهد أن لا إله إلا الله .

وفي الحديث فقد صح عن النبي ﷺ أنه قال : (**من قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه وحسابه على الله**) [2].

---

[1] **انظر تفسير ابن كثير.**

[2] **رواه مسلم .**

واعلم أن من يقول لا إله إلا الله لكنه لم يكفر بالطاغوت ، هو كمن يقول بالشي ء وضده في آن واحد ، وبالشيء وعدمه ، فإن لا إله إلا الله تتضمن الكفر بالطاغوت في جانب النفي منها ، فمن لا يكفر بالطاغوت ، مثله مثل من يقول : لا إله إلا الله ثم من جهة أخرى – بلسان المقال أو الحال – يقول : هناك إله مع الله !! وهذا في دعواه التوحيد كذاب منافق زنديق مستهزئ بدين الله .

أما كونه كذابا ، فهو لقوله بالشيء وضده ، فمن جهة يدعي أنه يكفر بالآلهة جميعها إلا الله ، ثم تراه يؤمن بالطاغوت ويعبده من دون الله ..!

وأما كونه منافقا ، فهو لجمعه بين الشيء وضده ، فمن جهة تراه يزعم بلسانه التوحيد ، ثم هو في المقابل يضمر الكفر وعبادة الطاغوت ..!

وأما كونه زنديقاً فهو لجحوده وكفره وأنه عابد للطاغوت ، وإذا ما أقيمت الحجة على كفره ، فهو سرعان ما ينكر ويتملص بأنه مسلم وأنه يقول لا إله إلا الله ..!!

وأما كونه مستهزئا بدين الله ، فهو لإعلانه التوحيد مئات المرات وفي كل مرة لا يبالي في أن يأتي بما ينقض التوحيد على مدار الساعة من غير أن يجد حرجاً في أن يأتي بضده وبما ينقضه على مدار الساعة ..!! فأي تلاعب بدين الله بعد هذا التلاعب ، وأي استهانة بعد هذه الاستهانة .

فاعلم أن دين النبي ﷺ التوحيد ، وهو معرفة لا إله إلا الله محمد رسول الله ، والعمل بمقتضاها ، ولكن مع الأسف فكثير من الناس اليوم لا يعرف المعنى الحقيقي لهذه الكلمة فيعمل ما يناقضها ويحسب معناها أنه لا يخلق إلا الله ولا يرزق إلا الله وأشباه ذلك ، أي أنه يفسرها بتوحيد الربوبية فقط ، وهذا النوع من التوحيد لا ينجي صاحبه ، ولا يدخله دائرة الإسلام والإيمان ، وحتى يُجرى عليه مسمى الإسلام وحصانته لا بد من أن يضم إليه توحيد الألوهية أو العبودية ، ومنهم من لا يفهم معناها فهذا كافر أيضاً لأنه لا يعتقدها على حقيقتها ، فالاعتقاد من شروطه ولوازمه العلم وفهم المعتقد ، لأن جاهل الشيء كفاقده ، ومنهم من يعرف معناها ولكن لا يعمل بمقتضاها وهذا أيضا كافر ، لأن العمل بالتوحيد شرط لصحة الإيمان ، ومن أوكد مقتضيات شهادة التوحيد العملية اجتناب الشرك وعبادة غير الله تعالى وهذا لم يفعل لذا فهو كافر ، ومن لم يكفر بالطاغوت لا تنفعه لا إله إلا الله ، ولا سائر الأعمال الصالحة من صلاة وحج وزكاة وصيام وغير ذلك ، لأنه يأتي بالتوحيد وبما يكذبه في آن واحد !

وكي نستطيع أن نكفر بالطاغوت بجميع أشكاله وألوانه ونحقق التوحيد الذي خلقنا الله لأجله لا بد لنا من معرفة الطاغوت وخاصة طواغيت زماننا .

4- الطاغوت.

لقد وردت كلمة الطاغوت في كتاب الله تعالى ثماني مرات في ثمانية مواضع :-

1 – سورة البقرة : الآية 256 : قال تعالى :

﴿ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾.

2 – سورة البقرة : الآية 257 : قال تعالى : **﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمْ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنْ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ﴾**

3 – سورة النساء : الآية 51 : قال تعالى : **﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنْ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلاءِ أَهْدَى مِنْ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلا ﴾**.

4 – سورة النساء : الآية 60 : قال تعالى : **﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلالا بَعِيدًا﴾**

5 – سورة النساء : الآية 76 : قال تعالى : **﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ﴾**

6 – سورة المائدة : الآية 60 : قال تعالى : **﴿ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ﴾**.

7 – سورة النحل : الآية 36 : قال تعالى : **﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولا أَنْ اُعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾**.

8 – سورة الزمر: الآية 17 : قال تعالى : **﴿ وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمْ الْبُشْرَى فَبَشِّرْ عِبَادِ﴾**.

الطاغوت لغة : من طغى يطغى طغْيا ويطغو طغيانا : جاوز القَدْرَ وارتفعَ وغَلا في الكفر . وكل مجاوز حدَّه في العصيان طاغ .

وطغى الماء والبحر : هاجت أمواجه ، وكل شيء جاوز القَدْرَ فقد طغى كما طغى الماء على قوم نوح ، وكما طغت الصيحة على ثمود .

والطاغوت : يقع على الواحد ، والجمع ، والمذكر ، والمؤنث ، وزنه فعَلوت إنما هو طغيوت ، قدمت الياء قبل الغين وهي مفتوحة وقبلها فتحة، فقلبت ألفا ، فصار طاغوت .

وجمع الطاغوت : طواغيت ، وفي الحديث : (**لا تحلفوا بآبائكم ولا بالطواغي**) وفي الآخر : (**ولا بالطواغيت**) ، فالطواغي جمع طاغية ، وهي ما كانوا يعبدونه من الأصنام وغيرها ، ومنه : هذه طاغية دَوْس

وختعَم أي صنمهم ومعبودهم ، ويجوز أن يكون أراد بالطواغي من طغى في الكفر وجاوز الحدَّ ، وهم عظماؤهم وكبراؤهم " [1].

قال أبو إسحاق : كل معبود من دون الله جبت وطاغوت... قاله على قوله تعالى : **﴿ يؤمنون بالجبت والطاغوت﴾**.

قال الأزهري : الجبت والطاغوت : حُيَي بن أخطب وكعب بن الأشرف .. قال : " وهذا غير خارج عما قاله أهل اللغة بأنهما إذا اتبعا أمرهما فقد أطاعوهما من دون الله " .

قال الشعبي وعطاء ومجاهد : " الجبت : السحر . والطاغوت : الشيطان والكاهن وكل رأس في الضلال .

وقد يكون واحدا كما في قوله تعالى : **﴿والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها﴾**

وقد يكون جمعا كما في قوله تعالى : **﴿والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت ﴾**

وقد أخبر عن الطاغوت بجمعها لأنه جنس كقوله تعالى : **﴿ أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ﴾**

قال الأخفش على قوله تعالى : **﴿والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها﴾** قال : " الطاغوت يكون من الأصنام ويكون من الجن والإنس ". [من لسان العرب لابن منظور]

قال الواحدي : " قال جميع أهل اللغة : الطاغوت كلّ ما عبد من دون الله " .

قال النووي : " قال الليث وأبو عبيدة والكسائي : الطاغوت : كل ما عبد من دون الله ".

قال الجوهري : " الطاغوت : الشيطان وكل رأس في الضلالة ".

أقوال السلف في تعريف الطاغوت :

1 – الشيطان :

رواه البخاري عن عمر بن الخطاب وعبد الله بن عباس رضي الله عنهما ، ونقله ابن كثير في تفسير قوله عز وجل **﴿ فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله... ﴾** الآية [البقرة : 256] ، وقال : " وهو قول قوي جداً فإنه يشمل كل ما كان عليه أهل الجاهلية من عبادة الأصنام (طاغوت عبادة) والتحاكم إليها (طاغوت تشريع وحكم) والاستنصار بها (طاغوت ولاية)[2] ، قال مجاهد : " الشيطان في صورة إنسان فهم يتحاكمون إليه وهو صاحب أمرهم " .

---

[1] **انظر لسان العرب : 7/15.**

[2] **ما بين الأقواس من إضافات الكاتب وليس من كلام ابن كثير.**

2 – كل ما عبد من دون الله :

قول الإمام مالك وجمهور أهل اللغة .

3 – الكهّان :

قول عبد الله بن عمر وجابر بن عبد الله رضي الله عنهم .

قال ابن جريج :"كهان تنزّل عليها شياطين يلقون على قلوبهم وألسنتهم ".

وقال : " أخبرني أبو الزبير عن جابر بن عبد الله أنه سمعه وسئل عن الطواغيت التي كانوا يتحاكمون إليها ، فقال جابر ، كان في جهينة واحد وفي أسلم واحد وفي كل حي واحد وهي كهنة تنزل عليها الشياطين ".

4 – الساحر : قول أبو العالية ، وسعيد بن جبير .

5 – الأصنام : فول عكرمة والضحاك والسدي .

6 – تراجمة الأصنام :

قال عبد الله بن عباس : " الجبت : الأصنام ، والطاغوت : الذين يكونون بين أيدي الأصنام ، يعبرون عنها الكذب ليضلّوا الناس ".

7 – أحبار اليهود :

ذهب جماعة من السلف أن الطاغوت : هم أحبار اليهود الذين كانوا يتحاكمون إليهم في فصل الخصومات والنزاعات فيقضون بينهم بغير ما أنزل الله ، قال ابن عباس : " والطاغوت : رجل من اليهود كان يقال له كعب بن الأشرف ، وكانوا إذا ما دعوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول ليحكم بينهم قالوا : بل نحاكمكم إلى كعب بن الأشرف ، فذلك قوله تعالى :

﴿ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ ﴾ [النساء : 60].

وبه قال الضحاك والربيع بن أنس ومجاهد ." [1]

---

[1] **هذا الكلام مجموع من " الدرر المنثورة " للسيوطي ، "جامع البيان " للطبري ، " الجامع في أحكام القرآن " للقرطبي ، "تفسير القرآن العظيم" لابن كثير .**

وأجمع قول في معنى الطاغوت هو قول من قال : الطاغوت هو الشيطان (وهو قول جمهور الصحابة والتابعين) ، وقول من قال : الطاغوت هو كل ما عبد من دون الله (وهو قول إمام دار الهجرة مالك بن أنس وجمهور أهل اللغة)، وما عدا هذين القولين ففروع منهما.

وهذان القولان يرجعان إلى أصل واحد له ظاهر وحقيقة :

فمن نظر إلى الظاهر قال :

الطاغوت : كل ما عبد من دون الله ... هذا مَن أجمل .

ومن نظر إلى الحقيقة قال :

الطاغوت : الشيطان ، وذلك لأن الشيطان هو الداعي إلى عبادة ما يعبد من دون الله ، كما أنه الداعي إلى كل كفر ...

قال تعالى: ﴿ **أَلَمْ تَرَى أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا** ﴾ [مريم: 83]

فكل من كفر ... وكل من عبد غير الله ... فبتزيين الشيطان ... وكل من عبد غير الله – في الظاهر – فهو يعبد الشيطان على الحقيقة .

قال تعالى : ﴿ **أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ** ﴾ [يس: 60] وقال تعالى – عن إبراهيم عليه السلام – : ﴿ **يَا أَبَتِ لا تَعْبُدْ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا** ﴾ [مريم: 44] ، مع أن أباه كان يعبد الأصنام كما قال الله تعالى : ﴿ **وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً** ﴾ [الأنعام: 74].

فالشيطان هو الطاغوت الأكبر ... فكل من عبد صنماً من حجراً أو شجراً أو بشراً فهو إنما يعبد الشيطان ... وكل من تحاكم إلى قانون أو دستور أو حاكم من دون الله فهو إنما يتحاكم إلى الشيطان، وهذا هو معنى تحاكمه إلى الطاغوت ... وكل من قاتل في سبيل نصرة قومية أو وثنية أو وطنية أو ديمقراطية ... الخ، فهو إنما يقاتل في سبيل الشيطان ، وهذا هو معنى القتال في سبيل الطاغوت ، فمن نظر إلى الحقيقة قال : الطاغوت هو الشيطان ، ومن نظر إلى الظاهر فأجمل قال : كل ما يعبد من دون الله . ومن فصّل سواء بحسب سبب النزول أو موضع الكلمة من السياق في الآية قال : الكهان أو الأصنام أو تراجمة الأصنام أو الساحر أو أحبار اليهود ... إلخ .

أقوال أهل العلم في الطاغوت :

يقول ابن جرير الطبري رحمه الله : " والصواب من القول عندي في " الطاغوت" ، أنه كل ذي طغيان على الله ، فعبد من دونه ، إما بقهر منه لمن عبده ، وإما بطاعة ممن عبده له ، إنساناً كان ذلك المعبود ، أو شيطاناً ، أو وثناً ، أو صنماً ، أو كائناً ما كان من شي .

وأرى أصل " الطاغوت " ، الطغووت من قول القائل : طغا فلان يطغو ، إذا عدا قدره فتجاوز حده "[1].

ويقول القرطبي رحمه الله : " الطاغوت الكاهن ، والشيطان ، وكل رأس في الضلال "[2].

ويقول القرطبي رحمه الله في موضع آخر : " اجتناب الطاغوت أي اتركوا كل معبود من دون الله كالشيطان والكاهن والصنم وكل من دعا إلى الضلال "[3] .

ويقول النووي رحمه الله :" قال الليث ، وأبو عبيدة ، والكسائي ، وجماهير أهل اللغة : الطاغوت كل ما عبد من دون الله تعالى "[4].

ويقول ابن تيمية رحمه الله : " الطاغوت فعلوت من الطغيان ، والطغيان : مجاوزة الحد وهو الظلم والبغي . فالمعبود من دون الله إذا لم يكن كارها لذلك[5] طاغوت ، ولهذا سمى النبي ﷺ الأصنام طواغيت في الحديث الصحيح لما قال : **"و يتبع من يعبد الطواغيت الطواغيت "**.

والمطاع في معصية الله ، والمطاع في اتباع غير الهدى ودين الحق سواء كان مقبولاً خبره المخالف لكتاب الله ، أو مطاعاً أمره المخالف لأمر الله هو طاغوت ، ولهذا سمى من تحوكم إليه من حاكم بغير كتاب الله طاغوت ، وسمى فرعون وعاداً طغاة ..." [6]

ويقول ابن القيم رحمه الله : " الطاغوت كل ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع ، فطاغوت كل قوم من يتحاكمون إليه غير الله ورسوله ، أو يعبدونه من دون الله ، أو يتبعونه على غير بصيرة من الله ، أو يطيعونه فيما لا يعلمون أنه طاعة لله ، فهذه طواغيت العالم إذا تأملتها وتأملت أحوال الناس معها ، رأيت أكثرهم عدلوا من عبادة الله إلى عبادة الطاغوت ، وعن التحاكم إلى الله وإلى الرسول إلى التحاكم إلى الطاغوت ، وعن طاعته ومتابعة رسوله إلى طاعة الطاغوت ومتابعته "[7].

قلت : هذا حال الناس في عهد ابن القيم – رحمه الله – قبل أكثر من سبعمائة عام ، فكيف لو رأى ابن القيم الناس في زماننا ، فماذا تراه يقول..؟!

---

[1] **تفسير الطبري : 21/3.**

[2] **الجامع لأحكام القرآن : 282/3.**

[3] **الجامع لأحكام القرآن : 10/9.**

[4] **شرح صحيح مسلم : 18/3.**

[5] **بهذا الاستثناء والقيد يخرج الأنبياء والصالحين – الذين يُعبدون من دون الله ، أو مع الله ، وهم من ذلك مبرأون وله كارهون – من مسمى الطاغوت ، حيث لا يجوز أن يجري عليهم اسم الطاغوت ، ولكن يبقى وجوب الكفر بعبادتهم وبمن يعبدهم .**

[6] **الفتاوى : 200/28.**

[7] **أعلام الموقعين : 50/1.**

ويقول الشنقيطي: " والتحقيق أن كل ما عبد من دون الله فهو طاغوت ، والحظ الأكبر من ذلك للشيطان ، كما قال تعالى : **﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَابَنِي آدَمَ أَنْ لا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ﴾** "[1].

ويقول عبد الرحمن أبو بطين رحمه الله : " الطاغوت يشمل كل معبود من دون الله ، وكل رأس في الضلال يدعو إلى الباطل ويحسنه، ويشمل أيضا : كل من نصبه للناس للحكم بينهم بأحكام الجاهلية المضادة لحكم الله ورسوله ، ويشمل أيضا : الكاهن ، والساحر ، وسدنة الأوثان الداعين إلى عبادة المقبورين وغيرهم ، بما يكذبون من الحكايات المضلة للجهال .. وأصل هذه الأنواع كلها وأعظمها : الشيطان ، فهو الطاغوت الأكبر ، والله سبحانه وتعالى أعلم " [2].

ويقول محمد حامد الفقي : " والذي يستخلص من كلام السلف رضي الله عنهم : أن الطاغوت كل ما صرف العبد وصده عن عبادة الله وإخلاص الدين والطاعة لله ولرسوله . سواء في ذلك الشيطان من الجن والشيطان من الإنس ، والأشجار والأحجار وغيرها . ويدخل في ذلك بلا شك الحكم بالقوانين الأجنبية عن الإسلام وشرائعه وغيرها من كل ما وضعه الإنسان ليحكم به في الدماء والفروج والأموال ، وليبطل بها شرائع الله من إقامة الحدود وتحريم الربا والزنا والخمر ونحو ذلك ، مما أخذت هذه القوانين تحللها وتحميها بنفوذها ومنفذيها . والقوانين نفسها طواغيت ، وواضعوها ومروجوها طواغيت ، وأمثالها من كل كتاب وضعه العقل البشري ليصرف عن الحق الذي جاء به رسول الله ﷺ إما قصداً أو عن غير قصد من واضعه ، فهو طاغوت " [3].

قال سليمان بن سمحان : " والطاغوت ثلاثة أنواع : طاغوت حكم ، وطاغوت عبادة ، وطاغوت طاعة ومتابعة " اهـ [4].

خلاصة ما تقدم نقول : إن الطاغوت هو كل ما عبد من دون الله – وهو راض بذلك – ولو في جزئية أو مجال من مجالات العبادة، فمن يُعبد من جهة الحب والموالاة والمعاداة فهو طاغوت ، ومن يُعبد من جهة الطاعة والاتباع والتحاكم فهو طاغوت ، ومن يُعبد من جهة الدعاء والخشية والنذر والنسك فهو طاغوت ، ومن يُعبد من جهة الإقرار له بخصائص الإلهية أو بعضها فهو طاغوت .

ومما يندرج كذلك في مسمى الطاغوت ، الشرائع والقوانين ، والدساتير والمناهج المضاهية لشرع الله . وكذلك كل إمام في الكفر والفساد والإضلال فهو طاغوت .

---

[1] **أضواء البيان : 228/1.**

[2] **الدرر السنية : 103/2.**

[3] **حاشية كتاب فتح المجيد ، ص 282 ، ط. دار الكتب العلمية .**

[4] **الدرر السنية : جزء حكم المرتد : ج8/ ص272.**

طواغيت تُعبد من دون الله تعالى

بعد التعرف على معنى الطاغوت ، وصفة من يُجرى عليه مسمى الطاغوت ، يحسن بنا أن نتعرف على الطواغيت – بشيء من التفصيل – التي تعبد من دون الله في زماننا ، لنحذرها ونقوم بالواجب الشرعي نحوها ، ونبدأ برأس الطواغيت وزعيمهم الأكبر .

1– الشيطان :

ذلكم هو إبليس اللعين ، الذي آل على نفسه أن يفتن العباد عن عبادة الله تعالى إلى عبادة ما سواه .

كما قال تعالى : **﴿قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ، ثُمَّ لآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾** [الأعراف : 16- 17] ، وقال تعالى : **﴿ قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَلأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ، إِلا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴾** [الحجر: 39-40]. فهؤلاء ليس له عليهم سلطان.

وهذه صفة يتصفها كثير من شياطين الإنس الذين جندوا أنفسهم ووطدوها على تحمل تبعات الانتصار للشرك والكفر والضلال .

كما قال تعالى : **﴿ وَلا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنْ اسْتَطَاعُوا ﴾** [البقرة: 217].

فإن قيل : قد تقرر أن الطاغوت هو الذي يُعبد من دون الله ، فأين تكمن عبادة الناس للشيطان ؟

نقول : إن عبادته تأتي من جهة طاعته واتباعه على الكفر والشرك ، كما قال تعالى : **﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَابَنِي آدَمَ أَنْ لا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾** [يس: 60] ، وقال تعالى : **﴿ إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلا إِنَاثًا وَإِنْ يَدْعُونَ إِلا شَيْطَانًا مَرِيدًا﴾** [النساء: 117] ، وقال إبراهيم عليه السلام : **﴿يَا أَبَتِ لا تَعْبُدْ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا﴾** [مريم: 44].

2- الهوى :

الهوى يكون بمعنى : الميل ، والحب ، والعشق ، ويكون في معنى إرادة الشيء وتمنيه ، وهوى النفس : إرادتها .

قال تعالى : ﴿ **وَنَهَى النَّفْسَ عَنْ الْهَوَى** ﴾ [النازعات: 40]

معناه : نهاها عن شهوتها وما تدعو إليه من معاصي الله عز وجل .

ومتى تكلِّمَ بالهوى مطلقاً لم يكن إلا مذموماً ، حتى يُنعت بما يُخرج معناه كقولهم : هوىً حسن ، وهوىً موافق للصواب [1].

هذا ولم يرد ذكر الهوى في القرآن الكريم إلا بصيغة الذم .

وكون الهوى طاغوتاً ومعبوداً في بعض صوره وحالاته ، هو لاتباعه وطاعته في معصية الله ، وجعله مصدر الحكم على الأشياء ، فما يراه هواه حقاً هو الحق ، وما يراه باطلاً هو الباطل عنده ، وإن كان ذلك مخالفاً لشرع الله تعالى .

وكذلك عقد الموالاة والمعاداة في الهوى وعليه ، حيث يوالي ما يهواه لا ما يجب عليه أن يواليه ، ويعادي من يهوى معاداته وإن كان الواجب الشرعي يقضي بموالاته .

فالهوى في هذه الصورة إله معبود من دون الله ، وصاحبه في الحقيقة يتأله ما يهواه ، وقد جعل منه نداً لله تعالى كما قال تعالى : ﴿ **وَلا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا** ﴾ [الكهف: 28] ، وقال : ﴿ **أَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلا** ﴾ [الفرقان: 43] ، وقال : ﴿ **أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ** ﴾ [الجاثية: 23].

قال ابن تيمية رحمه الله :" فمن كان يعبد ما يهواه فقد اتخذ إلهه هواه ، فما هويه إلهه ، فهو لا يتأله من يستحق التأله ، بل يتأله ما يهواه ، وهذا المتخذ إلهه هواه له محبة كمحبة المشركين لآلهتهم ،ومحبة عباد العجل له وهذه محبة مع الله لا محبة لله ، وهذه محبة أهل الشرك . والنفوس قد تدعي محبة الله ، وتكون في نفس الأمر محبة شرك تحب ما تهواه وقد أشركته في الحب مع الله " [2].

3- الحاكم بغير ما أنزل الله :

الحاكم بغير ما أنزل الله رأس في الطغيان والجور ، لمجاوزته حكم الله تعالى وإعراضه عنه ، واستبداله بحكم وشرائع الجاهلية الأخرى .

---

[1] **انظر لسان العرب .**

[2] **الفتاوى : 359/8.**

قال تعالى : ﴿**وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمْ الْكَافِرُونَ**﴾ [المائدة: 44] ، وقال : ﴿**وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمْ الظَّالِمُونَ**﴾ [المائدة: 45] ، وقال :﴿**أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ**﴾ [المائدة: 50] . وكل حكم غير حكم الله فهو حكم الجاهلية ، والآية تشمله وتطاله، وكل من يبغي حكماً غير حكم الله فهو ممن يبغي حكم الجاهلية .

وممن ينالهم مسمى الطاغوت وصفته لعدم حكمهم بما أنزل الله ، قضاة المحاكم الوضعية ، ونحوهم مشايخ العشائر والقبائل الذين يحكمون بالعادات السائدة ، وبالأعراف والأهواء ، وسواليفهم الباطلة ، يقدمونها على شرع الله تعالى .

فإن قيل : تُقرر في التعريف أن الطاغوت هو الذي يُعبد من دون الله ، فأين تكمن عبادة الحاكم بغير ما أنزل الله حتى سُمي طاغوتاً ؟

والجواب على ذلك من أوجه :

منها : أن الله تعالى قد سمى الحاكم بغير ما أنزل الله طاغوتاً، في قوله تعالى :

﴿ **يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ** ﴾ [النساء: 60].

ولا شك أن الطاغوت الوارد ذكره في الآية يشمل الحاكم بغير ما أنزل الله .وقد أثر عن بعض السلف أن المراد بالطاغوت الوارد في هذه الآية هو كعب بن الأشرف اليهودي ، لكونه يحكم بغير ما أنزل الله ...

ومنها : أن الحاكم بغير ما أنزل الله يُعبد من جهة التحاكم والطاعة من قبل المتحاكم إليه ، وقد تقدم أن التحاكم عبادة لا تُصرف إلا لله تعالى ، فمن تحاكم إلى غيره فهو متأله لهذا الغير وعابد له .

ومنها : أن الذي يحكم بغير ما أنزل الله ، يُخرج أولياءه ومتابعيه الراضين به ، من نور الوحي وعدل الإسلام وهو الحكم بما أنزل الله، إلى ظلمات الشرك والكفر والجاهلية وهو الحكم بغير ما أنزل الله ، وهو المراد من قوله تعالى : ﴿**وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمْ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنْ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**﴾ [البقرة: 257].

ومنه يعلم أن الحاكم بغير ما أنزل الله يُجرى عليه مسمى الطاغوت ، اسماً وصفة ومعنى ، ولا محالة من ذلك .

شرح لآيات المائدة : 44، 45، 47:

حتى يفهم معنى هذه الآيات ومن وما المقصود منها وكيف نطبقها على واقعنا المعاصر وحتى تزال الشبهات التي أديرت حولها أنقل ما ذكره الشيخ سيف الدين الموحد في تفسير هذه الآيات في تفسيره القيم " تفسير الداعية" :

قال الشيخ سيف الدين الموحد :

" في سبب نزول هذه الآيات عدة أقوال أهمها وأصحها قولان :

أحدهما : أنها نزلت في اليهوديين اللذين زنيا ، كما روى عبد الله ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال : "إن اليهود جاءوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكروا له أن رجلاً منهم وامرأة زنيا ، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : " **ما تجدون في التوراة في شأن الزنا ؟** " فقالوا : نفضحهم ويجلدون ، قال عبد الله بن سلام : كذبتم ، إن فيها الرجم . فأتوا بالتوراة فنشروها ، فوضع أحدهم يده على آية الرجم فقرأ ما قبلها وما بعدها ، فقال له عبد الله بن سلام : ارفع يدك ، فرفع يده فإذا فيها آية الرجم ، قالوا : صدق يا محمد ، فيها آية الرجم ، فأمر بهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجما ، فرأيت الرجل يحني على المرأة يقيها الحجارة." رواه البخاري ومسلم وغيرهما [1].

وفي رواية لمسلم عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال : " مر على النبي صلى الله عليه وسلم يهودي محمماً مجلوداً ، فدعاهم صلى الله عليه وسلم فقال : " **أهكذا تجدون حد الزاني في كتابكم ؟** " قالوا : نعم ، فدعا

---

[1] **البخاري ، في عدة مواضع ، الجنائز (رقم 1329) ، وفي المناقب (رقم 3635) ، وفي التفسير– سورة آل عمرآن (رقمه 4556) .**

رجلاً من علمائهم فقال : " **أنشدك بالذي أنزل التوراة على موسى ، أهكذا تجدون حد الزاني في كتابكم** ؟ " قال : لا ، ولولا أنك ناشدتني بهذا لم أخبرك ، نجده الرجم ، ولكنه كثر في أشرافنا ، فكنا إذا أخذنا الشريف تركناه ، وإذا أخذنا الضعيف أقمنا عليه الحد . قلنا : تعالوا فلنجتمع على شيء نقيمه على الشريف والوضيع ، فجعلنا التحميم والجلد مكان الرجم، فقال رسول صلى الله عليه وسلم : " **اللهم إني أول من أحيا أمرك إذ أماتوه** " ، فأمر به فرجم ، فأنزل الله عز وجل : ﴿ **يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر** ﴾ إلى قوله ﴿ **إن أوتيتم هذا فخذوه**﴾ يقول : ائتوا محمداً ﷺ فإن أمركم بالتحميم والجلد فخذوه ، وإن أفتاكم بالرجم فاحذروا . فأنزل الله تعالى : ﴿ **ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون** ﴾ ﴿**الظالمون** ﴾ ﴿**الفاسقون** ﴾ في الكفار كلها ." [1]

وقد ورد لهذا الحديث روايات وألفاظ أخرى ذكر كثيراً منها الطبري وابن كثير في تفسيريهما . ورواية البراء بن عازب في مسلم وفي غيره نص في بيان سبب النزول .

الثاني : أنها نزلت في طائفتين من اليهود في الدية بينهما ، وأن إحداهما قهرت الأخرى فصارت دية قتيلها على الضعف من الأخرى، أو أن إحداهما يقاد من القاتل والأخرى يؤخذ منها الدية فقط .

فقد ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : "كانت قريظة والنضير ، وكان النضير أشرف من قريظة ، فكان إذا قتل رجل من قريظة رجلاً من النضير قتل به ، وإذا قتل رجل من النضير رجلاً من قريظة فودي بمئة وسق من تمر . فلما بعث النبي صلى الله عليه وسلم قتل رجل من النضير رجلاً من قريظة ، فقالوا : ادفعوه إلينا نقتله ، فقالوا : بيننا وبينكم النبي صلى الله عليه وسلم ، فأتوه فنزلت : ﴿**وإن حكمت فاحكم بينهم بالقسط** ﴾ (والقسط : النفس بالنفس) ثم نزلت: ﴿**أفحكم الجاهلية يبغون**﴾ [2]

وفي رواية أخرى عن ابن عباس رضي الله عنهما نسوقها بطولها لما فيها من الزيادات التفصيلية ولأنها في تفاوت الدية ، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: " إن الله عز وجل أنزل : ﴿ **ومن لم يحكم بما أنزل الله فاولئك هم الكافرون** ﴾ و ﴿ **الظالمون** ﴾ و ﴿ **الفاسقون** ﴾ قال : قال ابن عباس : أنزل الله في الطائفتين من اليهود وكانت إحداهما قد قهرت الأخرى في الجاهلية ، حتى ارتضوا أو اصطلحوا على أن كل قتيل قتلته العزيزة من الذليلة فديته خمسون وسقا ، وكل قتيل قتلته الذليلة من العزيزة فديته مائة وسق ، فكانوا على ذلك حتى قدم النبي ﷺ المدينة ، فذلت الطائفتان كلتاهما لمقدم رسول الله ﷺ ويومئذ لم يظهر ولم يطعهما عليه وهو في الصلح . فقتلت الذليلة من العزيزة قتيلا ، فأرسلت العزيزة إلى الذليلة أن ابعثوا إلينا بمائة وسق ، فقالت الذليلة : وهل كان هذا في حيين قط ، دينهما واحد ونسبهما واحد وبلدهما واحد ، دية بعضهم نصف دية ؟ إنا إنما أعطيناكم هذا ضيماً منكم لنا وفرقاً منكم ، فأما إذ قدم محمد فلا نعطيكم ذلك، فكأن الحرب تهيج بينهما، ثم ارتضوا على أن

---

[1] **رواه مسلم وأحمد**

[2] **رواه أبو داود : كتاب الديات ، باب النفس بالنفس . رقم 4494 . والنسائي كتاب القسامة ، وإسناده صحيح .**

يجعلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهم ، ثم ذكرت العزيزة فقالت : والله ما محمد بمعطيكم منهم ضعف ما يعطيهم منكم ، ولقد صدقوا ما أعطونا هذا إلا ضيما منا وقهرا لهم ، فدسوا إلى محمد من يخبر لكم رأيه ، إن أعطى ماتريدون حكمتموه ، وإن لم يعطكم حذرتم فلم تحكموه . فدسوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ناساً من المنافقين ليخبروا لهم رأي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما جاءوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبر الله رسوله بأمرهم كله وما أرادوا ، فأنزل الله عز وجل: ﴿**يا أيها الرسول ...... ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون** ﴾ ثم قال : فيهما والله نزلت ، وإياهما عنى الله عز وجل)" [1] .

ومادام هذان السببان ثابتين فقد يقال : اجتمع هذان السببان في وقت واحد فنزلت هذه الآيات في ذلك كله كما ذكر ابن كثير . والله أعلم .

وهناك أقوال أخرى في أسباب النزول ولكنها إما ضعيفة مثل القول بأنها نزلت في أبي لبابة في قصته مع بني قريظة ، وإما داخلة فيما سبق مثل القول في أنها نزلت في عبد الله بن صوريا اليهودي وأنه ارتد بعد إسلامه ، أو القول في أنها نزلت في المنافقين .

ومن خلال عرض ما سبق من أسباب النزول يلاحظ ما يلي :

1- أن هناك تناسباً بين أسباب النزول وبين الآيات الواردة ، ففيها ذكر الذين هادوا ، ﴿ **يحرفون الكلم من بعد مواضعه** ﴾ ، ﴿**فإن جاءوك فاحكم بينهم أو أعرض عنهم** ﴾ ، ﴿ **وكيف يحكمونك وعندهم التوراة...** ﴾ إلخ ، فأي سبب نزول ليس في أمر اليهود فهو بعيد .

2- أن هذه الآيات التي نزلت ، بما فيها من فضح لليهود ومن يواليهم من المنافقين ، وما فيها من حكم بالكفر والفسق والظلم لمن حكم بغير ما أنزل الله ، وما فيها من أمر للرسول صلى الله عليه وسلم بالحكم بما أنزل الله والحذر أن يفتن عن بعض ما أنزل الله إليه، وغيرها ، هذه الآيات جاءت بسبب حكم واحد فقط اتفق اليهود على الحكم فيه بغير ما أنزل الله ، إما في الزنى ، وإما في القصاص . وهكذا حكم كل ما شابه حال هؤلاء اليهود في أي زمان ومكان .

3- أن المصالحة والرضى بين الطرفين على أمر مخالف لحكم الله لا يجعله جائزاً . وهذه مسألة يغلط فيها كثير من الناس .

4- أن هذه الآيات مع أنها نزلت في اليهود إلا أن حكمها عام في كل من فعل مثل فعلهم ، فمن جعلها خاصة في اليهود ولم يعملها فيمن فعل مثل فعلهم من المسلمين فقد خالف القرآن والسنة والإجماع .

إن الصحابة رضي الله عنهم مع أنهم اختلفوا في سبب نزول هذه الآيات إلا أنهم لم يختلفوا في أن حكمها عام يشمل المسلمين حتى أنهم أنكروا على من خصصها في اليهود ولم يعملها في المسلمين إنكاراً شديداً .

---

[1] **رواه الإمام أحمد بطوله 1/ 246 ، وهو عند شاكر برقم 2212 ، وصححه. ورواه النسائي 8/ 19 وهو في صحيح النسائي برقم4411. ورواه ابن جرير .**

لأن القاعدة الشرعية تقول : " **العبرة بعموم الألفاظ لا بخصوص الأسباب**" .

عن حذيفة رضي الله عنه بسند صحيح أن هذه الآيات ذكرت عنده﴿ **ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون**﴾ و ﴿**الظالمون**﴾ و ﴿**الفاسقون**﴾ فقال رجل : إن هذا في بني إسرائيل، فقال حذيفة : نِعمَ الأخوة لكم بنو إسرائيل ، إن كان لكم كل حلوة ، ولهم كل مرة ، كلا والله لتسلكن طريقهم قد الشراك . وروي عن ابن عباس نحوه ".[1]

وقال ابن مسعود والحسن وإبراهيم النخعي : هذه الآيات الثلاث عامة في اليهود وفي هذه الأمة فكل من ارتشى وحكم بغير حكم الله فقد كفر وظلم وفسق ، وهو الأولى لأن الاعتبار بعموم الألفاظ لا بخصوص السبب".[2]

قال ابن كثير : "قال الحسن البصري : إن هذه الآية نازلة في أهل الكتاب وهي علينا واجبة ، وقال عبد الرزاق عن سفيان الثوري عن منصور عن إبراهيم قال : نزلت هذه الآيات في بني إسرائيل ورضي الله لهذه الأمة بها " .[3]

وقال الشيخ جمال الدين القاسمي في تفسيره : " وقال إسماعيل القاضي في " أحكام القرآن " ظاهر الآيات يدل على أنه من فعل مثل ما فعلوا- يعني اليهود- واخترع حكما يخالف به حكم الله وجعله ديناً يعمل به فقد لزمه ما لزمهم من الوعيد المذكور حاكماً كان أو غيره " .[4]

وقال إبراهيم النخعي : " في هذه الآية ﴿ **وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمْ الْكَافِرُونَ**﴾ نزلت هؤلاء الآيات في بني إسرائيل ، ورضي لهذه الأمة بها " [5] .

وقال الحسن البصري : " نزلت في اليهود وهي علينا واجبة " [6] .

كما ورد عن ابن مسعود ﷺ ما يدل على عمومها : " فقد روي عن علقمة ومسروق أنهما سألا ابن مسعود عن الرشوة فقال : من السحت ، قال : فقال هؤلاء : أفي الحكم ؟ قال : ذاك الكفر ، ثم تلا هذه الآية: ﴿ **وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمْ الْكَافِرُونَ**﴾ " [7] .

كما روي عن السدي قال : " ﴿ **وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمْ الْكَافِرُونَ**﴾ يقول : ومن لم يحكم بما أنزلت فتركه عمداً ، وجار وهو يعلم فهو من الكافرين " [8].

---

[1] **رواه الحاكم وصححه وأيده الذهبي وجاء في تفسير فتح البيان ، ج 3، ص 30 و انظر تفسير القرطبي.**

[2] **فتح البيان : ج 3 ، ص 29.**

[3] **تفسير ابن كثير : ج2 ص61.**

[4] **تفسير محاسن التأويل : ص 2000، عيسى الحلبي.**

[5] **تفسير عبد الرزاق ، والطبري ، والدر المنثور.**

[6] **تفسير الطبري ، والدر المنثور .**

[7] **تفسير الطبري.**

[8] **تفسير الطبري.**

هذا وإن في سياق آيات المائدة ما يدل على العموم وعدم الاختصاص بأهل الكتاب ومن ذلك :

أ- تصدير الآية ﴿ **وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ** ﴾ بلفظ ﴿**من** ﴾، الشرطية ، وهي من أبلغ صيغ العموم .

ب- ما في الآيات من خطاب للرسول صلى الله عليه وسلم مثل قوله : ﴿ **فاحكم بينهم أو أعرض عنهم** ﴾ [المائدة: 42] ومثل قوله : ﴿ **فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم** ﴾ [المائدة: 48] والخطاب للرسول خطاب لأمته ، فدل على أنها عامة في المسلمين .

متى يكون الحكم بغير ما أنزل كفراً أكبر ؟

بعد ما تبين عموم هذه الآيات ، فهل الحكم بغير ما أنزل الله كفر أكبر ، أو كفر أصغر ؟

إن من شابه حاله حال اليهود الذين نزلت فيهم هذه الآيات في أي زمان ومكان فهو كافر الكفر الأكبر المخرج من الملة . وهذا الحكم لا خلاف فيه بين الصحابة وعلماء الأمة . ولكن عندما استشهدت طائفة الخوارج الضالة بهذه الآية على تكفير فاعل الكبيرة تصدى لها علماء السلف وبينوا أن المقصود من هذه الآيات أن من فعل مثل فعلة اليهود فترك حكم الله وحكم بشرع جديد فهذا هو الذي يكفر الكفر الأكبر . أما من كان ملتزماً لحكم الله ورسوله باطناً وظاهراً ، لكن عصى واتبع هواه فهذا بمنزلة أمثاله من العصاة . فكفره ليس بالكفر الأكبر ولكن كفره كفر أصغر لا يخرج من الملة .

هذا وليست المسألة كما يفهمه بلاعمة العصر ومشايخ الطواغيت وعلماؤهم ، فإنهم لمجرد سماعهم هذه الآيات ، سرعان ما يحملونها على الـ (كفر دون كفر) ، والـ (ظلم دون ظلم) ، والـ (فسق دون فسق) متذرعين بقول ابن عباس رضي الله عنه .!! فقول ابن عباس رضي الله عنه مقولة حق ، لكن يريدون بها إحقاق باطل ، وإبطال حق حيث وضعوها في غير موضعها وحملوها ما لا تحتمل . وسنتطرق لهذه المسألة لاحقاً إن شاء الله .

بيان الأحوال التي يكون فيها الحكم بغير ما أنزل الله كفراً أكبراً

1- الحاكم المنكر لحكم الله .

وهذا الحاكم كافر لأنه أنكر حكم الله .

وهو معنى ما روي عن ابن عباس ، واختاره ابن جرير أن ذلك هو جحود ما أنزل الله من الحكم الشرعي ، وهذا ما لا نزاع فيه بين أهل العلم ، فإن الأصول المتقررة المتفق عليها بينهم أن من جحد أصلاً من أصول الدين ، أو فرعا مجمعا عليه ، أو أنكر حرفا مما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم قطعيا فإنه كافر الكفر الناقل عن الملة .

قال الإمام ابن قدامة في المغني : " ومن اعتقد حل شيء أجمع على تحريمه ، وظهر حكمه بين المسلمين ، وزالت الشبهة فيه للنصوص الواردة فيه ، كلحم الخنزير ، والزنا وأشباه ذلك- مما لا خلاف فيه- كفر ، لما ذكرنا في تارك الصلاة ... " [1]

ويقول الإمام القرافي في الفروق : " وأصل الكفر إنما هو انتهاك خاص لحرمة الربوبية إما بالجهل بوجود الصانع .. وجحد ما علم من الدين بالضرورة كجحد الصلاة والصوم ، ولا يختص ذلك بالواجبات والقربات، بل لو جحد بعض الإباحات المعلومة بالضرورة كفر ،كما لو قال : إن الله تعالى لم يبح التين ولا العنب، ولا يعتقد أن جاحد ما أجمع عليه يكفر على الإطلاق ، بل لا بد أن يكون المجمع عليه مشتهراً في الدين حتى صار ضروريا " [2]

ويقول صاحب نهاية المحتاج في معرض ما يوجب الردة :

" أو كذب رسولاً ... (أو حلل محرماً بالإجماع) قد علم تحريمه من الدين بالضرورة ، ولم يجز خفاؤه عليه (كالزنا) واللواط وشرب الخمر والمكس ، إذ إنكاره ما ثبت ضرورة أنه من دين محمد صلى الله عليه وسلم فيه تكذيب له صلى الله عليه وسلم (وعكسه) أي : حرم حلالا مجمعاً عليه ، وإن كره كذلك كنكاح وبيع ، (أو

---

[1] المغني : 12/ 276 . الطبعة المحققة . دار الهجرة .

[2] الفروق للقرافي 4/ 115- 117 ، ط. الأولى ، 1346 هـ دار إحياء الكتب العربية.

نفى وجوب مجمع عليه) معلوماً كذلك كسجدة من الخمس ، (وعكسه) أو أوجب مجمعاً على نفي وجوبه معلوماً كذلك كصلاة سادسة ، أو نفى مشروعية مجمع على مشروعيته معلوماً كذلك ولو نفلا كالرواتب وكالعيد كما صرح به البغوي " [1]

ويقول ابن تيمية رحمه الله : " إن من لم يعتقد وجوب الصلوات الخمس والزكاة المفروضة وصيام شهر رمضان وحج البيت العتيق ، ولا يحرم ما حرم الله ورسوله من الفواحش والظلم والشرك والإفك ، فهو كافر مرتد يستتاب فإن تاب وإلا قتل باتفاق أئمة المسلمين ولا يغني عنه التكلم بالشهادتين " [2]

2- أن يجحد الحاكم بغير ما أنزل الله أحقية حكم الله ورسوله.

وهذا الحاكم يكفر الكفر الأكبر لاعتقاده بعدم أحقية الحكم بحكم الله ورسوله ﷺ .

قال تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً** ﴾ [النساء: 59]

فهذه الآية الكريمة تبين وبشكل واضح أن المرجع الوحيد الذي يجب على كل مسلم أن يحكمه في كل صغيرة وكبيرة هو حكم الله ورسوله ﷺ . وبناءً على ذلك فمن اعتقد عدم أحقية الحكم بحكم الله ورسوله ﷺ فهو كافر الكفر الأكبر مهما ادعى الإسلام .

3 – الحاكم الذي لم يردّ حكم الله ولم ينكره ولكن اعتقد جواز الحكم بما يخالفه .

فهذا كالذي قبله يكفر الكفر الأكبر ، لاعتقاده جواز ما علم بالنصوص الصحيحة الصريحة القاطعة تحريمه .

قال تعالى : ﴿ **لَقَدْ أَنزَلْنَا آيَاتٍ مُّبَيِّنَاتٍ وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاء إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۞ وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّن بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُوْلَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ۞ وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ۞ وَإِن يَكُن لَّهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ۞ أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ۞ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۞ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ**﴾ [النور: 46-52]

[1] نهاية المحتاج شرح المنهاج : **411/7** ، ط. الحلبي .
[2] مجموع الفتاوى : **313/1**.

4- أن لا يعتقد كونه أحسن من حكم الله ورسوله ، لكن اعتقد أنه مثله .

فهذا كاللذين قبله ، في كونه كافرا الكفر الناقل عن الملة ، لما يقتضيه ذلك من تسوية الخلق بالخالق ، والمناقضة والمعاندة لقوله عز وجل : ﴿ **ليس كمثله شيء** ﴾ [الشورى: 11] ، ونحوها من الآيات الكريمة الدالة علي تفرد الرب بالكمال ، وتنزيهه عن مماثلة المخلوقين في الذات والصفات والأفعال والحكم بين الناس فيما يتنازعون فيه .

5- أن لا يجحد الحاكم بغير ما أنزل الله كون حكم الله ورسوله حقاً ، لكن اعتقد أن حكم غير الرسول صلى الله عليه وسلم أحسن من حكمه ، وأتم وأشمل لما يحتاجه الناس من الحكم بينهم عند التنازع ، إما مطلقاً ، وإما بالنسبة إلى ما استجد من الحوادث ، التي نشأت عن تطور الزمان وتغير الأحوال .

وهذا أيضا لا ريب أنه كفر أكبر ، لتفضيله أحكام المخلوقين التي هي محض زبالة الأذهان وصرف حثالة الأفكار على حكم الحكيم الحميد .

6- من اعتقد أن نظام الإسلام لا يصلح تطبيقه في هذا القرن.

وهذا أيضا لا ريب أنه كفر أكبر ، لأنه اعتقد عدم صلاحية حكم الله ورسوله لكل زمان ومكان .

قال تعالى : ﴿ **وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّه** ﴾ [الشورى: 10] ، وقال تعالى : ﴿ **وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ** ﴾ [الحشر: 7] ، وقال تعالى : ﴿**ولا يشرك في حكمه أحدا** ﴾ [الكهف: 26]

7- أو اعتقد أن الإسلام سبب في تخلف المسلمين .

قال تعالى : ﴿ **ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِّنَ الأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاء الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ . إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا عَنكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ** ﴾ [الجاثية: 18-19] ، وقال تعالى : ﴿ **أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ** ﴾ [الحجرات: 1]

8- أو أن الإسلام ينحصر في علاقة المرء بربه دون أن يتدخل في شؤون الحياة الأخرى .

قال تعالى :﴿ **إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ** ﴾ [يوسف: 67] ، وقال تعالى : ﴿ **أَلاَ لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ** ﴾ [الأنعام: 62] ، وقال تعالى : ﴿ **إِنَّ الأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ** ﴾ [الرعد: 31] ، وقال تعالى : ﴿ **لا تَجْعَلُوا دُعَاء الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاء بَعْضِكُم بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** ﴾ [النور: 63] ، وقال تعالى : ﴿

وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ . وَهُوَ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الأُولَى وَالآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [القصص: 69-70]

9- أو يرى أن إنفاذ حكم الله بقطع يد السارق ، أو رجم الزاني المحصن لا يناسب العصر الحاضر .
قال تعالى :

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالا مُبِينًا﴾ [الأحزاب: 36] ، وقال تعالى : **﴿ فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾** [النساء: 65] وقال تعالى : **﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاء وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾** [القصص: 68]

10- الحاكم الذي يدعي حق التشريع من دون الله .

إن ادعاء حق التشريع من دون الله ، بسن القوانين العامة ، والأنظمة المخالفة لشرع الله متضمن لأمرين :

أحدهما : رفض شريعة الله ، إذ لو لم يرفضها لما استبدل بها غيرها.

الثاني : التعدي على حق من حقوق الله ، وهو حق الحكم والتشريع حيث ادعاه لنفسه.

وينبغي أن يعلم أن هذا الباب يدخل فيه كل من سن القوانين الوضعية العامة وجعلها نظاماً يتحاكم إليه ، سواء جاء بهذا النظام من عنده ، أو استورده بكامله من الشرق أو الغرب أو غيرها من نظم الجاهلية. كل ذلك حكمه واحد.

ويمكن أن نحدد أهمية إفراد الله تعالى بالحكم ، وبيان منزلة الحكم بما أنزل الله من خلال العناصر التالية :

أ- منزلته من توحيد العبادة :

إن الحكم بما أنزل الله تعالى وحده هو إفراد الله تعالى بالطاعة ، والطاعة نوع من أنواع العبادة [1] فلا تصرف إلا لله وحده لا شريك له .

فتحقيق هذه الطاعة ، يكون بإفراد الله تعالى بالحكم والانقياد لشرعه فقط ، وهذا هو حقيقة الإسلام ، فإن من أشرك مع الله في حكمه ، هو كالمشرك في عبادته لا فرق بينهما .

---

[1] بل إن العبادة هي الطاعة كما قال سعيد بن جبير ، انظر : تعظيم قدر الصلاة للمروزي 1/ 346 .

قال تعالى : ﴿إِنْ الْحُكْمُ إلا لِلَّهِ أَمَرَ أَلا تَعْبُدُوا إلا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾ [يوسف: 40] ، وقال تعالى : ﴿ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لا انفِصَامَ لَهَا﴾ [البقرة : 256] ، وقال سبحانه : ﴿ وَهُوَ اللَّهُ لا إِلَهَ إلا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الأُولَى وَالآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القصص:70]

فعبادة الله تعالى تقتضي إفراده عز وجل بالتحليل والتحريم ، حيث قال سبحانه : ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إلا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لا إِلَهَ إلا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: 31].

ب- منزلته من التوحيد العلمي الخبري :

الحكم بما أنزل الله تعالى من توحيد الربوبية ، لأنه تنفيذ لحكم الله الذي هو مقتضى ربوبيته ، وكمال ملكه ، وتصرفه ، ولهذا سمى الله تعالى المتبوعين في غير ما أنزل الله تعالى أربابا لمتبعيهم ، فقال سبحانه :

﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إلا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لا إِلَهَ إلا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: 31].

كما أن حقيقة الرضا بالله ربا ، توجب إفراد الله تعالى بالحكم، واختصاصه تعالى بالخلق والأمر، حيث قال سبحانه : ﴿أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ﴾ [الأعراف: 54] وقال تعالى : ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمْ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [القصص: 68] وقال سبحانه : ﴿ قُلْ إِنَّ الأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ﴾ [آل عمران: 154]

فالأمر كله لله تعالى وحده، سواء كان هذا الأمر أمراً كونياً قدرياً ، أو شرعياً دينياً .

جـ- إضافة إلى ذلك ، فإن " الحَكَم " من أسماء الله تعالى الحسنى، فقد قال ﷺ : (**إن الله هو الحَكَم ، وإليه الحكم**). [1]

وقال تعالى: ﴿ أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا﴾ [الأنعام: 114] ، وقال تعالى : ﴿ ذَلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [الممتحنة:10] ، وقال تعالى : ﴿ فَاصْبِرُوا حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ [الأعراف: 87] ، وقال تعالى : ﴿ وَاصْبِرْ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ [يونس: 109] ، وقال تعالى : ﴿ فَلَنْ أَبْرَحَ الأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ [يوسف: 80] ، وقال تعالى : ﴿ وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ﴾ [هود: 45] ، وقال تعالى : ﴿وَاللَّهُ يَحْكُمُ لا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [الرعد: 41] ، وقال تعالى : ﴿ إِنْ الْحُكْمُ إلا لِلَّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ﴾ [الأنعام: 57] ، وقال عز وجل : ﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ﴾ [التين: 8] ، وإن الإيمان بهذا

---

[1] **رواه أبو داود ، والنسائي .**

الاسم يوجب التحاكم إلى شرع الله وحده لا شريك له، كما قال تعالى : ﴿ **مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا** ﴾ [الكهف : 26] ، وقال سبحانه : ﴿ **وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ** ﴾ [الشورى: 10] ".

11- الحاكم الذي يحكم بالقوانين الوضعية .

إن الحكم بالقوانين الوضعية ينطوي على ثلاثة مناطات مكفِّرة ، كل منها مكفر بذاته ، وقد تجتمع في حق بعض الأفراد، وقد تنفرد في حق البعض الآخر . وهذه المناطات المكفرة هي :

أولاً : - الإعراض عن الحكم بما أنزل الله بترك الحكم به : لأن الحكم بالقوانين الوضعية يلازمه ترك الحكم بما أنزل الله .

قال تعالى: ﴿ **وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمْ الْكَافِرُونَ** ﴾ [المائدة: 44]

فإن الناظر في سبب نزول هذه الآية يتضح له أن الحكم ترتب على ترك جنس الحدّ في الزاني المحصن .. والتشريع أو التواطؤ على غير حد الله في هذا الباب.. فها هنا جريمتان كلاهما مكفر :

- ترك جنس حد الله في الزنا (التوليّ والإعراض عنه).. أي (عدم التزامه).
- والتشريع أو التواطؤ والاجتماع أو متابعة والتزام تشريع آخر في عقوبة الزنا..

فمن ترك جنس [1] الحكم بما أنزل الله ، حتى ولو لم يحكم بغيره يكفر الكفر الأكبر .

ثانياً :- اختراع شرع مخالف لشرع الله : وهى القوانين الوضعية نفسها.

فمن شرع شرعاً يخالف شرع الله ، كفر الكفر الأكبر . لأن التشريع للخلق من أفعال الله تعالى التي لا يصح التوحيد إلا بإفراده بها كما قال تعالى: ﴿ **إن الحكم إلا لله** ﴾ وقال تعالى ﴿ **ولا يُشرك في حكمه أحداً** ﴾. فبناءً على ذلك يكون من شرع للناس من دون الله قد جعل نفسه شريكا لله في ربوبيته وألوهيته ، ويكون قد نصب نفسه رَبّاً للناس وكَفَر بذلك .

قال تعالى : ﴿ **أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنْ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ** ﴾ [الشورى : 21]

فثبت بهذا النص أن من شرع للناس ما لم يأذن به الله فقد جعل نفسه شريكا لله في ربوبيته ، ومن أطاعه في ذلك واتبع التشريع المخالف فقد أشرك بالله .

---

[1] **المقصود بترك جنس الحكم هنا ، ليس ترك عموم الحدود والأحكام الشرعية ، بل من ترك جنس حكم أو حد واحد منها ، كمن يترك تطبيق حد الزنا مطلقاً مثلا – حتى ولم يأت بحكم آخر– فهو كافر كفر إعراض وتولٍّ أو إباءٍ وامتناع عن ذلك الحد .**

وفي تفسير هذه الآية قال ابن كثير رحمه الله : " وقوله جل وعلا **﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنْ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ﴾** : أي هم لا يتبعون ما شرع الله لك من الدين القويم ، بل يتبعون ما شرع لهم شياطينهم من الجن والإنس من تحريم ما حرّموا عليهم من البحيرة والسائبة والوصيلة والحام ، وتحليل أكل الميتة والدم والقمار إلى نحو ذلك من الضلالات والجهالة الباطلة التي كانوا قد اخترعوها في جاهليتهم من التحليل والتحريم والعبادات الباطلة والأموال الفاسدة "[1]

وقال ابن تيمية رحمه الله :

" قال تعالى : **﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنْ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ﴾** [الشورى: 21] فمن ندب إلى شيء يُتَقَرَّب به إلى الله ، أو أوجبه بقوله أو فعله من غير أن يشرعه الله ، فقد شرع من الدين ما لم يأذن به الله ، ومن اتبعه في ذلك فقد اتخذه شريكاً لله ، شرع له من الدين ما لم يأذن به الله)" [2].

وقال تعالى : **﴿ وَلا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا﴾** [الكهف: 26]

فهذه الآية تبين أن من شرع للناس ما لم يأذن به الله فقد شارك الله في تشريع الأحكام لخلقه وجعل نفسه شريكا لله ، تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً ، والله تعالى قد أمر أمراً شرعياً بألا يشاركه أحد في الحكم والتشريع الذي أفرد نفسه به .

وقال تعالى : **﴿ إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾** [التوبة: 37]

والنسيء تشريع مخالف لشريعة الله في الأشهر الحُرُم – وهي رجب وذو القعدة وذو الحجة والمحرم – وقد حرّم الله القتال في هذه الأشهر ، فكانوا في الجاهلية إذا أرادوا القتال في شهر منها جعلوه حلالاً وحرموا بدلاً منه شهراً آخر من أشهر الحِلّ **﴿ لِيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ ﴾**، أي ليوافقوا العدد الذي حرّمه الله . فبيّن الله تعالى أن هذا التشريع المخالف لشرعه هو زيادة في الكفر ، والزيادة في الكفر كفر ، وبهذا يكون من شرع ما يخالف شرع الله كافراً .

قال ابن حزم رحمه الله – : " وقال عز وجل : **﴿ إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾** [التوبة: 37] ، وبحكم اللغة التي نزل بها القرآن أن الزيادة في الشيء لا تكون إلا منه ، لا من غيره ، فصح أن النسيء كفر وهو عمل من الأعمال ، وهو تحليل ما حرّم الله تعالى ، فمن أحلّ ما حرّم الله تعالى – وهو عالم بأن الله تعالى حرّمه فهو كافر بذلك الفعل نفسه " [3] .

---

[1] **تفسير ابن كثير: 4/ 111.**

[2] **اقتضاء الصراط المستقيم ص 267، ط. المدني.**

[3] **الفصل لابن حزم : 3/ 245 ط المحققة.**

وهذا تصريح من ابن حزم أن تحليل ما حرّم الله وتحريم ما أحلّ الله كفر ، وأنه قد يكون بالفعل فقط دون الاعتقاد وذلك إذا صدر من عالم بالحكم الشرعي ، ثم خالفه بتحليل ما حرّم الله أو تحريم ما أحلّ الله .

وللإمام الشاطبي رحمه الله كلام كثير في هذا الموضوع ، ومن ذلك أنه حين تكلم عن أهل البدع ، وذكر قوله تعالى :﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تُحَرِّمُواْ طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللّهُ لَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُواْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ**﴾ [المائدة: 87] وذكر ما يتعلق بذلك من أسباب النزول ، وما عزم عليه بعض الصحابة من ترك النكاح أو ترك أكل اللحم ... قال :-

" فصل : ويتعلق بهذا الموضع مسائل :

أحدها : أن تحريم الحلال وما أشبه ذلك يتصور في أوجه :

أ- التحريم الحقيقي- وهو الواقع من الكفار- كالبحيرة والسائبة والوصيلة والحام ، وجميع ما ذكر الله تعالى تحريمه عن الكفار بالرأي المحض ومنه قوله تعالى : ﴿ **وَلاَ تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَـذَا حَلاَلٌ وَهَـذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُواْ عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ لاَ يُفْلِحُونَ** ﴾ [النحل: 116] ، وما أشبهه من التحريم الواقع في أهل الإسلام رأيا مجردا "[1] ... إلى آخر المسائل .

وهذا تنبيه من الإمام الشاطبي إلى التفريق بين ما تركه الإنسان زهداً وبين التحليل والتحريم المخالف لشرع الله الذي هو كفر ، وقد قرن بين فعل أهل الجاهلية من تحريم البحائر والسوائب ونحوها ، وما قد يفعله أهل الإسلام من التحليل والتحريم بالرأي المجرد . وهذا هو عين ما يفعله أصحاب القوانين الوضعية.

وقد أوضح الإمام الشاطبي هذا في موضع آخر فقال :

" إن البدع إذا تؤمل معقولها وجدت رتبها متفاوتة فمنها : ما هو كفر صراح كبدعة الجاهلية التي نبّه عليها القرآن كقوله تعالى : ﴿**وَجَعَلُواْ لِلّهِ مِمِّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُواْ هَـذَا لِلّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَـذَا لِشُرَكَآئِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلاَ يَصِلُ إِلَى اللّهِ وَمَا كَانَ لِلّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَآئِهِمْ سَاء مَا يَحْكُمُونَ** ﴾ [الأنعام: 136] وقوله تعالى : ﴿ **وَقَالُواْ مَا فِي بُطُونِ هَـذِهِ الأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا وَإِن يَكُن مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاء سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ إِنَّهُ حِكِيمٌ عَلِيمٌ** ﴾ [الأنعام: 139] ، وقوله تعالى : ﴿**مَا جَعَلَ اللّهُ مِن بَحِيرَةٍ وَلاَ سَآئِبَةٍ وَلاَ وَصِيلَةٍ وَلاَ حَامٍ وَلَـكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ يَفْتَرُونَ عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ**﴾ [المائدة : 103] ، وكذلك بدعة المنافقين حيث اتخذوا الدين ذريعة لحفظ النفس والمال ، وما أشبه ذلك مما لا يشك أنه كفر بواح "[2] .

فما الذي يدخل في قوله : (وما أشبه ذلك) ؟ لا شك أن القوانين الوضعية المخالفة لشرع الله تدخل دخولا أولياً ، والسبب أن هذه القوانين مثل قوانين الجاهلية تشريع من دون الله .

---

[1] **الاعتصام :1/ 328.**

[2] **الاعتصام : 2/ 37 .**

وقال تعالى : ﴿ **اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لا إِلَهَ إِلا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ** ﴾ [التوبة: 31]

روي الإمام أحمد والترمذي وابن جرير من طرق عن عَدِيّ بن حاتم رضي الله عنه أنه لما بلغته دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم فَرَّ إلى الشام ، وكان قد تنصَّر في الجاهلية ، فأُسِرَت أختُه وجماعة من قومه ، ثم مَنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم على أخته وأعطاها فرجعت إلى أخيها فَرَغَّبته في الإسلام وفي القدوم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتقدّم عدي إلى المدينة وكان رئيساً في قومه طيء ، وأبوه حاتم الطائي المشهور بالكرم ، فتحدث الناس بقدومه ، فدخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي عُنُق عدي صليب من فضة وهو — الرسول – يقرأ هذه الآية ﴿ **اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ** ﴾ قال — عدي – : فقلت : إنهم لم يعبدوهم ، فقال صلى الله عليه وسلم : " **بلى ، إنهم حرّموا عليهم الحلال وأحَلّوا لهم الحرام فاتبعوهم ، فذلك عبادتهم إياهم** " .

وحديث عدي بن حاتم هذا حسّنه الترمذي ، وحسّنه أيضا ابن تيمية في مجموع الفتاوى 7/ 67.

وموضع الدلالة من هذه الآية والحديث الوارد في تفسيرها في المناط الذي نتحدث عنه وهو (التشريع من دون الله) : أنّ مَنْ فعل هذا فأحلّ الحرام وحَرَّم الحلال وشرع ما لم يأذن به الله فقد جعل نفسه رَبّاً للناس من دون الله وكفى به كفراً مبيناً.

قال ابن كثير رحمه الله : " وهكذا قال حذيفة ابن اليمان وعبد الله ابن عباس وغيرهما في تفسير ﴿ **اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ** ﴾ انهم اتبعوهم فيما حللوا وحرّموا ، وقال السُّدّي : استنصحوا الرجال ونبذوا كتاب الله وراء ظهورهم ، ولهذا قال تعالى : ﴿ **وَمَا أُمِرُوا إِلا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا** ﴾ أي الذي إذا حَرّم الشيء فهو الحرام وما حَلّله فهو الحلال وما شرعه اتُّبع وما حَكَم به نفذ، ﴿ **لا إِلَهَ إِلا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ** ﴾ أي تعالى وتقدّس وتنزه عن الشركاء والنظراء والأعوان والأضداد والأولاد، لا إله إلا هو، ولا ربّ سواه "[1] .

وقال تعالى : ﴿ **قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلا نَعْبُدَ إِلا اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ** ﴾ [آل عمران: 64]

قال الإمام القرطبي رحمه الله في تفسيرها : " قوله تعالى : ﴿ **وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ** ﴾ أي نتبعه في تحليل شيء أو تحريمه إلا فيما حلّله الله تعالى ، وهو نظير قوله تعالى : ﴿ **اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ** ﴾ معناه أنهم أنزلوهم منزلة ربهم في قبول تحريمهم وتحليلهم لِمَا لم يحرّمه الله ولم يُحلّه الله " . اهـ.

فالآية نصٌّ في أن من شرع للناس من دون الله فقد جعل نفسه رباً لهم.

---

[1] **تفسير ابن كثير : 2/ 348 –349.**

فهذه النصوص تبيّن بجلاء أن من شَرَّعَ للناس من دون الله فقد جعل نفسه شريكا لله ، وجعل نفسه رباً للناس ، وكفر بذلك . فمن أطاعه في ذلك واتبعه فقد عبده واتخذه رباً من دون الله.

ثالثا : - الحكم بالشرع المخالف لشرع الله ، أو الحكم بالقوانين الوضعية :

فمن حَكَم بشرع مخالف لشرع الله كرؤساء الدول والقضاة ومن في حكمهم ، أو أجاز الحكم بها كرؤساء الدول الآمرين بالحكم بها وكأعضاء البرلمانات المسؤولين عن إقرار السياسة العامة للدولة ،كل هؤلاء كفار لقيام المناط المكفر – وهو الحكم بالشرع المخالف لشرع الله – بهم ، إما بالمباشرة منهم للحكم بذلك وإما لإجازتهم أو أمرهم للحكم به .

قال تعالى : ﴿ **وَلا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرْ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ** ﴾ [الأنعام: 121] ، وقال تعالى : ﴿ **أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلالا بَعِيدًا** ﴾ إلى قوله ﴿ **فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا** ﴾ [النساء: 60 – 65]

عندما جاء الإسلام كان المشركون يطبقون في حياتهم العادات الجاهلية وأحكام طواغيتهم ورؤساء قبائلهم ، أما أهل الكتاب اليهود والنصارى فقد حرفوا كتبهم وغيروا أحكامها فكانوا يسيرون في حياتهم حسب أهواء رجال دينهم وحكامهم فكانوا يطبقون في حياتهم ما يمليه عليهم رجال الدين والحكام على غير بصيرة من الله وفيهم نزلت آية (44) من سورة المائدة. وكان القرآن ينزل على المسلمين محذراً من طاعة المشركين أو أهل الكتاب ، أو اتباعهم على ما عندهم من أحكام كافرة ، وأن من فعل مثل فعلهم فهو مثلهم . لهذا فإنه لم يتحاكم أحد من المسلمين لا في مكة ولا في المدينة لغير حكم الله ورسوله ، سوى ما يقع لبعض المنافقين ، وقد فضحهم الله في هذه المسألة – أي مسألة التحاكم – في آيات كثيرة ، وكشف عوارهم ، حتى صار من أبرز صفاتهم رفض التحاكم إلى الكتاب والسنة ، وتحاكمهم إلى غيرهما من الطواغيت .

فكل مسلم يعلم حق العلم أن من شروط دخول الإسلام وتحقيق التوحيد ، التسليم والقبول والخضوع لحكم الله ورسوله والتحاكم لهما في كل صغيرة وكبيرة وعدم التحاكم إلى غيرهما في جميع الأحوال والمجالات. لأن التحاكم إلى غير شرع الله في أي مسألة ينقض أصل التوحيد ، فالتحاكم إلى الطاغوت إيمان به وكفر بالله بنص آية (60) من سورة النساء . وهذه المسألة متفق عليها بين جميع الفرق والمذاهب الإسلامية لأن لها علاقة مباشرة بأصل الدين الذي لا يقوم الدين بدونه .

هذا ولقد أجمع العلماء على كفر الحاكم بالقوانين الوضعية ولو لم يستحل ذلك ، كما حكاه غير واحد من العلماء ومن هؤلاء الإمام ابن تيمية وابن القيم والحافظ ابن كثير رحمهم الله تعالى .

يقول الإمام ابن تيمية – رحمه الله – : " والإنسان متى حلّل الحرام – المجمع عليه– أو حرّم الحلال– المجمع عليه – أو بدّل الشرع – المجمع عليه – كان كافرا باتفاق الفقهاء " [1] .

ويقول – رحمه الله – أيضا : " ومعلوم أن من أسقط الأمر والنهي الذي بعث الله به رسله فهو كافر باتفاق المسلمين واليهود والنصارى " [2].

ويقول ابن القيم – رحمه الله – : " وقد جاء القرآن وصحّ الإجماع بأن دين الإسلام نسخ كل دين قبله ، وأن من التزم ما جاءت به التوراة والإنجيل ، ولم يتبع القرآن فهو كافر " [3].

ويقول ابن كثير– رحمه الله – في تفسير قوله تعالى ﴿ **أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ**﴾ [المائدة: 50] :

" ينكر تعالى على من خرج عن حكم الله المشتمل على كل خير الناهي عن كل شر وعَدَلَ إلى ما سواه من الآراء والأهواء والاصطلاحات التي وضعها الرجال بلا مستند من شريعة الله ، كما كان أهل الجاهلية يحكمون به من الضلالات والجهالات مما يضعونها بآرائهم وأهوائهم ، وكما يحكم به التتار من السياسات الملكية المأخوذة عن ملكهم جنكيزخان الذي وضع لهم الياسق ، وهو عبارة عن كتاب مجموع من أحكام قد اقتبسها عن شرائع شتى من اليهودية والنصرانية والملة الإسلامية وغيرها، وفيها كثير من الأحكام أخذها من مجرد نظره وهواه ، فصارت في بنيه شرعا متبعا يقدمونها على الحكم بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، فمن فعل ذلك فهو كافر يجب قتاله حتى يرجع إلى حكم الله ورسوله فلا يحكم سواه في قليل ولا كثير . قال تعالى: ﴿ **أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ** ﴾ أي يبتغون ويريدون وعن حكم الله يعدلون ، ﴿ **وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ** ﴾ أي ومن أعدل من الله في حكمه لمن عقل عن الله شرعه وآمن به وأيقن وعلم أن الله أحكم الحاكمين ، وأرحم بخلقه من الوالدة بولدها فإنه تعالى هو العالم بكل شيء القادر على كل شيء العادل في كل شيء " [4].

ويقول ابن كثير – رحمه الله – : " فمن ترك الشرع المحكم المنزل على محمد بن عبد الله خاتم الأنبياء عليه الصلاة والسلام ، وتحاكم إلى غيره من الشرائع المنسوخة كفر، فكيف بمن تحاكم إلى الياسا وقدمها عليه ؟ من فعل ذلك كفر بإجماع المسلمين " [5]

---

[1] **مجموع الفتاوى : 3 / 267.**

[2] **مجموع الفتاوى : 8/ 106.**

[3] **أحكام أهل الذمة : 1/ 259.**

[4] **تفسير ابن كثير : 67/2.**

[5] **تفسير ابن كثير .**

هذه حكايات الأئمة الإجماع على كفر من حكم وتحاكم إلى غير الشريعة الإسلامية . والقوانين الوضعية ليست شرائع منسوخة وإنما هي أشبه ما تكون بياسق التتار المجموع من الشرائع اليهودية والنصرانية والملة الإسلامية .

بل القوانين الجاهلية الحديثة أشد كفراً من ياسق التتار فالحكم على من حكم بها بالكفر أولى .

قال ابن كثير- رحمه الله - بعد ذكر كتاب الياسق وذكر بعض ما ورد فيه من أحكام :

" وفي ذلك كله مخالفة لشرائع الله المنزّلة على عباده الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، فمن ترك الشرع المحكم المنزّل على محمد بن عبد الله خاتم الأنبياء وتحاكم إلى غيره من الشرائع المنسوخة كفر ، فكيف بمن تحاكم إلى الياسا وقدَّمها عليه ؟! من فعل ذلك كَفَر بإجماع المسلمين . قال تعالى : **﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾** ، وقال تعالى : **﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلالا بَعِيدًا﴾** صدق الله العظيم). اهـ [1]

فإن قال قائل فأين العلماء قبل ابن تيمية وابن كثير عن هذه المسألة وحكاية الإجماع حولها ؟

فنقول : لم تعرف الأمة الإسلامية تغيير للشرع وحكما بالقوانين الوضعية قبل مجيء التتار بقانونهم الياسق الذي جعلوه قانونا يتحاكمون إليه ، مع ملاحظة أنهم لم يلزموا بقية الأمة الإسلامية بالتحاكم إليه ، بل بقيت الأقطار الإسلامية في زمنهم لا تحكم إلا بالشرع المطهر ، سوى حوادث فردية من الجور والظلم الذي يقع من بعض الولاة أو القضاة . لكن لما صار هؤلاء التتار ملتزمين بقانون جدهم مع ادعائهم الإسلام تصدى الأئمة لبيان حالهم وحكم الله فيهم ومنهم الإمام ابن تيمية .

ولقد ذكر الإمام الجويني (419- 478هـ) عن بعض الزنادقة في عصره (مما يمكن أن يسموا بالعلمانيين) فقال مخاطباً غياث الدولة نظام الملك الوزير العباسي المشهور محذراً له من فتنتهم - :

" ومما أنهيه إلى صدر العالم بعد تمهيد الاطلاع على أخبار البقاع والأصقاع فتنة هاجمة في الدين ، لو لم تتدارك لتقاذفت إلى معظم المسلمين ولتفاقمت غائلتها ، وأعضلت واقعتها ، وهي من أعظم الطوام على العوام.

وحق على من أقامه الله تعالى ظهراً للإسلام أن يستوعب في رحض [2] الملة عنها الليالي والأيام ، وأقصى اقتداري فيه إنهاؤها كما نبغ ابتداؤها ، وعلى من ملكه الله أعنة الملك التشمير لإبعاد الخلق عن أسباب الهلك .

قد نشأ - حرس الله أيام مولانا - ناشئة من الزنادقة والمعطلة وانبثوا في المخاليف[3] والبلاد ، وشمروا لدعوة العباد إلى الانسلاخ عن مناهج الرشاد ، واستندوا إلى طوائف من المرموقين المغترين ، وأضحى أولئك عنهم ذابين

---

[1] (البداية والنهاية) لابن كثير: **13/ 119**.

[2] **في حاشية المحقق : م : دحض ، والمثبت من باقي النسخ ، والرحض : هو الغسل .**

[3] **جمع مخلاف : وهو الكورة ، وهي كالمديرية أو المحافظة في الاصطلاح الحديث .**

، ولهم منتصرين ، وصار المغترون بأنعم الله وترفة المعيشة يتخذون فكاهة مجالسهم ، وهزو مقاعدهم – الاستهانة بالدين ، والترامز والتغامز بشريعة المسلمين ، وتعدى أثر ما يلابسونه إلى أتباعهم وأشياعهم من الرعاع المقلدين ، وفشا في عوام المسلمين شبه الملحدين وغوائل الجاحدين ، وكثر التخاوض والتفاوض في مطاعن الدين ... " [1]

فمن يقصد الجويني بهؤلاء الزنادقة ؟ هل هم الباطنية أو غيرهم ؟ كل هذا محتمل، ولكن كلامه في موضع آخر قد يدل على أنه قصد أناسا غير الباطنيين .

قول الإمام الجويني رحمه الله : " وعلى الجملة من ظن أن الشريعة تتلقى من استصلاح العقلاء ومقتضى رأي الحكماء فقد رد الشريعة واتخذ كلامه هذا إلى رد الشرائع ذريعة . ولو جاز ذلك لساغ رجم من ليس محصنا إذا زنا في زمننا هذا لما خيله هذا القائل ، ولجاز القتل بالتهم إذا ظهرت في الأمور الخطيرة ، ولساغ إهلاك من يخاف غائلته في بيضة الإسلام إذا ظهرت المخايل والعلامات وبدت الدلالات ، ولجاز الازدياد على مبالغ الزكوات عند ظهور الحاجات ...

وهذه الفنون في رجم الظنون ، ولو تسلطت على قواعد الدين لاتخذ كل من يرجع إلى مسكة من عقل فكره شرعاً ، ولانتحاه ردعا ومنعا ، فتنتهض هواجس النفوس حالة محل الوحي إلى الرسل ، ثم يختلف ذلك باختلاف الأزمنة والأمكنة فلا يبقى للشرع مستقر وثبات ... " [2]

وواضح أن الشيخ يقصد بعض الذين يرون أن القوة والقسوة مع أهل الكبائر – ونحوهم – أردع لهم ، فيريدون أن يزيدوا في الأحكام الشرعية كرجم الزاني غير المحصن ، أو القتل بمجرد التهم ونحوها. وانظر إلى كلامه في هؤلاء – مع حسن نياتهم – يقول : " فإن سطا معتد وتعدى مراسم الشرع ، فلير ذلك حيداً عن دين المصطفى صلى الله عليه وسلم على القطع ، ومن اعتدى عالما أنه ارتكب ذنباً واقتحم حوباً فهو عاص غير آيس من رحمة الله تعالى .

والويل كل الويل لمن يقترف الكبائر ويراها بمقتضى الاستصواب الذي عنَّ له من دين المصطفى ، فالحق المتبع ما فعله الإثبات عن سيد الورى ، وما سواه محال. وماذا بعد الحق إلا الضلال ؟

وما أقرب هذا المسلك من عقد من يتخذ سنن الأكاسرة والملوك المنقرضين عمدة الدين ، ومن تشبث بهذا فقد انسل عن ربقة الدين انسلال الشعرة من العجين " [3]

وما أشبه كلام الإمام الجويني هذا بالقوانين الوضعية التي عمت بلاد المسلمين ، فإنها شرائع وسنن وقوانين الغرب الكافر من نصارى وغيرهم ، وقد حكم الإمام الجويني على من يتخذ سنن الأكاسرة مرجعاً وعمدة في الدين بالكفر والخروج من الدين .

---

[1] الغياثي للجويني : ص 381– 382 ، ت. د. عبد العظيم الديب.

[2] الغياثي للجويني : ص 220– 221.

[3] الغياثي للجويني : ص 221–222.

فهذا كلامه – رحمه الله – في أناس حاولوا وأرادوا ، وما نجحوا في مرادهم ، بل بقيت الأمة الإسلامية في عهد الجويني ومن بعده لا تحكم إلا بشرع الله ، وإن كان يقع ما يقع من ظلم وجور وفشو منكرات ، لكن حكم الله وشرعه هو الحاكم السائد .

وبقي الحال على ذلك حتى جاء التتار بقانونهم الياسق وتحاكموا إليه دون الشرع مع انتسابهم إلى الإسلام . فكانت من الحوادث النازلة الجديدة التي لم تعرف من قبل بهذا المستوى .

وقد تصدى لها العلماء وأفتوا فيها من خلال معرفتهم بحال الياسق وأحكامه القانونية ، ومن خلال معرفة حكم الله في ذلك .

ويلاحظ أنه سرعان ما اندثر هذا القانون ، ولم يعد يحكم به حكماً عاماً ، ولعل سبب ذلك فتاوى العلماء القوية في ذلك وحسمهم للموضوع ، كما أن من أسبابه انصهار التتار في الأمة الإسلامية وتفرقهم فيها .

ثم إن شريعة الله تَعَالى قد كانت هي الحاكمة في بلاد المسلمين ولقرون عديدة ، ويومها كان المسلمون أعزّة كراماً يُرهبون عدوَّ الله وعدوهم .. إلى أن جاء هؤلاء السفهاء من الحكام أذناب الغرب وأعداء الإسلام ، جاءوا – لا أبقاهم الله – في غفلة من الأمة وركون من أبنائها .. واستبدلوا الذي هو أدنى بالذي هو خير ، فنبذوا الشريعة وأحلوا محلها القانون الوضعي الوضيع الكافر . كما فعل أعداؤنا التتار يوم استولوا على ممالك المسلمين ، حيث حكموا سياستهم الملكية المأخوذة عن ملكهم (جنكيزخان).

يقول المقريزي عن نشوء الياسق :

" ... وذلك أن جنكيز خان القائم بدولة التتر في بلاد الشرق لما غلب الملك أونك خان ، وصارت له دولة قرر قواعد وعقوبات أثبتها في كتاب سماه ياسه ، ومن الناس من يسميه يسق ، والأصل في اسمه ياسه ، ولما تم وضعه كتب ذلك نقشاً في صفائح الفولاذ ، وجعله شريعة لقومه ، فالتزموه بعده حتى قطع الله دابرهم ، وكان جنكيز خان لا يتدين بشيء من أديان أهل الأرض ..." [1]

وقد نقل القلقشندي عن علاء الدين الجويني فقال : " .. ثم الذي كان عليه جنكيز خان في التدين وجرى عليه أعقابه بعده الجري على منهاج ياسه التي قررها ، وهي قوانين ضمنها من عقله وقررها من ذهنه ، رتب فيها أحكاماً وحدد فيها حدوداً ربما وافق القليل منها الشريعة المحمدية ، وأكثره مخالف لذلك سماها الياسه الكبرى ، قد اكتتبها وأمر أن تجعل في خزانته تتوارث عنه في أعقابه وأن يتعلمها صغار أهل بيته " [2]

يقول الشيخ محمد حامد الفقي في تعليقه على الياسق في هامش فتح المجيد قال :-

" ومثل هذا وشر منه ، من اتخذ من كلام الفرنجة قوانين يتحاكم إليها في الدماء والفروج والأموال ويقدمها على ما علم وتبين له من كتاب الله ﷻ وسنة رسوله ﷺ ، فهو بلا شك كافر ، مرتد إذا أصر عليها ولم يرجع

---

[1] **المقريزي الخطط : 220/2.**

[2] **المقريزي الخطط : 310/4 ، كتاب الجويني – تاريخ فاتح العالم : 62/1-63.**

إلى الحكم بما أنزل الله ، ولا ينفعه أي اسم تسمى به ، ولا أي عمل من ظواهر أعمال الصلاة والصيام والحج ونحوها ." اهـ [1]

يقول الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ :-

" إن من الكفر الأكبر المستبين ، تنزيل القانون اللعين منزلة ما نزل به الروح الأمين على قلب محمد ﷺ ليكون من المنذرين ، بلسان عربي مبين في الحكم به بين العالمين ، والرد إليه عند تنازع المتنازعين ، مناقضة ومعاندة لقول الله ﷻ :

﴿ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرّسُولِ إِن كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً ﴾ [سورة النساء: 59]

ثم يقول : أما الأول وهو كفر الاعتقاد فهو أنواع :

... الخامس :- وهو أعظمها وأشملها وأظهرها معاندة للشرع ، ومكابرة لأحكامه ، ومشاقة لله ولرسوله ، ومضاهاة بالمحاكم الشرعية ، إعداداً وإمداداً وإرصاداً وتأصيلاً ، وتفريعاً وتشكيلاً وتنويعاً وحكماً وإلزاماً ، ومراجع ومستندات ، فكما أن للمحاكم الشرعية مراجع مستمدات ، مرجعها كلها إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ فلهذه المحاكم مراجع ، هي : القانون الملفق من شرائع شتى ، وقوانين كثيرة ، كالقانون الفرنسي ، والقانون الأمريكي ، والقانون البريطاني ، وغيرها من القوانين ، ومن مذاهب بعض البدعيين المنتسبين إلى الشريعة وغير ذلك .

فهذه المحاكم الآن في كثير من أمصار الإسلام مهيأة مكملة ، مفتوحة الأبواب ، والناس إليها أسراب إثر أسراب ، يحكم حكامها بينهم بما يخالف حكم السنة والكتاب ، من أحكام ذلك القانون ، وتلزمهم به ، وتقرهم عليه ، وتحتمه عليهم . فأي كفر فوق هذا الكفر ، وأي مناقضة للشهادة بأن محمداً رسول الله بعد هذه المناقضة.

وذكر أدلة جميع ما قدمناه على وجه البسط معلومة معروفة ، لا يحتمل ذكرها هذا الموضع ، فيا معشر العقلاء ! ويا جماعات الأذكياء وأولي النهى ! كيف ترضون أن تجري عليكم أحكام أمثالكم وأفكار أشباهكم ، أو من هم دونكم ، ممن يجوز عليهم الخطأ ، بل خطأهم أكثر من صوابهم بكثير ، بل لا صواب في حكمهم إلا ما هو مستمد من حكم الله ورسوله ، نصاً أو استنباطاً ، تدعونهم يحكمون في أنفسكم ودمائكم وأبشاركم ، وأعراضكم وفي أهاليكم من أزواجكم وذراريكم ، وفي أموالكم وسائر حقوقكم ، ويتركون ويرفضون أن يحكموا فيكم بحكم الله ورسوله ، الذي لا يتطرق إليه الخطأ ، ولا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ، وخضوع الناس ورضوخهم لحكم ربهم خضوع ورضوخ لحكم من خلقهم تعالى ليعبدوه ، فكما لا يسجد الخلق إلا لله ، ولا يعبدون إلا إياه ، ولا يعبدون المخلوق ، فكذلك يجب أن لا يرضخوا ولا يخضعوا أو ينقادوا إلا لحكم الحكيم العليم الحميد ، الرؤوف الرحيم ، دون حكم المخلوق ، الظلوم الجهول ، الذي أهلكته الشكوك والشهوات والشبهات ، واستولت على قلوبهم الغفلة والقسوة والظلمات ، فيجب على العقلاء أن يربأوا بنفوسهم

[1] **فتح المجيد ، الحاشية.**

عنه ، لما فيه من الاستعباد لهم ، والتحكم فيهم بالأهواء والأغراض ، والأغلاط والأخطاء ، فضلاً عن كونه كفراً بنص قوله تعالى :

﴿ وَمَن لّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾ [سورة المائدة: 44]

السادس :- ما يحكم به كثير من رؤساء العشائر ، والقبائل من البوادي ونحوهم ، من حكايات آبائهم وأجدادهم ، وعاداتهم التي يسمونها (سلومهم) يتوارثون ذلك منهم ، ويحكمون به ويحرصون على التحاكم إليه عند النزاع ، بقاءً على أحكام الجاهلية ، وإعراضاً ورغبةً عن حكم الله ورسوله ، فلا حول ولا قوة إلا بالله ." [1]

لقد تبين من الأدلة وأقوال العلماء الإجماع على أن التحاكم إلى الشرائع المنسوخة كفر ، فكيف بمن تحاكم إلى الياسا وقدمها على شرع الله ؟! لا شك أن من فعل ذلك كفر بإجماع المسلمين .. والقوانين المعاصرة ليست شرائع منسوخة وإنما هي أشبه ما تكون بياسق التتار المجموع من الشرائع اليهودية والنصرانية والملة الإسلامية. بل القوانين الوضعية الحديثة أشد كفراً من ياسق التتار .

وبهذا ترى أن كفر الحكام بالقوانين الوضعية – الوضيعة – لا يعتمد على دليل واحد ، بل تعاضدت الأدلة على بيان كفرهم من عدة أوجه ، وذلك لأن مسائل التشريع والحكم والتحاكم هي من مسائل الدين الكبار الداخلة في أصل الإيمان وفي تحقيق التوحيد ، فبيّن الله كُفْر المخالف فيها بأكثر من دليل قطعي الدلالة بما يبين لك أن كفرهم هو كفر على كفر ليس كفراً دون كفر كما يزعمه بعض من لا علم لهم ، " ظلمات بعضها فوق بعض ".

[1] **تحكيم القوانين : ص 5-8.**

متى يكون الحكم بغير ما أنزل الله كفراً أصغر (كفر دون كفر)

لما كان الراجح عموم هذه الآيات ، فهل الحكم بغير ما أنزل الله كفر أكبر ، أو كفر أصغر ؟ الراجح – الذي عليه جمهور العلماء – التفصيل :

إن آية المائدة مع بيان سبب نزولها ؛ نصٌّ في الحكم بغير ما أنزل الله بنوعه الشركي الطاغوتي . وإن ظاهرها وعمومها يدخل فيه النوع الآخر الذي اختلف فيه السلف.

فالنوع الشركي الطاغوتي هو مناط الآية وسبب نزولها ولذلك أبقى العلماء الكفر فيها على حقيقته ، لأن الأصل في ألفاظ القرآن حقيقتها ، وكذلك الأصل في الكفر المعرّف في اللغة ، حقيقة الكفر ولا يصرف إلى المجاز أي : (الكفر الأصغر) إلا بدليل .

أما النوع الآخر الذي هو ليس بالكفر الأكبر إلا أن مُسمّاه داخل تحت عموم لفظ الآية ، ولذلك استدل بها عليه من استدل من الخوارج ، ولم يعتبروا تفسير سبب النزول لها حتى قام بعضهم بتكفير كل من عصى الله ، إذ كل من عصى فقد حكم بغير ما أنزل الله عندهم .. وأوَّل السلف الكفر فيها عند ردهم على الخوارج الذين أنزلوها في غير مناطها فقالوا لهم : " ليس الكفر الذي تذهبون إليه " فهذه المقالة وأمثالها ليست تفسيراً من السلف للآية ، فقد عرفت تفسير الآية من سبب النزول .. وإنما ذلك ردّ منهم على الخوارج الذين وضعوها في غير مناطها..

فالحق أن تبقى على ظاهرها في مناطها وصورة سبب نزولها.. وأن تؤوَّل في غير مناطها ..

فإن الناظر في سبب النزول يتضح له أن الحكم ترتب على ترك جنس الحدّ في الزاني المحصن .. والتشريع أو التواطؤ على غير حد الله في هذا الباب.. فها هنا جريمتان كلاهما مكفر :

- ترك جنس حد الله في الزنا (التوليّ والإعراض عنه).. أي (عدم التزامه).
- والتشريع أو التواطؤ والاجتماع أو متابعة والتزام تشريع آخر في عقوبة الزنا ..

وهذا هو الكفر الذي تحدثت عنه الآيات وسواء بعد ذلك ، طبّق التشريع المبدّل مرة واحدة أو مرات عديدة ، أو لم يطبق في بعض الأحوال ، فذلك الإعراض عن جنس حد من حدود الله كفر أكبر ، والتشريع لعقوبة أخرى فيه كفر أكبر أيضاً ، ومتابعة ذلك التشريع والتزامه كفر أكبر .

فالصحيح أن تفصيل الأئمة صواب في مناطه ..

وأن الخطأ الذي وقع فيه أكثر المعاصرين هو خلطهم لأقاويل الأئمة في ترك الحكم بما أنزل الله بالصورة القديمة .. بصورة الحكم بغير ما أنزل الله الطاغوتية التشريعية في زماننا .

أما من يفرّق بين هذا وذاك ، فلن يستشكل كلام ابن عباس ولا غيره ، وسيحمل كلامه هذا على الصورة غير المكفرة ، وبالتالي فلن يستنكر اشتراطه للجحد في التكفير فيها ..

وهذه الصورة غير المكفّرة ضابطها كما ورد في عبارات السلف من أن يكون المرء ملتزماً بشرع الله وأن ذلك دينه الذي يدين به ومعنى هذا أنه لا يتحاكم عند تركه الحكم في الواقعة إلى غير شرع الله وأن أصل حكمه وعمومه هو حكم الله ، وأنه إذا خالف عرف أنه قد ارتكب ذنباً ، ومعنى ذلك أنه لم يترك جنس حكم الله ولا تولى عنه أو أعرض بالكلية ..

يقول الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ (1389هـ) المفتي المشهور : " وأما القسم الثاني من قسمي كفر الحاكم بغير ما أنزل الله ، وهو الذي لا يخرج من الملة ، فقد تقدم أن تفسير ابن عباس رضي الله عنهما لقول الله عز وجل : ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾. قد شمل ذلك القسم وذلك في قوله رضي الله عنه في الآية : "كفر دون كفر " وقوله أيضا : " ليس الكفر الذي تذهبون إليه ". وذلك أن تحمله شهوته وهواه على الحكم في القضية بغير ما أنزل الله ، مع اعتقاده أن حكم الله ورسوله هو الحق ، واعترافه على نفسه بالخطأ ومجانبة الهدى . وهذا وإن لم يخرجه كفره عن الملة فإنه معصية عظمى أكبر من الكبائر كالزنا وشرب الخمر والسرقة واليمين الغموس وغيرها ، فإن معصية سماها الله في كتابه كفراً أعظم من معصية لم يسمها كفرا " [1].

وكلام العلماء يدل على أن الحاكم الذي لا يحكم بما أنزل الله يكون مسلماً فاسقاً ، أو كافراً كفراً غير مخرج عن الملة ما دام يتحقق فيه الشروط التالية ، فإذا تخلف شرط منها أو جميعها لم يكن مسلماً :

أ– أن يكون عدم الحكم بما أنزل الله في قضية معينة أي ليس منهجاً وسنة حياة . أي يجب أن يكون ملتزماً بشرع الله وأن ذلك دينه الذي يدين به ومعنى هذا أنه لا يتحاكم عند تركه الحكم في الواقعة إلى غير شرع الله ، وأن أصل حكمه وعمومه هو حكم الله . فهو مثلاً عندما يحكم في سارق يعرف أنه سرق – ونحن نفترض أنه في هذه القضية المعينة في حالة الهوى والمعصية – لا يقول أنه يحكم عليه بالجلد مثلاً لأن عقوبة السرقة هي الجلد ،

[1] تحكيم القوانين : ص 7.

بل يقول أن الجاني (المدعى عليه) لم يسرق بل احتال على صاحب العين المسروقة ، وحكمنا عليه بالجلد تعزيراً له لتغريره المدعي . فهو في هذه الحالة غير الواقعة ثم حكم على الواقعة الجديدة بحكم الله .

ب- أن يعتقد وجوب الحكم بما أنزل الله في الواقعة التي لم يحكم فيها بما أنزل الله .

ج- أن لا يعتقد أنه مخير في الحكم أو عدم الحكم بما أنزل الله مع تيقنه أن الحكم الحق هو حكم الله .

د- أن لا يستهين بالحكم مع تيقنه أنه حكم الله .

و- أن يعتقد وهو لا يحكم بما أنزل الله أنه مرتكب حراماً فاعل قبيحاً.

فأما إذا أتى بشرع جديد من وضعه أو وضع غيره فإنه يكون مبدلاً ومنحياً لحكم الله ولا يدخل تحت هذا القسم مطلقاً ، بل يكون كفراً أكبر مخرج من الملة .

ابن عباس رضي الله عنهما وقوله : (كفر دون كفر)

احتج علماء ومشايخ الطواغيت بما جاء عن أبي مجلز ، وبما ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما في آية المائدة حين قال " كفر دون كفر " ، و "ليس كمن كفر بالله وملائكته واليوم الآخر " و " ليس الكفر الذي تذهبون إليه " ، على أن الحاكم الذي طرح شرع الله جانباً وحكم بالأحكام الوضعية ، أنه لا يكفر مطلقاً إلا إذا استحل وجحد حكم الله ، أما إذا حكم بالقوانين الوضعية ولم يستحل ويجحد حكم الله فقد ارتكب كفراً أصغر .

وقالوا : ويدل على أن التكفير لغير المستحل ولغير الجاحد هو رأي الخوارج ما روي عن أبي مجلز : لاحق بن حميد حين ناقشه نفر من الإباضية حول حكام زمانهم ، وتطبيق قوله تعالى : ﴿ **وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمْ الْكَافِرُونَ** ﴾ [المائدة: 44] عليهم وكيف أن أبا مجلز لم يوافقهم وبين أنهم مذنبون عصاة فقط وليسوا كفاراً .

أقول : إن ما ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما وما جاء عن أبي مجلز رضي الله عنه ليس حجة لمن زعم أنه لا يكفر من استبدل بشريعة الله القوانين الوضعية وفرضها وألزم بها الناس وقدمها على شريعة الله حتى يستحل أو يجحد.

لقد اعتمد علماء الطواغيت في دفاعهم عن أسلمة الحكام الذين استبدلوا شريعة الله بالقوانين الوضعية على ما جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير قوله تعالى ﴿**ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون**﴾ [المائدة: 44] من قوله رضي الله عنهما "كفر دون كفر " أو " ليس الكفر الذي تذهبون إليه "

ومع أن كثيراً من العلماء يرى ضعف الروايات التي استشهد بها علماء الطواغيت عن ابن عباس ، إلا أن بعض العلماء صححها ، ومع أن القول بالتضعيف أقوى ، إلا أنني هنا أفترض أن هذه الروايات صحيحة لأبين أنها حتى ولو كانت صحيحة إلا أنها ليست حجة لمن زعم أنه لا يكفر من استبدل بشريعة الله القوانين الوضعية وفرضها وألزم بها الناس وقدمها على شريعة الله حتى يستحل أو يجحد .

لا شك أن ابن عباس رضي الله عنهما عندما قال : " ليس الكفر الذي تذهبون إليه " لم يقصد في قوله هذا عدم تكفير من استبدل بشريعة الله القوانين الوضعية وفرضها وألزم بها الناس وقدمها على شريعة الله . إذ لم يكن في زمن ابن عباس– سواء في زمن علي رضي الله عنه أو من بعده – من يظن مجرد ظن أنه يمكن أن يحكم المسلمون بغير شريعة الله ، ولا أن يسن أحد قانونا مخالفا للكتاب والسنة ثم يلزم الناس بالاحتكام إليه ، فلما كان الأمر كذلك وجاء الخوارج ليسلكوا مسلكا خاطئاً في الاحتجاج بالنصوص وفي فهمها ، بيّن ابن عباس رضي الله عنهما أن هذه الآية ليست مما هم فيه . فكان قوله هذا جواباً للخوارج الذين كانوا يكفرون علياً ومعاوية رضي الله عنهما ويكفرون بالمعصية ، فهو كان يتحدث معهم ، والدليل على ذلك أنه كانت له معهم مناظرات ، رواها أهل الحديث ، وصح إسنادها . وذلك بعد اختيار الحكمين ، وخروج الخوارج في جيش علي مكفرين له لأنه حكَّم الرجال ، والحكم بغير ما أنزل الله كفر ، وقد ورد أن علي بن أبي طالب صعد المنبر يوم الجمعة فحمد الله وأثنى عليه فخطب وذكر الخوارج وعابهم ، وذكر أمر مباينتهم للناس وأمرهم الذي فارقوا عليه . قال : (أبو رزين) : " فلما نزل عن المنبر تنادوا من نواحي المسجد : (لا حكم إلا لله) فقال علي : حكم الله أنتظر فيكم ، ثم قال بيده هكذا – يسكتهم بالإشارة – وهو على المنبر حتى أتى رجل منهم واضعا إصبعيه في دابته[1] ، وهو يقول : ﴿ **لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنْ الْخَاسِرِينَ**﴾ [الزمر: 65] " [2].

وقد ورد أنه كانت له معهم مناظرات مباشرة . وقد أرسل إليهم ابن عباس ليناقشهم ، فجاءهم ابن عباس ، وناقش شبهاتهم واحدة واحدة حتى رجع أكثرهم وبقي منهم بقية قاتلهم علي رضي الله عنه .

وأجتزئ من مناقشة ابن عباس لهم ما يتعلق بالمراد هنا وهو حجتهم الأولى وجواب ابن عباس عنها :

قال ابن عباس رضي الله عنهما (بعد مجيئه إليهم في قصة طويلة): " قلت : أخبروني ماذا نقمتم على ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وصهره والمهاجرين والأنصار ؟ قالوا : ثلاثاً ، قلت : ما هن ؟ قالوا : أما إحداهن فإنه حكَّم الرجال في أمر الله ، وقال الله تعالى : ﴿ **إن الحكم إلا لله** ﴾ [يوسف: 40] وما للرجال وما

---

[1] **لعله في أذنيه.**

[2] **مصنف ابن أبي شيبة : 5/ 121.**

للحكم ، فقلت : هذه واحدة ... ثم قال : فقلت لهم : أرأيتم لو قرأت عليكم من كتاب الله ومن سنة نبيه صلى الله عليه وسلم ما رد به قولكم ، أترضون ؟ قالوا : نعم .

قلت : أما قولكم : حكَّم الرجال في أمر الله ، فأنا أقرأ عليكم ما قد رُدَّ حكمه إلى الرجال في ثمن ربع درهم في أرنب ونحوها من الصيد فقال : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ** – إلى قوله – **يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ** ﴾ [المائدة: 95] ، فنشدتكم الله ، أحكم الرجال في أرنب ونحوها من الصيد أفضل أم حكمهم في دمائهم وصلاح ذات بينهم ، وأن تعلموا أن الله لو شاء لحكم ولم يصير ذلك إلى الرجال ؟ وفي المرأة وزوجها قال الله عز جل : ﴿ **وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا ...** ﴾ [النساء: 35] فجعل الله حكم الرجال سنة ماضية، أخرجت من هذه ؟ قالوا : نعم ... "– إلى آخر المناظرة ." [1]

وهذا دليل على أن ابن عباس رضي الله عنهما — وهو يناظر هؤلاء الخوارج ويجيب على شبهاتهم ومنها قضية تحكيم الرجال ، وما أتبعوا ذلك من تكفير علي رضي الله عنه ومن معه —كان يريد أن يدرأ خطرهم وشبهتهم عن المسلمين ، ومن ثم بين لهم خطأهم في الاستدلال . باحتجاجهم بآية : ﴿ **وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمْ الْكَافِرُونَ** ﴾ على تكفير علي ومن معه وأثبت لهم أنه احتجاج باطل . فقول ابن عباس : (**كفر دون كفر**) (**وليس الكفر الذي تذهبون إليه**) ينبغي أن يحمل على أنه قصد به هؤلاء الذين كفَّروا أهل الجور ، بل فضلاء الصحابة ﷺ .

وابن عباس مع أنه – كما سبق —كانت له علاقة ببعضهم من جهة أنه كان يجيب على أسئلتهم ومناظراتهم ، إلا أنه كبقية الصحابة كان يدرك خطرهم على الأمة الإسلامية ، ولهذا روى ابن أبي شيبة عن عبد الله بن أبي يزيد عن ابن عباس أنه ذكر عنده الخوارج فذكر من عبادتهم واجتهادهم فقال : " ليسوا بأشد اجتهاداً من اليهود والنصارى ، ثم هم يضلون " [2]

كما روى طاووس عن أبيه عن ابن عباس أنه ذكر ما يلقى الخوارج عند القرآن فقال : " يؤمنون عند محكمه ويهلكون عند متشابهه " .[3]

أما قصة أبي مجلز مع الإباضية فهي كما يلي :

قال الإمام الطبري :" 12025 – حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال حدثنا المعتمر بن سليمان قال سمعت عمران ابن جدير قال : أتى أبا مجلز ناس من بني عمرو بن سدوس ، فقالوا : يا أبا مجلز أرأيت قوله تعالى :

---

[1] رواه الحاكم في المستدرك 2/150– 152، وقال صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ووافقه الذهبي ، ورواه أحمد في المسند 1/342– مختصرا– ورقمه عند أحمد شاكر 3187 وقال : إسناده صحيح ، ورواه البيهقي في السنن الكبرى 8/179 والطبراني في المعجم الكبير وعبد الرزاق في المصنف كما رواه الفسوي في المعرفة والتاريخ وابن عبد البر في جامع بيان العلم ص 375– 377 ت. عبد الكريم الخطيب.

[2] رواه ابن أبي شيبة :15/ 313 ، واللالكائي في شرح السنة : 8/ 1322.

[3] رواه ابن أبي شيبة :15/ 313.

﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمْ الْكَافِرُونَ ﴾ أحق هو ؟ قال : نعم ! قالوا : ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمْ الظَّالِمُونَ ﴾ أحق هو ؟ قال نعم ، قالوا ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمْ الْفَاسِقُونَ ﴾ أحق هو ؟ قال : نعم ! فقالوا : يا أبا مجلز فيحكم هؤلاء بما أنزل الله ؟ قال : هو دينهم الذي يدينون به ، وبه يقولون ، وإليه يدعون ، فإن هم تركوا شيئا منه عرفوا أنهم قد أصابوا ذنبا ! فقالوا : لا والله ولكنك تفرق ! قال : أنتم أولى بهذا مني ، لا أرى ، وإنكم أنتم ترون هذا ولا تحرجون ، ولكنها أنزلت في اليهود والنصارى وأهل الشرك ، أو نحو هذا ".

" 12026- حدثني المثنى قال حدثنا حجاج قال حدثنا حماد عن عمران بن جدير قال : قعد إلى أبي مجلز نفر من الإباضية قال : فقالوا له : يقول الله : ﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمْ الْكَافِرُونَ ﴾ ، ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمْ الظَّالِمُونَ ﴾ ، ﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمْ الْفَاسِقُونَ ﴾ قال أبي مجلز: إنهم يعملون بما يعملون – يعني الأمراء – ويعلمون أنه ذنب ! قال : وإنما أنزلت هذه الآية في اليهود والنصارى! قالوا : أما والله إنك لتعلم مثل ما نعلم ولكنك تخشاهم! قال: أنتم أحق بذلك منا، أما نحن فلا نعرف ما تعرفون ! قالوا : ولكنكم تعرفونه ولكن يمنعكم أن تمضوا أمركم من خشيتهم ".[1]

ويعقب الأستاذ محمود شاكر على الأثرين بقوله في التعليق رقم (2) :

" اللهم إني أبرأ إليك من الضلالة وبعد ، فإن أهل الريب والفتن ممن تصدروا الكلام في زماننا هذا ، قد تلمس المعذرة لأهل السلطان في ترك الحكم بما أنزل الله ، وفي القضاء في الأموال والأعراض والدماء بغير شريعة الله التي أنزلها في كتابه ، وفي اتخاذهم قانون أهل الكفر شريعة في بلاد الإسلام. فلما وقف على هذين الخبرين ، اتخذهما رأيا يرى به صواب القضاء في الأموال والأعراض والدماء بغير ما أنزل الله ، وأن مخالفة شريعة الله في القضاء العام لا تكفر الراضي بها والعامل عليها .

والناظر في هذين الخبرين لا محيص له عن معرفة السائل والمسؤول ، فأبو مجلز (لاحق بن حميد الشيباني السدوسي) تابعي ثقة وكان يحب علياً رضي الله عنه ، وكان قوم أبي مجلز وهم بنو شيبان من شيعة علي يوم الجمل وصفين ، فلما كان أمر الحكمين يوم صفين ، واعتزلت الخوارج ، كان فيمن خرج على علي رضي الله عنه ، طائفة من بني شيبان ، ومن بني سدوس بن شيبان بن ذهل وهؤلاء الذين سألوا أبا مجلز ناس من بني عمرو بن سدوس كما في الأثر (12025) ، وهم نفر من الإباضية كما في الأثر (12026) . والإباضية من جماعة الخوارج الحرورية هم أصحاب عبد الله بن إباض التميمي ، وهم يقولون بمقالة سائر الخوارج في التحكيم وفي تكفير علي رضي الله عنه . إذ حكم الحكمين ، وأن علياً لم يحكم بما أنزل الله في أمر التحكيم ، ثم إن عبد الله بن إباض قال : إن من خالف الخوارج كافر ليس بمشرك ، فخالف أصحابه ، وأقام الخوارج على أن أحكام المشركين تجري على من خالفهم .ثم افترقت الإباضية من بعد عبد الله بن إباض الإمام افتراقاً لا ندري معه في أمر هذين الخبرين– من أي الفرق كان

---

[1] تفسير الطبري : ج 10، ص 347 ، ط. دار المعارف.

هؤلاء السائلون بيد أن الإباضية كلها تقول : إن دور مخالفيهم دور توحيد ، إلا معسكر السلطان فإنه دار كفر عندهم ، ثم قالوا أيضاً إن جميع ما افترض الله سبحانه على خلقه إيمان ، وإن كل كبيرة فهي كفر نعمة لا كفر شرك ، وإن مرتكبي الكبائر في النار خالدون مخلدون فيها . ومن البين أن الذين سألوا أبا مجلز من الإباضية إنما كانوا يريدون أن يلزموه الحجة في تكفير الأمراء لأنهم في معسكر السلطان ولأنهم ربما عصوا أو ارتكبوا بعض ما نهاهم الله عن ارتكابه ولذلك قال لهم في الخبر الأول (رقم: 12025) :

" فإن هم تركوا شيئاً منه عرفوا أنهم قد أصابوا ذنباً " ، وقال لهم في الخبر الثاني : " إنهم يعملون بما يعملون و يعلمون أنه ذنب ".

وإذن فلم يكن سؤالهم عما احتج به مبتدعة زماننا من القضاء في الأموال والأعراض والدماء بقانون مخالف لشريعة أهل الإسلام ولا في إصدار قانون ملزم لأهل الإسلام ، بالاحتكام إلى حكم غير حكم الله في كتابه وعلى لسان نبيه ﷺ ، فهذا الفعل إعراض عن حكم الله ورغبة عن دينه ، وإيثار لأحكام أهل الكفر على حكمه ﷻ . وهذا كفر لا يشك فيه أحد من أهل القبلة .– على اختلافهم – في تكفير القائل به والداعي إليه.

والذي نحن فيه اليوم هو هجر لأحكام الله عامة بلا استثناء ، وإيثار أحكام غير حكمه في كتابه وسنة نبيه وتعطيل لكل ما في شريعة الله ، بل بلغ الأمر مبلغ الاحتجاج على تفضيل أحكام القانون الموضوع على أحكام الله المنزلة وادعاء المحتجين لذلك بأن أحكام الشريعة إنما نزلت لزمان غير زماننا ، ولعلل وأسباب انقضت فسقطت الأحكام كلها بانقضائها .

فأين هذا مما بيناه من حديث أبي مجلز والنفر من الإباضية من بني عمرو بن سدوس . ولو كان الأمر على ما ظنوا في خبر أبي مجلز ، أنهم أرادوا مخالفة السلطان في حكم من أحكام الشريعة ، فإنه لم يحدث في تاريخ الإسلام أن سن حاكم حكماً وجعله شريعة ملزمة للقضاء بها. هذه واحدة. وأخرى أن الحاكم الذي حكم في قضية بعينها بغير حكم الله فيها فإنه إما أن يكون حكم بها وهو جاهل ، فهذا أمره أمر الجاهل بالشريعة . وإما أن يكون حكم بها هوى ومعصية ، فهذا ذنب تناله التوبة ، وتلحقه المغفرة ... وإما أن يكون حكم به متأولا حكما خالف به سائر العلماء ، فهذا حكمه حكم كل متأول يستمد تأوله من الإقرار بنص الكتاب وسنة رسول الله .

وإما أن يكون كان في زمن أبي مجلز أو قبله أو بعده حاكم حكم بقضاء في أمر جاحدا لحكم من أحكام الشريعة أو مؤثراً لأحكام أهل الكفر على أحكام أهل الإسلام ، فذلك لم يكن قط . فلا يمكن صرف كلام أبي مجلز والإباضيين إليه . فمن احتج بهذين الأثرين وغيرهما في غير بابها ، وصرفها إلى غير معناها ، رغبة في نصرة سلطان أو احتيالا على تسويغ الحكم بغير ما أنزل الله وفرضه على عباده ، فحكمه في الشريعة ، حكم الجاحد لحكم من أحكام الله أن يستتاب ، فإن أصر وكابر وجحد حكم الله ورضي بتبديل الأحكام ، فحكم الكافر المصر على كفره معروف لأهل هذا الدين . وأقرأ كلمة أبي جعفر بعد ص : 358 ، من أول قوله " فإن قال قائل

" ففيه قول فصل ... وتفصيل القول في خطأ المستدلين بمثل هـذين الخبرين ، وما جاء من الآثار هنا في تفسير هذه الآية يحتاج إلى إفاضة اجتزأت فيها بما كتبت الآن ، وكتبه محمود محمد شاكر ".[1]

وأحب أن أضيف إلى ما ذكره الشيخ محمود شاكر ما يلي حول أبي مجلز والإباضية :

من يطلع على سيرة أبي مجلز يلاحظ ما يلي :

1- اهتمامه بالخوارج فهو من رواة قصتهم مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وهو الذي روى أنه (أي علي) نهى أصحابه أن يسطوا على الخوارج حتى يحدثوا حدثا ، فمروا بعبد الله بن خباب فقتلوه وجاريته الحامل في قصة ثابتة مشهورة .[2]

فمن المحتمل جدا أن يكون له دور مع الخوارج في زمنه من الإباضية وغيرهم من الخوارج .

2- أنه ممن تولى الإمارة أحيانا فقد ذكر مترجموه أنه قدم خراسان مع قتيبة بن مسلم الباهلي ، بل ذكر ابن عساكر أن أهل مرو مشوا إلى أبي مجلز فولوه أمرهم حتى قدم وكيع بن أبي أسود [3]. وأورد أيضا أنه كان يركب مع قتيبة بن مسلم في موكبه فيسبح الله اثني عشر تسبيحه.[4]

فإذا كان ثقة يحدث ويذاكر أصحابه في الفقه والسنن وهو على صلة ببعض الأمراء[5] فمن الطبيعي أن يأتيه الإباضية ليناقشوه ، خاصة وأنهم يرون أن معسكر السلطان- وفيهم أمراؤه- معسكر شرك . وهو سيجيبهم بما يراه حقا موافقا لمذهب أهل السنة والجماعة. وهذا ما قاله ، مما رواه الطبري عنه في تفسيره .

3- وأبو مجلز كانت له صلة بعمر بن عبد العزيز رحمه الله ، فقد روي عن عمر أنه قال : (أريد أن أعرف عن خراسان ، أبغوا لي رجلاً صادقا) ، فقيل له : عليك بأبي مجلز ، فطلبه وسأله . [6]

وعمر بن عبد العزيز كانت له مناقشات مع الخوارج في عصره ، وقد ناقشهم وألزمهم الحجة ، وكانوا راضين عنه على العموم . فإذا كان أبو مجلز محل ثقته ، فمن المحتمل أن تكون بعض مناقشات الخوارج معه أيضا .

4- أما الإباضية فقد سبق من كلام الشيخ محمود شاكر ما يبين بعض حالهم ، وأحب أن أضيف ما يلي :

فهذا ابن إباض يتهم كبار الصحابة – وعلى رأسهم الخليفة الراشد عثمان بن عفان ، والخليفة الراشد علي بن أبي طالب – أنهم يحكمون بغير ما أنزل الله ، فهم كفار عنده للآية الواردة في ذلك . فما هو موقفهم ممن جاء بعدهم – كمعاوية وبقية خلفاء بني أمية – لا شك أنهم عند هؤلاء الإباضية أشد كفراً من أولئك وهم ما عدا

---

[1] تفسير الطبري : ج 1، ص 348 ، حاشية 2 ط . دار المعارف .

[2] انظر المصنف لابن أبي شيبة 308،323/15 ، رقم 19739 ورقم 19769.

[3] هكذا في المخطوطة. انظر تاريخ دمشق 18/6- 17 مخطوطة مكتبة الدار بالمدينة

[4] المصدر السابق : 8/ 18

[5] المصدر السابق 18/8. مع ملاحظة أن صلته بالأمراء لم تكن إلا عن عزة نفس . روي عنه أنه قال : ما جلست بباب أمير قط ، لا آتيه حتى يبعث إلي رسوله فإذا أرسل إلي دخلت مع رسوله . تاريخ دمشق 18/9.

[6] انظر تاريخ الطبري 6/559 ، الكامل لابن الأثير 5/51- 52 ط.

معاوية وعمر بن عبد العزيز كان فيهم جور مشهور . فالإباضية منهجهم واضح في ذلك ، يعتبرون الجور والظلم ، بل ما ليس جوراً ولا ظلماً بالاتفاق كفعل عثمان أو فعل علي رضي الله عنهما من تحكيم الحكمين ، يعتبرون كل ذلك حكماً بغير ما أنزل الله ، ومن حكم بغير ما أنزل الله فهو كافر .

فقصة أبي مجلز مع الإباضية في مثل هذا ولا شك ، وما قاله أبو مجلز حق ، وما أراد أن يلزمه به الإباضي باطل كما سبق ، فكيف يجعل مثل هذا حجة لما يقع في أرض المسلمين من رفض لحكم الله ، وتحكيم للقوانين الوضعية الوضيعة وإلزام للناس بها ؟!

شبهات المدافعين عن أسلمة الحكام بالقوانين الوضعية والرد عليها

لقد أثيرت عدة شبهات للدفاع عن أسلمة الحكام الذين استبدلوا شريعة الله بالقوانين الوضعية . وكان اعتماد الحكام الطواغيت في إثارة مثل هذه الشبهات على مصدرين :

الأول : على علمائهم ومشايخهم ومصادر إعلامهم .

الثاني : على كثير من الجماعات التي تدعي تبني الدعوة إلى الإسلام . فحتى لا يظهر زيف هذه الجماعات وبعدها عن الإسلام ، بدأت هذه الجماعات في تلفيق بعض الأدلة وإثارة الشبهات للدفاع عن من لا يكفر الحكام الذين استبدلوا شريعة الله بالقوانين الوضعية .

وحتى لا ينخدع الناس بمثل هذه الشبهات سأقوم بعون الله بسردها والرد عليها .

الشبهة الأولى : أن النبي ﷺ لم يحكم بما أنزل الله في إقامة حد القذف على عبد الله بن أُبَيّ بن سلول .

الجواب : إن هذه الشبهة من الشبهات التي يكفر قائلها لأن فيها تنقيص للنبي ﷺ باتهامه بأنه لم يحكم بما أنزل الله . وهو صلى الله عليه وسلم القائل لأسامة بن زيد: (**أتشفع في حدٍّ من حدود الله تعالى ، إنما أهلك الذين قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه ، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد ، وأيم الله ، لو أن فاطمة بنت محمدٍ سرقت لقطعت يدها**) **متفق عليه** .

وأنقل ما ورد بشأن إقامة حد القذف على الذين وقعوا في قذف عائشة رضي الله عنها عن الدكتور عبد العزيز بن عبد الله الحميدي فإنه لخّصه تلخيصاً جيداً في كتابه (المنافقون في القرآن) فقال :

" وقد اختلف العلماء في الذين صرحوا بالإفك هل أقام عليهم النبي صلى الله عليه وسلم الحد أم لا على ثلاثة أقوال :

أولا : أنه لم يقم الحد على أحد منهم لأن الحد لا يثبت إلا ببينة أو إقرار ، ولم يحصل شيء من ذلك وبهذا قال الماوردي كما ذكر ابن حجر (فتح الباري) 8/ 479.

ثانيا : أنه قد أقيم الحد عليهم جميعاً إلا عبد الله بن أبيّ وبهذا قال ابن القيم (زاد المعاد) 2/ 114- 115.

ومما يستدل به لهذا القول ما أخرجه الترمذي قال : حدثنا بندار أخبرنا ابن أبي عدي عن محمد بن اسحاق عن عبد الله بن أبي بكر عن عمرة عن عائشة رضي الله عنها قالت : « لما نزل عذري قام رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر فذكر ذلك وتلا القرآن ، فلما نزل أمر برجلين وامرأة فضربوا حَدّهم » هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث محمد بن إسحاق.

وأخرجه ابن ماجة بهذا السند كما أخرجه أبو داود من طريقين عن محمد بن إسحاق به ، إحداهما مرسلة وفيها : (فأمر برجلين وامرأة ممن تكلم بالفاحشة : حسان بن ثابت ومسطح ابن أثاثة ، قال النفيلي : ويقولون إن المرأة حمنة بنت جحش).

فهذا الحديث فيه التصريح بأن الذين أقيم عليهم الحد ثلاثة ، وفي الرواية المرسلة التي أخرجها أبو داود أنهم حسان بن ثابت ومسطح بن أثاثة وحمنة بنت جحش وليس فيه ذكر لابن أبيّ .

وقد قيل في التعليل لعدم إقامة الحد عليه أنه لم يصرح بالقذف بل كان يجمع الحديث ويستخرجه بالبحث عنه ، وممن قال بذلك القاضي عياض كما ذكر ابن حجر (فتح الباري) 8/ 481.

وقيل إن النبي صلى الله عليه وسلم ترك حده لمصلحة هي أعظم من إقامته كما ترك قتله مع ظهور نفاقه خوفا من وقوع الفتنة بسببه لأنه مطاع في قومه.

وقيل إنما ترك حده لأن الحدود تقام على المؤمنين تكفيرا لذنوبهم وابن أبيّ قد ثبت نفاقه فليس مؤمنا حتى يقام عليه الحد . ذكر هذين القولين ابن القيم ورجح الثاني . (زاد المعاد) 2/ 115.

ثالثا : أنه قد أقيم عليه الحد كغيره ممن صرح بالإفك ومما يدل على ذلك ما أخرجه الطبراني بسنده عن سعيد بن جبير أنه قال : (جلد النبي صلى الله عليه وسلم حسان بن ثابت وعبد الله بن أبيّ ومسطحا وحمنة بنت جحش كل واحد ثمانين جلدة في قذف عائشة ثم تابوا من بعد ذلك غير عبد الله بن أبيّ رأس المنافقين مات على نفاقه) قال الهيثمي : رواه الطبراني وفيه ابن لهيعة وفيه ضعف وبقية رجاله رجال الصحيح.

(مجمع الزوائد) 7/ 80 .

وذكر ابن حجر أن الحاكم أخرج في « الإكليل » من رواية أبي أويس عن الحسن بن زيد وعبد الله بن أبي بكر بن حزم وغيرهما مرسلا أن ابن أبيّ ممن جلد الحد (فتح الباري) 8/ 481.

والظاهر أن هذا القول أرجح لأمرين :

1- : لثبوت إقامة الحد على ابن أبيّ في الروايتين السابقتين وإن كان من طرق كلها مرسلة إلا أنه يقوي بعضها بعضا .

2- : لأنه قد ثبت في الحديث السابق الذي أخرجه أصحاب السنن أن النبي أقام الحد على الثلاثة المذكورين ولا يمكن شرعا أن يقيم الحد على بعض القذفة ويترك البعض الآخر .

أما القول بأنه صلى الله عليه وسلم ترك إقامة الحد على ابن أبيّ لأنه مطاع في قومه فربما حصل بسبب ذلك فتنة فهو مردود ، لأنه إما أن يكون كافرا قد أعلن كفره فيجب قتله ردة ولن يثور لقتله ثائر لأنه مرتد ، وإما أن يكون مظهراً الإسلام فلا بد من إقامة الحدود عليه إذا ارتكب جريمة كغيره من المسلمين ولن يثور لذلك ثائر، وقد كان ابن أبيّ ممن يظهر الإسلام نفاقا فلذلك لم يقتله النبي صلى الله عليه وسلم بالرغم من ظهور أمارات الكفر عليه واقتناع النبي من ذلك حتى لا يتحدث الناس أنه يقتل أصحابه كما سبق ، أما أن يترك إقامة الحد خوفا من قومه فهذا ما لا يمكن وقوعه لأن كونه مظهرا الإيمان يستلزم إقامة الحد عليه إذا عصى .

ثم من هم قومه الذي سيثورون له ؟ أليسوا من المؤمنين ؟ وهل يثور المؤمنون إذا أقيم حد الله على واحد منهم بحق وإن كان شريفا فيهم ؟ هذا ما لا يمكن أن يقع أبدا من مؤمن حقا ، أما تركه قتله مع ظهور نفاقه فإنه يختلف عن هذا لأنه يظهر الإيمان فحقن بذلك دمه فليس هناك سبب ظاهر يستوجب قتله، وقد قتل النبي صلى الله عليه وسلم سويد بن الصامت حداً لقتله المجذر بن زياد البلوي كما سبق فلم ينكر ذلك أحد من قومه .

والرسول صلى الله عليه وسلم هو أول من أنكر على الأمم السابقة إقامة الحد على ضعفائهم وترك إقامته على أشرافهم ، كما أخرج الشيخان عن عائشة رضي الله عنها في حديث المخزومية التي سرقت أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « **يا أيها الناس إنما ضل من كان قبلكم أنهم كانوا إذا سرق الشريف تركوه وإذا سرق الضعيف فيهم أقاموا عليه الحد وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها** ».

فكيف ينكر صلى الله عليه وسلم شيئا ثم يرتكبه ؟ هذا ما لا يمكن حدوثه ولا يليق بمقام النبوة ."[1]

وحاصل الروايات المختلفة : أن ابن سلول إما أنه لم يُقم عليه الحد لأنه عَرَّض ولم يُصرّح بالقذف ، وإما أنه أقيم عليه الحد كغيره . فسقطت بذلك هذه الشبهة .

الشبهة الثانية : أن النبي ﷺ وبعض الصحابة حَرّموا الحلال ولم يكفر أحد بذلك .

ويريد أصحاب هذه الشبهة أنه إذا كانت القوانين الوضعية تحل الحرام وتحرم الحلال فلماذا يكفر واضعها والحاكم بها ، ولم يكفر من حرّم الحلال من الصحابة .

وهذه الشبهة أيضا فيها تنقيص للنبي صلى الله عليه وسلم ، ويقال فيها ما قيل فيما سبقها .

---

[1] **المنافقون في القرآن صـ 294 – 296، ط دار المجتمع.**

ويشير أصحاب هذه الشبهة إلى ما ورد في قوله تعالى ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاةَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ، قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ** ﴾ [سورة التحريم: 1-2]، وفي قوله تعالى : ﴿ **يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا** ﴾ إلى قوله ﴿ **لا يُؤَاخِذُكُمْ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمْ الأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ** ﴾ [سورة المائدة: 87-89]

والرد على هذه الشبهة يكون بمعرفة أن تحريم الحلال يأتي على أربعة أوجه، منها ما هو كفر ومنها ما ليس كذلك :

الوجه الأول : التحريم على وجه التشريع ، كالذي قصَّه الله عن أهل الجاهلية من النسيء وتحريم بعض الأنعام بحبسها على الطواغيت . كما قال تعالى : ﴿ **إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا**﴾ [سورة التوبة: 37]، وكما قال تعالى : ﴿ **مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلا سَائِبَةٍ وَلا وَصِيلَةٍ وَلا حَامٍ وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ**﴾ [سورة المائدة: 103]، فهذا تحريم على وجه الإلزام للنفس وللغير ، وهذا هو التشريع المكفِّر المخالف لشرع الله .

الوجه الثاني : مجرد ترك الشيء لأن النفس تكرهه أو لا حاجة لها فيه .

الوجه الثالث : تحريم الشيء على النفس بنذرٍ، بأن ينذر لله ألا يفعل بعض المباح .

الوجه الرابع : تحريم الشيء على النفس بيمين، بأن يحلف على ألا يفعل بعض المباح .

والوجهان الثالث والرابع كانا مشروعين في شرع من قبلنا ، أن يحرم المرء على نفسه الشيء فلا يجوز له أن يفعله ، ومن هذا الباب ما حكى الله تعالى عن يعقوب عليه السلام ﴿ **كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ** ﴾ [سورة آل عمران: 93]. ثم نُسِخ هذا في شريعتنا فصار لا يجوز للمرء أن يحّرِم الحلال على نفسه للآيات السابقة ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ ...**﴾ وقوله تعالى ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ ...** ﴾ ، ومن فعل شيئا من ذلك بنذرٍ أو يمين، وجب عليه أن يكفِّر عن يمينه ويأتي الذي حرّمه على نفسه.

والذي يدل على أن التحريم في الآيات التي استدل بها أصحاب هذه الشبهة كان من باب التحريم بنذر أو يمين وليس على وجه التشريع : أن الآيتين اللتين استدلوا بهما قد أعقب الله النهي عن التحريم فيهما بذكر كفارة اليمين :

فقال تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ** ﴾ إلى قوله ﴿ **قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ** ﴾ [سورة التحريم: 1-2] وقال تعالى : ﴿ **لا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ** ﴾ إلى قوله ﴿ **وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمْ الأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ** ﴾ [سورة المائدة: 87-89].

فليس فيما استدلوا به حجة على إباحة التحريم والتحليل على وجه التشريع والذي لم يصف الله فاعله بغير الكفر ، فقال تعالى : ﴿ **إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ** ﴾ [سورة التوبة: 37]، وقال تعالى : ﴿ **مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ** ﴾ إلى قوله ﴿ **وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ** ﴾ [سورة المائدة: 103].

والوجوه الأربعة للتحريم المذكورة هنا ذكرها الشاطبي وفصّل القول فيها في كتابه (الاعتصام) جـ 1 صـ 323 وما بعدها .

الشبهة الثالثة : أن النبي ﷺ أجاز الحكم بغير ما أنزل الله بقوله "فلا تنزلهم على حكم الله ولكن أنزلهم على حكمك "

وهذه الشبهة تلحق بما قبلها في اشتمالها على تنقيص النبي ، وأنه أجاز الحكم بغير ما أنزل الله ، أي أجاز الكفر ، ومن أجاز الكفر فهو كافر ، فكيف يسوغ هذا الظن وهو صلى الله عليه وسلم إنما جاء بالإيمان بالله وحده والكفر بالطاغوت ؟.

وهذه الشبهة تدل على وفور جهل صاحبها ، والحديث المشار إليه هو حديث بريدة بن الحصيب المشهور في الغزو ، وفيه قال بريدة (كان رسول الله ﷺ إذا أمّر أميراً على جيش أو سرية أوصاه في خاصته بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيراً ، ثم قال : " **اغزوا بسم الله في سبيل الله ، قاتلوا من كَفَر بالله** – إلى قوله – **وإذا حاصرت أهل حصن وأرادوك أن تنزلهم على حكم الله فلا تنزلهم على حُكم الله ، ولكن أنزلهم على حكمك ، فإنك لا تدري أتصيب فيهم حكم الله أم لا ؟** " الحديث رواه مسلم .

وهذا النص لا يدل على إجازة الحكم بغير ما أنزل الله ، وإنما يدل على أن المجتهد قد يصيب وقد يخطئ ، وإصابته معناها أن يوافق حكمه في مسألة ما حكمَ الله فيها ، وخطؤه أن يخالف حكمه حكمَ الله فيها . كما قال رسول الله ﷺ : " **إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران ، وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر** " [1]

فالرسول ﷺ أراد أن يعلم أميره الاحتياط في نسبة الحكم إلى الله والرسول فقال له :

"**وإذا حاصرت أهل حصن وأرادوك أن تنزلهم على حكم الله** (وكنت لا تدري ما حكم الله ورسوله في هذه المسألة فاجتهدت فيها) **فلا تنزلهم على حُكم الله** (أي لا تدعي أن حكمك الناتج عن اجتهادك في هذه المسألة هو حكم الله ورسوله ، لأنك قد تخطأ في اجتهادك) ، **ولكن أنزلهم على حكمك** (أي أخبرهم أن هذا هو حكمك واجتهادك في هذه المسألة) ، **فإنك لا تدري أتصيب فيهم حكم الله أم لا** ".

---

[1] **متفق عليه**

هذا هو الذي يجب أن يفهم من هذا الحديث ،فيجب أن يحمل النهي في هذا الحديث على التنزيه والاحتياط ، ويدل على ذلك قوله ﷺ في نهاية الحديث « **فإنك لا تدري أتصيب فيهم حكم الله أم لا** »

ولهذا كان من آداب المفتي ، كما قال ابن القيم : " ينبغي ألا ينسب المفتي الحكم إلى الله إلا بنصٍ ... لا يجوز للمفتي أن يشهد على الله ورسوله بأنه أحلّ كذا أو حرّمه أو أوجبه أو كرهه إلا لما يعلم أن الأمر فيه كذلك مما نص الله ورسوله على إباحته أو تحريمه أو كراهته " [1]

ولهذا فإن حديث بريدة لا حجة فيه على إجازة الحكم بغير ما أنزل الله ، وينبغي فهمه بجمعه مع غيره من الأدلة الدالة على أن الأصل في الحاكم أن يكون مجتهداً ، وأنه يجب عليه أن يحكم بما أنزل الله ، وأن من لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون ، هذا هو صنيع الفقهاء : أن يجمع النص مع غيره من النصوص ، ويردّ المتشابه إلى المحكم، ويعمل بالخاص في موضعه والعام في موضعه، ونحو ذلك . أما أهل الزيغ والضلال فيعمد أحدهم إلى نص يُحَمِّله ما لا يحتمل من المعاني ليضل الناس بغير علم كما قال تعالى : ﴿ **فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ** ﴾ [سورة آل عمران: 7]

الشبهة الرابعة : وهي أن يوسف عليه السلام عمل لملك مصر ، بما يعني أنه حكم بشريعة هذا الملك الكافر .

وهناك شبهة قديمة يتشبث ويحتج بها في هذا المجال كثير ممن لا يعرفون واقع الطواغيت وقوانينهم ، وهي احتجاجهم بعمل يوسف عليه السلام عند الملك ، وهو بلا شك احتجاج ساقط مردود ..

ويريد قائل هذه الشبهة أن يوسف لم يكفر مع هذا ، فلماذا يكفر الحكام بذلك ؟

إن قائل هذه الشبهة يكفر لأن هذا القول سوء أدب مع الأنبياء وتنقّص لهم ، والتّنقص يدخل في السَّب كما ذكره القاضي عياض في (الشفا) .

هذا وإن الإجماع قد انعقد على عصمة الأنبياء من الكفر ومن الكبائر ، كما ذكره القاضي عياض في (الشفا)، والجمهور على عصمتهم من الصغائر أيضا .

والحكم بشريعة الكفار كفر لأنه حكم بالطاغوت وتحاكم إليه ، ولا بد أن يكون يوسف عليه السلام معصوماً منه ، فدل هذا على أنه لم يحكم بشريعة الكفار .

فالله جل جلاله قد بعث جميع الرسل باجتناب الطاغوت والكفر به ، كما قال تعالى : ﴿**وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولا أَنْ اُعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ**﴾ [سورة النحل: 36]

[1] انظر (أعلام الموقعين) 4/ 175.

فهل أمر يوسف باجتناب الطاغوت ولم يجتنبه ؟

والصحيح أن يوسف عليه السلام كان مُمَكَّنا مفوّضاً يجري الأمور وفق شريعته وشريعة أبيه يعقوب عليهما السلام ، ولهذا استرق أخاه بنيامين وكان هذا هو حكم السارق في شريعتهم .

هذا وقد كان يوسف عليه السلام مُظهراً لدينه داعياً إلى التوحيد مظهراً للبراءة من الكافرين وكُفرِهم مُسَفِّهاً لما هم عليه ، حتى وهو في السجن ، كما قال تعالى – حكاية عنه – :

﴿ يَاصَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمْ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ، مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلا لِلَّهِ أَمَرَ أَلا تَعْبُدُوا إِلا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ ﴾ [سورة يوسف: 39-40] ويقول : **﴿ إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ، وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ﴾** [سورة يوسف: 37-38]

أفيُعلنها ويصدع بها ويدعو إليها وهو مستضعف .. ثم يُخفيها أو ينقضها بعد التمكين ..؟؟!!.

سبحانك ربي هذا بهتان كبير !!

فإذا تبين لك أن يوسف عليه السلام كان على ملة إبراهيم التي هي إعلان التوحيد والدعوة إليه وإظهار المعاداة للكفار والبراءة منهم وهي أمور على النقيض من موالاتهم علمت يقيناً أن يوسف عليه السلام لم يقع منه شيء من موالاة الكفار لا ظاهراً ولا باطناً ولم يحكم بشرع غير شرع الله ..

إنَّ مُقايسة تولي كثير من المفتونين للوزارة في ظلِّ الدول الطاغوتية التي تشرع مع الله وتحارب أولياء الله وتوالي أعداءه على فِعل يوسف عليه السلام قياس فاسد وباطل من وجوه :-

1 – إنَّ متولي الوزارة في ظلِّ هذه الحكومات التي تحكم بغير ما أنزل الله تعالى لابد وأن يحترم دستورهم الوضعي ويدين بالولاء والإخلاص للطاغوت الذي أمره الله أول ما أمره أن يكفر به **﴿ يُريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمِروا أن يكفروا به ﴾** [سورة النساء:60]. بل لا بد عندهم من القسم على هذا الكفر قبل تولي المنصب مباشرة تماماً كما هو الحال بالنسبة لعضو البرلمان ، ومن يزعم أن يوسف الصدِّيق الكريم ابن الكريم ابن الكريم كان كذلك مع أن الله زكاه وقال عنه : **﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاء إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴾** [سورة يوسف: 24] فهو من أكفر الخلق وأنتنهم ، قد برئ من الملّة ومرق من الدين، بل هو شرٌّ من إبليس اللعين الذي استثنى حين أقسم فقال : **﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۞ إِلا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴾** [سورة ص: 82-83]

ويوسف عليه السلام يقيناً وبنص كلام الله تعالى من عباد الله المخلصين بل من ساداتهم ..

2- إنَّ متولي الوزارة في ظلِّ هذه الحكومات - أقسم اليمين الدستورية أم لم يقسم — لا بد له أن يدين بالقانون الكفري الوضعي وأن لا يخرج عنه أو يخالفه ، فما هو إلا عبدٌ مخلصٌ له وخادمٌ مطيعٌ لمن وضعوه في الحقِّ والباطل والفسق والظلم والكفر ..

فهل كان يوسف الصدِّيق كذلك ، حتى يصلح الاحتجاج بفعله لتسويغ مناصب القوم الكفرية ..؟؟ إنَّ مَن يرمي نبي الله ابن نبي الله ابن نبي الله ابن خليل الله بشيءٍ من هذا لا نشكُ في كفره وزندقته ومروقه من الإسلام .. لأن الله تعالى يقول : **﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولا أَنْ اُعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾** [سورة النحل: 36]. فهذا أصل الأصول وأعظم مصلحة في الوجود عند يوسف عليه السلام وسائر رسل الله ..

فهل يعقل أن يدعو النَّاس إليه في السراء والضراء وفي الاستضعاف والتمكين ثم هو يناقضه فيكون من المشركين ؟؟ كيف والله قد وصفه بأنه من عباد الله المخلصين ؟؟ ولقد ذكر بعض أهل التفسير أنَّ قوله تعالى : **﴿مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ ﴾** [سورة يوسف: 76]. دليل على أنَّ يوسف عليه السلام لم يكن مُطبقاً لنظام الملك وقانونه ولا مُنقاداً له ولا مُلزماً بالأخذ به ، فهل يوجد في وزارات الطواغيت أو برلماناتهم اليوم مثل هذا ؟؟ أي أن يكون حال الوزير فيها كما يقال (دولة داخل دولة) ..؟؟ فإن لم يوجد فلا وجه للقياس ها هنا ..

3 - إنَّ يوسف عليه السلام تولى تلك الوزارة بتمكين من الله عز وجل ، قال تعالى : **﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ﴾** [سورة يوسف: 56]. فهو إذاً تمكين من الله ، فليس للملك ولا لغيره أن يضره أو يعزله من منصبه ذاك ، حتى وإن خالف أمر الملك أو حكمه وقضاءه ...

فهل لهؤلاء الأراذل المتولين عند الطواغيت اليوم نصيبٌ من هذا في مناصبهم المهترئة التي هي في الحقيقة لعبة بيد الطاغوت ، حتى يصح مقايستها على ولاية يوسف عليه السلام تلك وتمكينه ذاك ؟.

4 . إنَّ يوسف عليه السلام تولى الوزارة (بحصانة) حقيقية كاملة من الملك ، قال سبحانه وتعالى :

﴿فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مِكِينٌ أَمِينٌ ﴾ [سورة يوسف: 54].

فأطلقت له حرية التصرف كاملة غير منقوصة في وزارته **﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاء ﴾** [سورة يوسف:21]. فلا معترض عليه ولا محاسب له ولا رقيب على تصرفاته مهما كانت .. فهل مثل هذا موجود في وزارات الطواغيت اليوم أم أنها حصانات كاذبة زائفة ... تُزال وتسحب سريعاً إذا لعب الوزير بذيله ، أو ظهر عليه شيء من المخالفة أو الخروج عن خط الأمير أو دين الملك ؟؟ فما الوزير عندهم إلا خادمٌ لسياسات الأمير أو الملك يأتمر بأمره وينتهي عن نهيه ، وليس له الحق بأن يُخالف أمراً من أوامر الملك أو الدستور الوضعي ولو كان مضاداً لأمر الله تعالى ودينه ...

ومن زعم أن شيئاً من هذا يشبه حال يوسف عليه السلام في ولايته فقد أعظم الفرية وكفر بالله وكذّب تزكيته سبحانه ليوسف عليه السلام ...

فإن علم أن حاله عليه السلام ووضعه ذاك غير موجود اليوم في وزارات الطواغيت ... فلا مجال للقياس ها هنا ، إذاً فليترك المبطلون عنهم الهذر والهذيان في هذا الباب ..

ولقد قال الله تبارك وتعالى عن يوسف عليه السلام : **﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنِّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ﴾** [سورة يوسف: 21].

وهذا مجمل قد بيّنه الله تعالى في موضع آخر من كتابه فوصف حال من يُمَكِّنَ لهم في الأرض من المؤمنين بقوله : **﴿الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ ﴾** [سورة الحج: 41].

ولا شك أن يوسف عليه السلام من هؤلاء بل من سادتهم ، الذين إن مكنهم الله أمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر .. ولا شك ولا ريب عند من عرف دين الإسلام أن أعظم معروف فيه هو التوحيد الذي كان أصل الأصول في دعوة يوسف وآبائه عليهم السلام ... وأعظم منكر هو الشرك الذي كان يحذر منه يوسف ويمقت ويبغض ويُعادي أربابه .. وفي دلالة واضحة وقاطعة على أن يوسف بعد أن مَكَّنَ الله له كان صادعاً بملة آبائه يعقوب واسحاق وإبراهيم ، آمراً بها ناهياً محارباً لكلّ ما خالفها وناقضها ... فلا هو حكم بغير ما أنزل الله ، ولا هو أعان على الحكم بغير ما أنزل الله ، ولا أعان الأرباب المشرّعين والطواغيت المعبودين من دون الله ولا ظاهرهم أو تولاهم كما يفعل المفتونون في مناصبهم اليوم ..

فضلاً أن يُشاركهم في تشريعاتهم كما يفعل اليوم المفتونون في البرلمانات بل يُقال جزماً إنه قد أنكر حالهم وغيَّر مُنكرهم وحكم بالتوحيد ودعا إليه ونابذ وأبعد من خالفه وناقضه كائناً من كان ... وذلك بنص كلام الله تعالى ... ولا يصف الصدِّيقَ الكريم ابن الأكرمين بغير هذا إلا كافرٌ خبيثٌ قد بريء من ملّته الطاهرة الزكية ...

ومما يدل على هذا أيضاً دلالة واضحة ويؤكده.. بيان وتفسير مجمل قوله تعالى : **﴿وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مِكِينٌ أَمِينٌ ﴾** [سورة يوسف: 54]. فما تُرى الكلام الذي كلّم يوسف الملك به هنا ، حتى أعجب به ومكّنه وأمنه ؟؟. أتُراه انشغل بذكر قصة امرأة العزيز وقد انتهت وظهر الحق فيها ... أم تُراه كلّمه عن الوحدة الوطنية !! والمشكلة الاقتصادية !! و..و... أم ماذا ؟؟؟.

ليس لأحد أن يرجم بالغيب ويقول ها هنا بغير برهان ، فإنْ فعلَ فهو من الكاذبين .. لكن المبيِّن المفسر لقوله تعالى : **﴿فَلَمَّا كَلَّمَهُ ﴾** واضحٌ صريحٌ في قوله تعالى : **﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوت ﴾** [سورة النحل: 36] وقوله تعالى : **﴿ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾** [سورة الزمر: 65] وقوله تعالى في وصف أهم المهمات في دعوة يوسف عليه الصلاة السلام: **﴿إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لاَّ يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَهُم بِالآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ۞ وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَشْكُرُونَ﴾** [سورة يوسف: 37-38].

وقوله تعالى عنه : ﴿... أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ . مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلاَّ أَسْمَاء سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَآؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلّهِ أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ ﴾ [سورة يوسف: 39-40].

لا شك أنَّ هذا أعظم كلام عند يوسف عليه السلام فهو الدين القيِّم عنده وأصلُ أصولِ دعوته وملَّته وملَّة آبائه.. فإذا أمر بمعروف فهذا أعظم معروف يعرفه ... وإن نهى عن منكر فليس بمنكر عنده أنكر مما يُناقض هذا الأصل ويُعارضه .. فإذا تقرر هذا .. وكان جوابُ الملك له : ﴿إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مِكِينٌ أَمِينٌ ﴾ فهو دليلٌ واضحٌ على أنَّ الملك قد تابعه ووافقه عليه وأنه قد ترك ملَّة الكفر واتبع ملَّة إبراهيم وإسحاق ويعقوب ويوسف عليهم السلام...

أو قُل إنْ شئتَ : على أقلِّ الأحوال أقرّه على توحيده وملَّة آبائه، وأطلق له حرية الكلام والدعوة إليها وتسفيه ما خالفها ولم يعترض عليه في شيءٍ من ذلك ولا كلفه بما يُناقضه أو يخالفه ... وحسبك بهذا فرقاً عظيماً بين حاله عليه السلام هذه .. وبين حال المفتونين من أنصار الطواغيت وأعوانهم في وزارات اليوم أو المشاركين لهم بالتشريع في برلماناتهم ..

إذا عرفت ما سبق كلَّه تحقق لديك يقيناً بأنَّ تولي يوسف عليه السلام للوزارة لم يكن مخالفاً للتوحيد ولا مُناقضاً لملَّة إبراهيم كما هو حال من تولاها في هذا الزمان ..

من هذا يتبين لك وبشكل واضح أن الاحتجاج على جواز تولي الوزارة في حكم الطاغوت بقصة يوسف عليه السلام احتجاج ساقط مردود لا شك .

الشبهة الخامسة : أنَّ النجاشي لم يحكم بما أنزل الله ومع ذلك كان مسلماً .

واحتج أهلُ الأهواءِ أيضاً بقصة النجاشي للترقيع لطواغيتهم المشرِّعين سواءً كانوا حكاماً أو نوّاباً في البرلمان أو غيرهم ...

فقالوا : إنَّ النجاشي لم يحكم بما أنزل الله تعالى بعد أن أسلم وبقي على ذلك إلى أن مات ومع هذا فقد سماه النبي ﷺ عبداً صالحاً وصلى عليه وأمر أصحابه بالصلاة عليه . ويريد أصحاب هذه الشبهة بذلك عدم تكفير الحكام المعاصرين الحاكمين بغير ما أنزل الله .

فنقول وبالله تعالى التوفيق : -

أولاً : يلزم المحتج بهذه الشبهة المتهافتة قبل كلِّ شيءٍ أن يثبت لنا بنصٍ صحيحٍ صريحٍ قطعي الدلالة أنَّ النجاشي لم يحكم بما أنزل الله بعد إسلامه.. فقد تتبعتُ أقاويلهم من أولها إلى آخرها .. فما وجدتُ في جعبتهم إلا استنباطات ومزاعم جوفاء لا يدعمُها دليلٌ صحيحٌ ولا برهانٌ صادقٌ ، وقد قال تعالى : ﴿ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [سورة البقرة: 111]. فإذا لم يأتوا بالبرهان على ذلك فليسوا من الصادقين بل هم من الكاذبين..

ولقد استدل بعضهم بكلام ابن تيمية رحمه الله عن النجاشي لإثبات ما ذهبوا إليه من عدم تكفير الحكام الذين يحكمون بالقوانين الوضعية .

ولبيان هذه المسألة لا بد من ذكر كلام ابن تيمية رحمه الله وبيان الحق فيه.

قال ابن تيمية رحمه الله : " وأيضا فإن الله تعالى قد أخبر في غير موضع أنه لا يكلّف نفسا إلا وسعها ، كقوله تعالى : **﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلا وُسْعَهَا ﴾** [سورة الأعراف: 42] ، وقوله **﴿ لا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلا وُسْعَهَا﴾** [سورة البقرة: 233] ، وقوله **﴿ لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلا مَا آتَاهَا ﴾** [سورة الطلاق: 7]، وأمر بتقواه بقدر الاستطاعة فقال : **﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾** [سورة التغابن: 16]، وقد دعاه المؤمنون بقولهم : **﴿ رَبَّنَا وَلا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلا تُحَمِّلْنَا مَا لا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ﴾** [سورة البقرة: 286] فقال : قد فعلت .

فدلت هذه النصوص على أنه لا يكلف نفسا ما تعجز عنه ، خلافا للجهمية المجبرة ، ودلت على أنه لا يؤاخذ المخطئ والناسي ، خلافا للقدرية والمعتزلة ، وهذا فصل الخطاب في هذا الباب .

فالمجتهد المستدل – من إمام وحاكم وعالم وناظر ومناظر ومفت وغير ذلك – إذا اجتهد واستدل فاتقى الله ما استطاع ، كان هذا هو الذي كلّفه الله إياه ، وهو مطيع لله مستحق للثواب إذا اتقاه ما استطاع ، ولا يعاقبه الله البته – إلى أن قال –

وكذلك الكفّار من بلغته دعوة النبي صلى الله عليه وسلم في دار الكفر، وعلم أنه رسول الله فآمن به، وآمن بما أنزل عليه ، واتقى الله ما استطاع ، كما فعل النجاشي وغيره ، ولم يمكنه الهجرة إلى دار الإسلام ، ولا التزام جميع شرائع الإسلام، لكونه ممنوعا من الهجرة، وممنوعاً من إظهار دينه، وليس عنده من يعلّمه جميع شرائع الإسلام ، فهذا مؤمن من أهل الجنة – إلى أن قال – وكثير من شرائع الإسلام – أو أكثرها – لم يكن دخل فيها لعجزه عن ذلك ، فلم يهاجر ولم يجاهد ولا حج البيت ، بل قد رُوي أنه لم يكن يصلي الصلوات الخمس ، ولا يصوم شهر رمضان، ولا يؤدي الزكاة الشرعية ، لأن ذلك كان يظهر عند قومه فينكرونه عليه ، وهو لا يمكنه مخالفتهم . ونحن نعلم قطعا أنه لم يكن يمكنه أن يحكم بينهم بحكم القرآن. – إلى أن قال – والنجاشي ما كان يمكنه أن يحكم بحكم القرآن ، فإن قومه لا يقرّونه على ذلك . " أهـ [1]

أقول : اشتمل كلام ابن تيمية السابق على صواب وخطأ :

أما الصواب : فهو أن العاجز عن شيء من الشريعة ، سواء من جهة عدم التمكن من العلم به أو عدم القدرة على فعله ، فهو معذور لا إثم عليه.

وأما الخطأ : فقول ابن تيمية : " إن قوم النجاشي – وهم كفار – كانوا لا يُقرّونه على الحكم بالقرآن ، وهو لا يمكنه مخالفتهم " هذا حاصل كلامه رحمه الله ، وهو خطأ ، وهذا القول لا يُصار إليه في الأصل إلا بعد إثبات

---

[1] من (منهاج السنة النبوية) 5/ 110 – 123، وهو بعينه موجود في (مجموع الفتاوى) 19/ 215 – 225.

بلوغ أحكام الشريعة إليه وأنه لم يلتزم بها بعد البلاغ ، ولم يثبت ذلك بنقل صحيح ، بل الظاهر خلاف ذلك كما يدل عليه حال الصحابة العائدين من الحبشة ، فيكفي القول بأن الشرائع لم تبلغ النجاشي فلم تجب عليه.

أما القول بأن قومه كان ينكرون عليه ولا يقرونه ، فهذا محض الظن والتخمين ، وهو مخالف لما نقله وأثبته تلميذه ابن القيم عن إعلان النجاشي إسلامه وموافقة قومه له ، مما يدل على أن هذا الكلام المنقول عن ابن تيمية قد دس عليه . والذي يهمنا هنا هو التنبيه على أن خشية الناس ليس من الأعذار التي تجيز ترك الحكم بالشريعة ، وهذا هو وجه الخطأ في كلامه ، وإلا لجاز لأي حاكم ممن يحكمون بالقوانين الوضعية اليوم أن يعتذر بهذا العذر، فيدعي أنه يخشى من قومه أو يخشى من القوى العالمية والدول الكبرى إن هو حكم بالشريعة ، فهل هذا عذر مقبول يمنع من تكفيره ؟.

أما الأدلة على أن مثل هذه الخشية ليست عذراً ولا مانعاً من التكفير ، فمنها .

1 – قوله تعالى : **﴿ فَلا تَخْشَوْا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلا وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمْ الْكَافِرُونَ﴾** [سورة المائدة: 44]. فأبطل الله عذر الخوف وخشية الناس في هذا المقام بقوله **﴿فَلا تَخْشَوْا النَّاسَ﴾** . وإذا كان الحكم بالقوانين الوضعية كفراً أكبر كما تقدم بسطه ، فالكفر لا يترخص فيه بالخوف ما لم يقع إكراه ملجئ ، وهذا غير متصور في حق الحكام لأنهم يفعلون ما يفعلون باختيارهم وغاية أحدهم أن يخلع نفسه من الحكم ويتخلى عن الملك إن عجز عن إقامة حكم الله فهذا خير له من أن يظل في مُلكه مقيماً على الكفر .

2 – وقوله تعالى: **﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ، فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِم يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسَرُّوا فِي أَنفُسِهِمْ نَادِمِينَ ﴾** [سورة المائدة: 51-52]

فهذه الآية الكريمة تبين أن الخوف ليس عذراً للوقوع في الكفر – وهو هنا بسبب موالاة الكفار – فدل على أن الخوف ليس مانعا من التكفير .

3 – وهناك دليل خاص في هذه المسألة ، وهو قصة هرقل ملك الروم مع قومه، فلما بلغته رسالة النبي صلى الله عليه وسلم يدعوه إلى الإسلام ، أراد أن يُسلم ، ولكنه خاف من قومه أن يقتلوه كما قتلوا غيره ممن أسلم من أساقفة النصارى ، فأراد أن يختبرهم فلم يوافقوه فلم يُسلم. وحديثه متفق عليه ، وفي رواية البخاري " ثم كتب هرقل إلى صاحب له برومية، وكان نظيره في العلم ، وسار هرقل إلى حِمْص ، فلم يَرِمْ حمص حتى أتاه كتابٌ من صاحبه يوافق رأي هرقل على خروج النبي صلى الله عليه وسلم وأنه نبيٌّ ، فأذِن هرقل لعظماء الروم في دَسْكرةٍ له بحمص ، ثم أمر بأبوابها فغلِّقت ، ثم اطلّع فقال : يا معشر الروم ، هل لكم في الفلاح والرُشْد وأن يثبُت مُلككم فتبايعوا هذا النبي ؟، فحاصوا حَيْصة حُمُر الوَحْش إلى الأبواب فوجدوها قد غلّقت ، فلما رأى هرقل نَفْرتهم وأيس

من الإيمان قال : رُدّوهم عَلَيّ ، وقال : إني قلت مقالتي آنفا أختبر بها شِدّتكم على دينكم ، فقد رأيت . فسجدوا له ورضوا عنه ، فكان ذلك آخر شأن هرقل " .

وقصة قتلهم لأسقفهم لما أعلن إسلامه ذكرها ابن حجر في شرحه لهذا الحديث ، وقال ابن حجر عن هرقل : " وكان يحب أن يطيعوه فيستمر مُلكه ويسلم ويسلموا بإسلامهم ، فما أيس من الإيمان إلا بالشرط الذي أراده ، وإلا فقد كان قادراً على أن يفر عنهم ويترك مُلكه رغبة فيما عند الله ، والله الموفق " [1]

والشاهد من حديث هرقل أن خوفه من قومه لم يكن مانعاً من تكفيره ، وسبب كفره ترك الإقرار بالشهادتين ، ولم يقع عليه إكراه فقد كان بإمكانه أن يفرّ عنهم كما قال ابن حجر ، فكذلك لا يكون الخوف مانعا من تكفير الحاكم بغير ما أنزل الله ، فالكفر هو الكفر وإن اختلف سببه سواء كان كفره بسبب ترك الإقرار بالشهادتين أو بسبب ترك الحكم بما أنزل الله .

هذا وقد قال ابن القيم عكس كلام ابن تيمية عن النجاشي . حيث قال أن النجاشي أظهر دينه – أو ما علمه من الدين – وأن قومه أطاعوه وأن هرقل علم بإسلامه لأن النجاشي كان يدفع له خراجاً ولما أسلم امتنع من دفعه .

فرجلٌ يحمله دينه على تحدي هرقل هل يخشى أن يحكم بالقرآن ؟!.

والصواب في هذا كله أنه عمل بما بلغه من الدين .

وهذا كله في بيان خطأ ما ذهب إليه ابن تيمية من أن النجاشي لم يحكم بالقرآن لأن قومه لن يطيعوه في ذلك. والصواب أنه لم يحكم بالقرآن لأنه لم تبلغه الأحكام الشرعية التفصيلية .

ثانياً : إنَّ النجاشي قد مات قبل اكتمال التشريع .. فالحكمُ بما أنزل الله تعالى في حقه آنذاك ؛ أن يحكم ويتبع ويعمل بما بلغه من الدين ، ولم تكن وسائل النقل والاتصال في ذلك الزمان كحالها في هذا الزمان إذ كانت بعض الشرائع لا تصل للمرء إلا بعد سنين وربما لا يعلم بها إلا إذا شدَّ إلى النبي ﷺ الرحال ... فالدينُ ما زال حديثاً والقرآنُ لا زال يتنزل والتشريعُ لم يكتمل ... ويدل على ذلك دلالةً واضحة .. ما رواه البخاريُّ وغيره عن عبد الله بن مسعود أنه قال : "كنا نُسلِّم على النبيِّ ﷺ في الصلاة فيرد علينا ، فلما رجعنا من عند النجاشي سلَّمنا عليه ، فلم يرد علينا ، وقال : (**إنَّ في الصلاة شغلاً**) ".. فإذا كان الصحابة الذين كانوا عند النجاشي بالحبشة مع العلم أنهم كانوا يعرفون العربية ويتتبعون أخبار النبي ﷺ لم يبلغهم نسخ الكلام والسلام في الصلاة مع أنَّ الصلاة أمرها ظاهر لأنَّ النبيَّ ﷺ كان يُصلي بالنّاس خمسَ مراتٍ في اليوم والليلة ... فكيف بسائر العبادات والتشريعات والحدود التي لا تتكرر كتكرر الصلاة ؟

[1] فتح الباري : 1/ 43.

إذا تقرر هذا فيجب أن يُعلم أنَّ النجاشي قد حكم بما بلغه مما أنزل الله تعالى ، ومَنْ زعم خلاف هذا ، فلا سبيل إلى تصديقه وقبول قوله إلا ببرهان ﴿**قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين**﴾ ..وكلُّ ما يذكره المستدلون بقصته يدلُ على أنَّه كان حاكماً بما بلغه مما أنزله الله تعالى آنذاك

ثالثاً : إنَّ الصورة في قصة النجاشي لحاكم كان كافراً ثم أسلم حديثاً وهو في منصبه، فأظهر صدق إسلامه بالاستسلام الكامل لأمر النبي ﷺ ، فقد أرسل رسالة إلى رسول الله يقول فيها : " إنْ شئتَ أن آتيك فعلتُ يا رسول الله فإنني أشهدُ أنَّ ما تقولُ حق " .

هذا وقد نصر المهاجرين إليه وآواهم وحقّق لهم الأمن والحماية، ولم يخذلهم أو يُسلمهم لقريش ، ولا ترك نصارى الحبشة يتعرضون لهم بسوء رغم أنهم كانوا قد أظهروا معتقدهم الحق في عيسى عليه السلام ... بل إنه بعث بابنه ومعه ستون رجلاً من أهل الحبشة إلى النبي ﷺ ... وكلُّ ذلك نصرةً له واتباعاً وتأييداً ..

رابعاً : كان النجاشي رحمه الله قد أفرغ جهده في طلب الحق وتعلم الدين وكان يصدع بالحق وبقي على هذا الحال إلى أن لقي الله وذلك قبل اكتمال التشريع وبلوغه إليه كاملاً... ولم يحكم بعد إسلامه بحكم يخالف حكم الله ورسوله ﷺ حتى مات . هذه هي الصورة الحقيقية الواردة في الأحاديث والآثار الصحيحة الثابتة في شأنه.. ونحن نتحدى مخالفينا في أن يثبتوا غيرها.. لكن بدليل صريحٍ صحيحٍ أما التواريخ فلا تُسمن ولا تُغني من جوع وحدها دون إسناد ...

ذكر ابن القيم في (زاد المعاد) في (ذِكر هديه صلى الله عليه وسلم في مكاتباته إلى الملوك وغيرهم) وفيه أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث عمرو بن العاص إلى ملك عُمان يدعوه إلى الإسلام ، وهو جيفر وأخيه عبد ابني الجلندي ، فسأل عبد ابن الجلندي عَمراً فقال فيما رواه عمرو (فسألني أين كان إسلامك ، قلت : عند النجاشي وأخبرته أن النجاشي قد أسلم ، قال : فكيف صنع قومه بُملكه ؟ فقلت : أقروه واتبعوه، قال : والأساقفة والرهبان تبعوه ؟ قلت : نعم ، قال : انظر يا عمرو ما تقول إنه ليس من خصلة في رجل أفضح له من الكذب ، قلت : ما كذبت وما نستحله في ديننا ، ثم قال : ما أرى هرقل عَلِم بإسلام النجاشي ، قلت : بلى ، قال بأي شيء علمت ذلك ؟ قلت : كان النجاشي يخرج له خرجا فلما أسلم وصدق بمحمد صلى الله عليه وسلم قال لا والله لو سألني درهما واحداً ما أعطيته ، فبلغ هرقل قوله فقال له النياق أخوه أتدع عبدك لا يخرج لك خرجا ويدين بدين غيرك دينا محدثا ؟ قال هرقل : رجل رغب في دين فاختاره لنفسه ما أصنع به والله لولا الضن بملكي لصنعت كما صنع ، قال : انظر ما تقول يا عمرو، قلت : والله صدقتك) اهـ [1]

وبالردّ على هذه الشبهة أختم الكلام في الرد على شبهات المدافعين عن أسلمة الحكام بالقوانين الوضعية ، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم .

وبعد :

---

[1] زاد المعاد : 3/ 62.

فقد قال تعالى : ﴿ **وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الإنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ، وَلِتَصْغَى إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ** ﴾ [سورة الأنعام: 112-113]

فدلت هذه الآية على أنه لابد للحق الذي جاء به الأنبياء من أعداء من الإنس والجن لهم شبهات يزينونها ويزخرفونها ليصدوا عن سبيل الله، وأن هذه سنة قدرية لابد أن تقع كما يدل عليه قوله تعالى ﴿**وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوه**﴾ فإن (لو) حرف امتناع لامتناع ، فدل على أنهم لابد أن يفعلوا ذلك لامتناع المشيئة بعدمه، ثم ذكر المولى جل وعلا الحكمة من هذه السنة القدرية، وهي أن الله جعل هذه الشبهات (وهى زخرف القول) فتنة للناس : أما المؤمن فلا يزداد بها إلا بصيرة في الحق ، وأما المنافق فيصغى لها ويرضى بها ولا تزيده إلا ضلالا ﴿ **وَلِتَصْغَى إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ**﴾ .

فإنه لا بد من المحنة والفتنة والاختبار في هذه الدنيا. كما قال تعالى : ﴿ **أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ ۞ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ** ﴾ [سورة العنكبوت: 2-3]

وهذه الشبهات نوع من الفتنة يختبر الله بها عباده ، ولهذا فإنها لن تنتهي ولن تنقطع ما دامت هناك طائفة على الحق قائمة بأمر الله فلا بد أن يوجد من يخالفها ويخذلها ، وستنشأ شبهات أخرى ، وفي الكتاب والسنة الرد على كل زائغ إلى يوم القيامة كما قال تعالى : ﴿ **وَلا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرا** ﴾ [سورة الفرقان: 33]، ولايزال الله يغرس في هذا الدين غرساً يستعملهم في طاعته .

وإن بعض هذه الشبهات أعجب كيف نشأت في ذهن صاحبها ولا أجد لها سببا إلا كما قال تعالى : ﴿ **شَيَاطِينَ الإنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا**﴾ [سورة الأنعام: 112]، وكما قال تعالى : ﴿ **وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ** ﴾ [سورة الأنعام: 121]

نسأل الله تعالى أن يعصمنا من مضلات الفتن ، وأن يثبتنا على دينه ، وأن يختم لنا بخاتمة السعادة ، إنه على كل شيء قدير .

4- المشرع من دون الله :

يختلف المشرع عن الحاكم المنفذ ،وهذا ما يسمونه في هذه الأيام بالسلطة التشريعية التي تلزم السلطة التنفيذية - وهم الحكام - بتنفيذ ما يصدر عنها من أحكام وتقريرات وتشريعات .

وقد يكون المشرع من دون الله شخصاً ، أو هيئة ، أو جماعة ، أو حزباً ، أو مجلساً يضم مشرعين ، أو أحباراً ورهباناً ومشايخ يكتسون الطابع الديني... وغير ذلك .

وعلى العموم فإننا نقول : كل من جعل خاصية التشريع – التحليل والتحريم ، والتحسين والتقبيح – لنفسه من دون الله ، وأخذ يشرع للعباد ما يهواه ويراه ، فهو طاغوت وقد جعل من نفسه ندا لله تعالى ، يجب تكفيره والكفر به .

وقوله تعالى : ﴿ **يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ** ﴾ [سورة النساء: 60] ، يطاله ويشمله كطاغوت يعبد من جهة التحاكم إلى ما يشرع ، ومن جهة طاعته والإقرار له بخاصية التشريع التي تعتبر من خصوصيات الله وحده ، كما قال تعالى : ﴿ **وَلا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا**﴾ [سورة الكهف: 26].

فأيما مخلوق يعترف له بهذا الحق ، ويتحاكم إلى ما يصدر عنه من أحكام وتشريعات ، فقد أقر له بالإلهية والربوبية ، واتخذه معبوداً ونداً لله تعالى في أخص خصائصه ، وإن صلى وصام وزعم أنه من المسلمين . وقوله تعالى : ﴿ **اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ** ﴾ [سورة التوبة: 31] ، يطاله ويشمله .

5- التشريع المضاهي لشرع الله .

كذلك فإن التشريع المضاهي لشرع الله تعالى طاغوت ، وهو مما يراد من قوله تعالى : ﴿ **يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ** ﴾ [سورة النساء: 60].

وقد تقدم معنا في التعريف للطاغوت ، أن من أهل العلم من أدخل التشريعات المضاهية لشرع الله ، والقوانين الوضعية وغيرها في مسمى الطاغوت ، وأجرى عليها اسم الطاغوت وصفة الطغيان .

ومما يدخل في هذا النوع من الطاغوت الدساتير الوضعية التي صاغتها عقول البشر لتحكم البلاد والعباد ، والجميع – كما يقولون عبدة الطاغوت – تحت الدستور ، ينفذون ما جاء فيه ، فالدستور يعلو الجميع ولا يُعلى عليه كما يقولون ..!

ولشدة رهبة القوم من الدستور – التي تأتت بعد دعاية مكثفة قد قام بها الطاغوت – فإنهم يتصورون أن يخرجوا على كل شيء أو ينقدوا كل شيء سوى الدستور الطاغوت الذي خطه الطاغوت ، فالدستور – عندهم – فوق التعقيب وفوق النقد والاعتراض ، والويل كل الويل لمن تسول له نفسه إهانة الدستور والتطاول عليه ..!!

ومما يدخل كذلك في هذا النوع من الطاغوت ، الكتب التي تروج الكفر وتدعو له ، وبخاصة منها تلك الكتب التي تحتوي على مبادئ ومناهج الأحزاب العلمانية الكافرة وغيرها ، والتي تعتبر مراجع هامة – لا بد من الأخذ بها – عند أفراد الحزب ومن ينتمون إليه ..!

فالكتاب الذي يتضمن الكفر والشرك ، وثن منصوب ينتظر من يقع في شباكه ، فيأخذ بما فيه ويتبعه . فلهذا يجب عدم بيع أو نشر مثل هذه الكتب ولو بنية الربح المادي لأن هذا العمل يعتبر مساعدة على نشر الكفر.[1]

---

[1] وهذا يستدعي من القائمين على دور النشر ، وبخاصة التي تسمي نفسها إسلامية الامتناع عن نشر كتب تحتوي على الكفر والشرك والضلالات ، فإن الدال على الشر كفاعله.

فإن قيل : الطاغوت هو الذي يعبد من دون الله ، فأين تكمن عبادة التشريع ... ؟

أقول : من الواضح أن عبادته تكمن من جهة التحاكم إليه وطاعته ، والأخذ بنصوصه وأحكامه من غير تعقيب أو تقديم بشيء يدل على التعقيب والاعتراض ، وغير ذلك من الأمور التي تدخل في معنى العبادة لغة وشرعاً ، والتي لا يجوز صرفها إلا لله تعالى .

6- المحبوب لذاته من دون الله تعالى :

قد تقدم أن المحبوب لذاته من دون الله معبود من جهة عقد الولاء والبراء فيه وعليه ، فيُحب فيه ويُعادى فيه ، ويُوالى من يواليه ويُعادى من يعاديه من غير التفات إلى حق أو باطل .

ومن كان كذلك فهو طاغوت ، وقد جُعل منه ند لله تعالى فيما يجب له سبحانه وتعالى وحده ، كما قال : ﴿ **وَمِنْ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنـدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ** ﴾ ، وقد تقدمت الأدلة على هذا النوع من الشرك والطغيان .

والذي نريد أن نشير إليه هنا أن المحبوب لذاته طاغوت ، وقد تختلف أشكاله وصوره ، فقد يكون حاكماً ، أو شيخاً ، أو زعيماً لحزب ، أو وطناً ، أو قوماً ، أو قبيلة ، أو امرأة ، أو مالاً [1]، وغير ذلك . فكل من عُقد عليه الولاء والبراء فهو داخل في ذلك ، ومسمى الطاغوت يطاله ويشمله .

7- المطاع لذاته من دون الله :

وكذلك المطاع لذاته فهو طاغوت ، وعبادته تكمن - كما تقدم - من جهة اعتبار طاعته في الحق و الباطل ، وأمره مطاع من غير تعقيب أو رد سواء كان موافقاً للحق أم غير ذلك. وهذا النوع من العبودية للطاغوت أكثر الناس قد وقعوا فيه ، وهم يدرون أو لا يدرون !!

والمطاع لذاته من دون الله قد يكون حاكماً ، أو زعيماً لقبيلة أو حزباً أو جماعة ، أو شيخاً ، أو حبراً كبابا النصارى وغيره ...

---

[1] **تأمل قوله ﷺ فيما رواه البخاري وابن ماجة : " تعس عبد الدرهم " وما سمي عبداً له إلا لأنه جعل المال محور حياته ، وأساس علاقته بين الناس ، فلا هَمّ لهُ سوى الربح وتكثير المال ، فحيثما يكمن الربح والكسب تجده متودداً باشاً الوجه متذللاً ، وحيثما ينتفي الربح المادي تجده عابساً معرضاً ومترفعاً..!**

و هذا هو المراد من قوله ﷺ : "من سعى مكاثراً - أي للمال - ففي سبيل الطاغوت ، وفي رواية : سبيل الشيطان ". (رواه الطبراني بسند صحيح، مجمع الزوائد .)

8- الوطن والوطنية .

الوطن يكون طاغوتاً ومعبوداً من دون الله عندما يُعقد الولاء والبراء على أساس الانتماء إليه ولحدوده ، وتقسم الحقوق والواجبات على هذا الأساس . بحيث أن من كان ينتمي للوطن ويسكن داخل حدوده فله كل الحقوق والموالاة ولو كان من أكفر الكافرين ، ومن كان لا ينتمي إلى الوطن من حيث السكنة والجنسية فليس له شيء من الحقوق التي تحق لذلك المواطن الكافر ولو كان من أتقى أهل الأرض وأفضلهم ..!!

ومن صور ذلك ، الوحدة الوطنية التي تُردد على ألسنة الطواغيت وكثير من الناس المخدوعين ، والتي يُراد منها تحالف الأحزاب والفرق الوطنية جميعها ، الصالح منها والطالح ، وتوحيد صفها في مواجهة التحديات التي تواجه الوطن ، فالوطن : محور اهتماماتهم ، والغاية العظمى التي تجتمع عليها جهودهم ..!!

فمن لم يفرق بين اليهود والنصارى وسائر الكفرة وبين المسلمين إلا بالوطن ، وجعل أحكامهم واحدة فهو كافر الكفر الأكبر لكونه أشرك الوطن مع الله تعالى في الولاء والبراء ، وجعل الاعتبار في ذلك هو الوطن والتراب وليس العقيدة والدين ، وهذا مفاده رد وإبطال كثير من النصوص الشرعية التي تنص على وجوب عقد الولاء والبراء في العقيدة والدين .

ومن غلو القوم في تعظيم الوطن وتأليهه من دون الله عز وجل أن جعلوه – من خلال التربية والتثقيف ووسائل الإعلام – غاية لكل عمل خير يقوم به الإنسان ، فهم يجاهدون في سبيل الوطن ! ويتبرعون في سبيل الوطن ! ويموتون في سبيل الوطن ! ويعادون ويسالمون في سبيل الوطن .. وغير ذلك مما لا يجوز فعله إلا أن يكون في سبيل الله وحده ، والغاية منه مرضاة الله عز وجل .

جاء في صحيح البخاري ، أن رجلا جاء إلى النبي ﷺ فقال : الرجل يقاتل للمغنم ، والرجل يقاتل للذكر ، والرجل يقاتل ليرى مكانه ، فمن في سبيل الله ؟ قال : " **من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله** ".

وهذا تعبير يفيد الحصر ، أي أن القتال المحبوب شرعاً هو القتال الذي تكون الغاية منه محصورة في إعلاء كلمة الله في الأرض ، وما سواه فإنه قتال باطل لأن غاياته باطلة ، وهو في سبيل الطاغوت ، كما قال تعالى : ﴿ **الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ** ﴾ [سورة النساء: 76]، فهما قتالان – لا ثالث لهما – إما قتال في سبيل الله وحده ، وإما قتال في سبيل الطاغوت ، حيث لا خلط بينهما ولا التباس ، وكل قتال ليس في سبيل الله وحده فهو في سبيل الطاغوت .

فإن قيل : كيف نوفق بين ما تقدم من كون المرء لا يجوز له أن يضحي ويقاتل في سبيل الوطن ، وبين كون الدفاع عن أرض الإسلام وأوطان المسلمين واجب شرعي وفرض على المسلمين القيام به ؟ وكذلك كون المرء الذي يقتل دون ماله وعرضه ومظلمته فهو شهيد ؟

أقول : لا تعارض بين الأمرين ولله الحمد ، فهناك فرق بين أن يقاتل دفاعاً عن شيء في سبيل الله وإعلاء لأمره وحكمه ، وأن يقاتل دفاعاً عن شيء في سبيل هذا الشيء ، وحمية له من دون أن يرد الأمر إلى الله عز

وجل ، فالأول هو الذي شرعه الإسلام وأمر به ، وهو من أفضل ما يتقرب به العبد إلى ربه ، وأما الثاني فهو باطل وشرك لأنه يتضمن صرف الأعمال لغير الله تعالى .

وكذلك هناك فرق بين حب الأوطان والحنين إليها وهو مشروع ، وبين أن يعقد الولاء والبراء على أساس الانتماء لهذه الأوطان ، وأن تكون غاية تصرف في سبيلها الأعمال ، وهذا لا يشرع لما يتضمن من إشراك الأوطان مع الله تعالى كما تقدم ، حيث إن كثيراً من الناس يخلطون بين الأمرين !!

فمكة كانت أحب بقاع الأرض إلى قلب نبينا محمد ﷺ ، ولكن الله أحب وأجل وأعز وأعلى ، ولما حصل الاختيار بين الإقامة في الوطن الحبيب مسقط الرأس ومنبت الطفولة والشباب وبين الهجرة إلى الله إلى دار الإسلام حيث يثرب المدينة المنورة ، فقد آثر مرضاة الله تعالى والهجرة إليه ، وعلى دربه هذا سار الصحابة والتابعون ، ونحن على آثارهم سائرون ومقتدون .

تنبيه هام :

اعلم أن الله تعالى غاية عظمى لا تعلوه ولا تُقدم عليه غاية وهذا حقه عليك يا عبد الله ، فإذا حصل الاختيار بين الله تعالى وبين الأوطان والأهل والعشيرة والمال وغير ذلك من زينة الحياة الدنيا وفتنتها ، فالمختار والمقدم هو الله سبحانه وتعالى ، فكل شيء في سبيله يهون ويرخص ، وفي سبيل غيره كل شيء يعز ويسمو...

فغيرنا يضحي في سبيل الطاغوت ولا يبالي ، فنحن أولى في أن نضحي ونستميت في سبيل الله وحده ، وبخاصة أننا نرجو من الله ما لا يرجون . وهذا من بديهيات لوازم الإيمان والتوحيد ، الذي يجب على كل مسلم أن يدركه وينتبه إليه ، وإلا فإن دعواه الإسلام زعم لا حقيقة له .

قال تعالى : **﴿ قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾** [سورة التوبة: 24] ، والمراد بالفسق هنا الفسق الأكبر المخرج عن الملة ، هذا ما تقتضيه مناسبة الآية ، والنصوص الشرعية الأخرى ذات العلاقة بالموضوع .

9- القوم والقومية :

تقوم الفكرة القومية على مبادئ وأسس ، وهي : اللغة ، والتاريخ ، والأرض ، والعرق ، فأي قوم تجمعهم هذه الخصال فلهم الولاء القومي وحق النصرة ، بغض النظر عن المعتقد والدين ، لأن الدين والاعتقاد لا اعتبار لهما في نظر الفكرة القومية وعند دعاتها من القوميين ، فالقومية هي تكريس للعلمانية الكافرة التي تدعو إلى فصل الدين عن الدولة والحياة .

وعليه فإن القوم الذين تجمعهم اعتبارات القومية ومبادئها فالقومية طاغوتهم ومعبودهم من دون الله ، لأن الولاء والبراء ، والحقوق والواجبات تقسم وتعطى على أساس الانتماء إليها ، فمن كان من القوم فله الولاء

والنصرة وكامل الحقوق وإن كان من أطغى طغات الأرض ، ومن كان من خارج القوم فليس له شيء من ذلك وإن كان من أتقى أهل الأرض !

وباختصار فإن الفكرة القومية توجب ما حرم الله ، وتحرم ما أوجب الله ، وهذا هو الكفر البواح الذي لا ريب فيه . وبالتالي فإن اعتقادها والانتصار لها هو اعتقاد بالطاغوت وانتصار له .

أما الإسلام فإنه يوجب الموالاة والمؤاخاة على أساس الاعتبار الإيماني الديني العقدي ، وجعل التفاضل بين الناس بالتقوى والعمل الصالح ، بغض النظر عن لغاتهم وأجناسهم ، وديارهم .

كما قال تعالى : **﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾** [سورة الحجرات: 10] ، فهم إخوة وإن اختلفت قومياتهم وجنسياتهم ولغاتهم ، وهم بعضهم أولياء بعض كما قال تعالى : **﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ﴾** [سورة التوبة: 71] وقال : **﴿ أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ﴾** [سورة الكهف: 102]، فجعل المانع من موالاتهم هو أنهم كفروا وإن كانوا ينتسبون إلى قومية واحدة ، بل إلى عائلة واحدة ومن أبوين اثنين .

وقال تعالى : **﴿ أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ، مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾** [سورة القلم: 35-36]. فهم لا يستوون وإن كانوا من أبناء قومية وجنسية واحدة . وقال تعالى : **﴿ أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ ﴾** [سورة ص: 28] وكذلك قوله تعالى : **﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾**[سورة الحجرات: 13]. فجعل التفاضل في التقوى والعمل الصالح .

وفي السنة ، فقد صح عن النبي ﷺ أنه قال : " **إن أهل بيتي هؤلاء يرون أنهم أولى الناس بي ، وليس كذلك إن أوليائي منكم المتقون ، من كانوا وحيث كانوا** " [1].

وقال ﷺ : " **لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى** ".

وقال ﷺ : " **إن الله قد أذهب عُبِّيَّة الجاهلية وفخرها بالآباء ، مؤمن تقي ، وفاجر شقي ، أنتم بنو آدم ، وآدم من تراب ، ليدعن رجال فخرهم بأقوام هم من فحم جهنم ، أو ليكونن أهون على الله من الجعلان التي تدفع بأنفها النتن** " [2].

وقال : "**إذا رأيتم الرجل يتعزى بعزاء الجاهلية ، فأعضوه بِهَنِ أبيه ولا تكنوا** "[3].

---

[1] رواه ابن أبي عاصم في "السنة" وسنده صحيح .

[2] رواه أحمد، وأبو داود، صحيح الجامع : 1787.

[3] رواه أحمد ، والترمذي ،صحيح الجامع : 567. قال ابن الأثير في النهاية ، التعزي الانتماء والانتساب إلى القوم ، فأعضوه بهن أبيه : أي قولوا عض أير أبيك . أ هـ.

وقال : "**من ادعى دعوى الجاهلية فإنه جثا جهنم** "[1]، فقال رجل : يا رسول الله : وإن صلى وصام .؟ فقال : " **و إن صلى وصام ، فادعوا بدعوى الله التي سماكم : المسلمين ، المؤمنين ، عباد الله** "[2].

وقال : " **ليس منا من دعا بدعوى الجاهلية** "[3].

وكل دعوى غير دعوى الإسلام فهي دعوى جاهلية ، وكل رابطة تقوم على غير رابطة الإيمان والعقيدة فهي رابطة جاهلية يجب نبذها وبغضها والترفع عنها . . .

وما قلناه في القومية يقال في القبيلة أو العشيرة التي تعقد التناصر والولاء بين أفرادها على أساس الانتماء إلى القبيلة بغض النظر عن الدين وسلامة الاعتقاد ، بحيث كل من ينتمي إلى القبيلة أو العشيرة ويقر بنظامها وعاداتها يجب أن يُعطى من الولاء والنصرة – وإن كان كافراً – ما لا يعطاه ابن قبيلة أو عشيرة أخرى وإن كان من المسلمين المؤمنين .

وبذلك تكون القبيلة – ونظامها – في نظر أبنائها إلها مطاعاً من دون الله ، فالذي توجبه القبيلة تطاع فيه وإن كان في الشرع محرماً ، والذي تنهى عنه تطاع فيه وإن كان في الشرع واجبا ، وهذا عين الكفر والشرك كما قال تعالى:﴿ **وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ**﴾ [سورة الأنعام: 121].

ومن صور الولاء المعهودة عند بعض القبائل والعشائر تماجدهم وتفاخرهم بالأجداد والآباء بغض النظر عن استقامتهم وسلامة دينهم، وهذا مما لا شك فيه أن الإسلام قد نهى عنه ، وحذر منه أشد التحذير .

كما في الحديث ، أن النبي ﷺ قال : " **انتسب رجلان على عهد موسى ، فقال أحدهما : أنا فلان بن فلان ، حتى عدَّ تسعة ، فمن أنت لا أم لك ؟ قال : أنا فلان بن فلان ابن الإسلام ، فأوحى الله إلى موسى أن قل لهذين المنتسبين : أما أنت أيها المنتسب إلى تسعة في النار فأنت عاشرهم في النار ، وأما أنت أيها المنتسب إلى اثنين في الجنة فأنت ثالثهما في الجنة** "[4].

فمن كان منتسباً ومتفاخراً ولا بد ، فلينتسب إلى الإسلام وإلى من كان منتسباً إلى الإسلام .

10– الإنسانية :

عندما تصبح " **الإنسانية** " شعاراً يعقد عليه الولاء والبراء ، وتقدم في سبيله القرابين والأرواح ، وعلى أساسه يُعلن الحرب أو السلم ، فالإنسانية بهذه الصورة تعتبر طاغوتاً يعبد من دون الله .

---

[1] **جثا جهنم : أي من جماعات جهنم .**

[2] **صحيح الترغيب والترهيب، 553.**

[3] **صحيح سنن النسائي : 1756.**

[4] **رواه أحمد، والنسائي، والطبراني، صحيح الجامع : 1492.**

والإنسانية – كما تُقدم للشعوب في هذا العصر – تعني أن الناس كلهم سواسية في الحقوق والواجبات ، وإن اختلفت انتماءاتهم الدينية والعقدية ، فيستوي فيها أتقى الناس وأحسنهم خلقاً مع أفجر الناس وأكفرهم ، ولا فرق بينهما ما داما ينتميان إلى الأصل البشري الإنساني . وهذا قول معلوم من الدين بالضرورة بطلانه ، ولا يقول به إلا كافر مارق من الدين ، لأن مفاده مساواة سيد الخلق محمد بن عبد الله ﷺ مع رأس الكفر والضلال أبي جهل .

ومن غلو القوم في " **الإنسانية** " أنهم جعلوها غاية لكل عمل يقومون به ، فلو أن أحدهم يقوم بأي عمل من الأعمال الخيرة فهو يقوم بها في سبيل الإنسانية ، فلو تبرع بشيء من ماله فهو يتبرع للإنسانية وفي سبيل الإنسانية ، ولو قاتل فهو يقاتل في سبيل الإنسانية، ولو قُتل فهو يُقتل في سبيل الإنسانية ، وهكذا كل شيء يقوم به فهو في سبيل الإنسانية المزعومة ، فالإنسانية إله يعبد عندهم من دون الله .

11– الشعب :

عندما يكون الشعب مصدر السلطات بما في ذلك السلطة التشريعية ، ويكون له الأمر والاختيار فيمن يحكم البلاد ، والقانون الذي يطبق في الأرض ، حتى ولو وقع اختياره على قانون الإسلام فيطبق نزولاً عند رغبة وإرادة الشعب !!

فالشعب في هذه الصورة طاغوت ومعبود من دون الله ، وذلك من أوجه :

منها : رد السلطة التشريعية إليه ، وجعله نداً لله تعالى في خاصية الحكم والتشريع ، وقد تقدمت الأدلة على هذا النوع من الإشراك .

يقول سيد قطب رحمه الله : "والأمة في النظام الإسلامي هي التي تختار الحاكم [1] فتعطيه شرعية مزاولة الحكم بشريعة الله ، ولكنها ليست هي مصدر الحاكمية التي تعطي القانون شرعيته ، إنما مصدر الحاكمية هو الله . وكثيرون حتى من الباحثين المسلمين يخلطون بين مزاولة السلطة وبين مصدر السلطة ، فالناس بجملتهم لا يملكون حق الحاكمية إنما يملكه الله وحده ، والناس إنما يزاولون تطبيق ما شرعه الله بسلطانه ، أما ما لم يشرعه الله فلا سلطان له ولا شرعية ، وما أنزل الله به من سلطان " [2].

ومنها : طاعته لذاته في معصية الله ، والنزول عند رغبته فيما يشير ويحكم ، وإن أشار وأمر بالكفر البواح!!

---

[1] لكن ليس لها أن تعطيه شرعية مزاولة الحكم بغير شريعة الله ، كما ليس لها أن تختار الحاكم الكافر المرتد ليحكم البلاد والعباد ثم تُقَرُّ عليه .

[2] في ظلال القرآن : 1990/4.

ومنها : تقديم إرادة الشعب على إرادة الله تعالى ، والنظر إلى الشعب على أنه سلطة عليا ترد إليه المنازعات عند الاختلاف [1]، يجب التسليم لحكمه من غير تعقيب أو تقديم ، وهذه هي الإلهية والربوبية التي لا تجوز إلا لله رب العالمين .

ومنها : أن حكم الشعب ليس حكم الله وإن حكم بشريعة الإسلام وأصاب الحق ، وذلك من وجهين :

أولهما : أن تطبيق شريعة الإسلام هو في الحقيقة نزول عند رغبة الشعب وإرادته ، وليس انصياعا لأمر الله وإرادته ، بدليل أن الشعب لو اختار فيما بعد الحكم بشريعة غير شريعة الإسلام ، فإنها تُطبق وتحل محل شريعة الإسلام من غير إنكار أو اعتراض من أحد ، لأن الجميع قد تعارفوا فيما بينهم على أن الحكم للشعب ، وأن مرد الأمر له ، فله أن يحكم ما يشاء بما يشاء...!!

أما **الوجه الثاني** :- فقد تقدم أن قضية الحكم والتحاكم هي من الله إلهية وربوبية ، ومن العباد عبودية وطاعة وتوحيد ، فالغاية العظمى من قضية التحاكم إلى شرع الله هي تحقيق عبودية العباد لله تعالى في هذا الجانب ، وهذا لا يتحقق جراء الحكم بما أنزل الله طاعة للشعب ونزولا عند إرادته ورغبته ، بل يتحقق العكس وهو عبادة الشعب من دون الله ، لأن التحاكم في حقيقته يكون إلى الشعب وليس إلى الله كما تقدم .

12- الأكثرية في بعض صورها :

من إفرازات الديمقراطية – التي أصبحت ديناً متبعاً لكثير من الناس – اعتماد حكم الأكثرية مطلقاً ، والرضى باختيارها أيّاً كان نوعه ، سواء وافق الحق أم غير ذلك . فحكم الأكثرية – في نظر القوم – نافذ وواجب الاتباع ولو كان مؤداه إلى مخالفة حكم الله ورسوله !!

---

[1] **وهذا ملاحظ عند حصول خلاف بين الحاكم ومعارضيه ، فإنه سرعان ما يهدد كل منهما الطرف الآخر بالرجوع إلى الشعب والتحاكم إليه .. !! و هذا معارض – كما هو معلوم – لقوله تعالى : ﴿ فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ﴾ [سورة النساء: 59].**

قال ابن القيم في تفسير هذه الآية ، في كتابه أعلام الموقعين (49/1) :

" نكرة في سياق الشرط تعم كل ما تنازع فيه المؤمنون من مسائل الدين دقه وجله ، جليّه وخفيّه ، ولو لم يكن في كتاب الله ورسوله بيان حكم ما تنازعوا فيه ولم يكن كافيا لم يأمر بالرد إليه ، إذا من الممتنع أن يأمر تعالى بالرد عند النزاع إلى من لا يوجد عنده فصل النزاع ."

و منها أن الناس أجمعوا أن الرد إلى الله سبحانه هو الرد إلى كتابه ، والرد إلى الرسول ﷺ، هو الرد إليه نفسه في حياته وإلى سنته بعد وفاته .

و منها أنه جعل هذا الرد من موجبات الإيمان ولوازمه ، فإذا انتفى هذا الرد انتفى الإيمان ، ضرورة انتفاء الملزوم لانتفاء لازمه ، ولا سيما أن التلازم بين هذين الطرفين ، وكل منهما ينتفي بانتفاء الآخر.

ثم أخبر سبحانه أن من تحاكم أو حاكم إلى غير ما جاء به الرسول فقد حكم الطاغوت وتحاكم إليه " أهـ.

ولا شك أن الأكثرية في هذه الصورة المتبعة تعتبر طاغوتاً ونداً يعبد من دون الله تعالى .

وعبادتها تكمن من جهة التحاكم إليها ، والإقرار لها بخاصية الحكم لذاتها وطاعتها في ذلك ، وكذلك التعامل معها على أنها جهة عليا لا يجوز رد حكمها أو التعقيب عليه بشيء من الاعتراض أو عدم الرضى .

وهذا – كما تقدم – لا يجوز صرفه إلا لله تعالى وحده ، فالله هو الحَكَم وله الحكم وحده ، وهو الذي لا يجوز التعقيب على حكمه بشيء من الاعتراض أو التقديم الذي ينم عن عدم الرضى والتسليم .

13– المجالس النيابية (مجلس الشعب) :

من جرأة القوم على الله أنهم خصصوا لأنفسهم ولشعوبهم مجالس تشريعية وسموها مجالس نيابية أو مجالس الشعب ، وظيفتها التشريع وسن القوانين للناس من غير سلطان من الله .

وهذه المجالس وكل واحد من أعضائها طاغوت كبير ، قد نصب من نفسه نداً لله تعالى في أخص خصائصه سبحانه وتعالى ألا وهي خاصية التشريع والحكم .

وكون هذه المجالس بأعضائها طاغوتاً ، فهو لعبادتها من جهة الإقرار لها بخاصية التشريع وطاعتها واتباعها في ذلك ، والنظر إلى ما يصدر عن هذه المجالس الطاغوتية أنه فوق التعقيب أو الاعتراض والرد ..!!

14– هيئة الأمم المتحدة :

هيئة الأمم المتحدة منظمة عالمية تدعي أن مقاصدها حفظ السلم والأمن الدولي وإنماء العلاقات الودية بين الأمم على أساس احترام المبدأ الذي يقضي بالتسوية في الحقوق بين الشعوب ، وكذلك اتخاذ التدابير الأخرى الملائمة لتعزيز السلم العام ، والعمل على تحقيق التعاون الدولي على حل المسائل الدولية ذات الصبغة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والإنسانية وعلى تعزيز احترام حقوق الإنسان والحريات الأساسية للناس جميعاً والتشجيع على ذلك إطلاقاً بلا تمييز بسبب الجنس أو اللغة أو الدين ولا تفريق بين الرجال والنساء . هذا وليكن في علمك أن معظم الدول التي تدعي الإسلام أعضاء فيها . والآن فلنتعرف على ميثاق الأمم المتحدة الكفري وعلى بعض بنوده ...

وقبل أن نشرع في بيان أمثلة كفرية من هذا الميثاق... ينبغي أن تعرف أخي الموحّد أن (**ميثاق الأمم المتحدة**) عبارة عن قانون وضعته الأمم المتحدة ليؤمن به ويدين له ويتحاكم إليه كل من كان عضواً في هذه المنظمة الدولية الخبيثة... ويتكون من مائة وأحد عشر مادة... وفي هذا الميثاق من الالتزامات والتعهدات والتشريعات الباطلة المضادة والمناقضة للشريعة الإسلامية ما لا نستطيع حصره في هذه الورقات .

ومن المعلوم أنه لا تنضم أي دولة للأمم المتحدة إلا إذا قبلت هذه التعهدات والإلتزامات التي نص عليها الميثاق كاملة.

وزيادة في تأكيد ذلك ، اعلم أن إجراءات الانضمام للأمم المتحدة تتلخص في أن تقدم الدولة التي ترغب في الانضمام للأمم المتحدة طلباً بذلك إلى الأمين العام للمنظمة الدولية ويكون ذلك الطلب مصحوباً بإعلان قبول الالتزام بميثاق الأمم المتحدة .

وكذلك الأمر بالنسبة للفصل من الأمم المتحدة فإن (المادة السادسة) من الميثاق تنص على أنّه يجوز للجمعية العامة أن تفصل عضواً من الأعضاء إذا أمعن في انتهاك مبادئ الميثاق .

فمن هاتين الإشارتين يتبيّن لنا أن كل دولة تنضم للأمم المتحدة وتستمر فيها فهي مستسلمة ولابد لميثاقها، مؤمنة بقوانينه ملتزمة منقادة للتعهدات الواردة فيه... مادامت لم تُفصل من هذه الهيئة الدولية أو تنفصل هي وتعلن البراءة منها والكفر بميثاقها ...

ميثاق الأمم المتحدة:

(نحن شعوب الأمم المتحدة وقد آلينا على أنفسنا أن ننقذ الأجيال المقبلة من ويلات الحرب... وأن نؤكد من جديد إيماننا بالحقوق الأساسية للإنسان وبكرامة الفرد وقدره وبما للرجال والنساء والأمم كبيرها وصغيرها من حقوق متساوية. وأن نبيّن الأحوال التي يمكن في ظلّها تحقيق العدالة واحترام الالتزامات الناشئة عن المعاهدات وغيرها من مصادر القانون الدولي . وفي سبيل هذه الغايات اعتزمنا : أن نأخذ أنفسنا بالتسامح وأن نعيش معا في سلام وحسن جوار وأن نوحّد قوانا كي نحتفظ بالسلم والأمن الدولي وأن نكفل بقبولنا مبادئ معينة ورسم الخطط اللازمة لها، أن لا نستخدم القوة المسلحة في غير المصلحة المشتركة. وقد قررنا أن نوحّد جهودنا لتحقيق هذه الأغراض ، ولهذا فإن حكوماتنا المختلفة على يد مندوبيها المجتمعين في سان فرانسيسكو الذين قدموا وثائق التفويض المستوفية للشروط قد ارتضت ميثاق الأمم المتحدة هذا وأنشأت بمقتضاه هيئة دولية تسمّى (الأمم المتحدة). اهـ ، ثم سردوا مواد الميثاق كلّها ...

وقد تم التوقيع على هذا الميثاق الكفري الذي ينقض أعظم عرى التوحيد والإيمان في ختام مؤتمر سان فرانسيسكو المشار إليه آنفاً في يوم (26) يونيو من سنة 1945م ...

وهذه أمثلة من مواده وقوانينه :

(**المادة الأولى**) (أغراض الأمم المتحدة ومبادئها هي :

المحافظة على السلم والأمن الدوليين – إلى قولهم – للقضاء على الأعمال العدوانية أو غيرها من أعمال تخلّ بالسّلام وأن تحل بالوسائل السلمية وطبقاً لمبادئ العدالة والقانون الدولي ، المنازعات الدولية أو الخلافات التي تؤدي إلى الإخلال بالسلم .

تنمية العلاقات الودية بين الأمم .

تحقيق التعاون الدولي لحل المشكلات العالمية والاجتماعية والثقافية والإنسانية والعمل على زيادة احترام حقوق الإنسان وحرياته الأساسية بدون تمييز بسبب العنصر أو الجنس أو اللغة أو الدين ، ولا تفريق بين الرجال والنساء).

(**المادة الثانية**) : (تعمل الهيئة وأعضاؤها في سعيها وراء تحقيق الأهداف المذكورة في المادة الأولى ، وفقاً للمبادئ الآتية :

1- تقوم الهيئة على مبدأ المساواة في السيادة بين جميع أعضائها .[1]

2- القيام بالالتزامات التي أخذوها على أنفسهم بهذا الميثاق .

3- فض جميع المنازعات الدولية بالوسائل السلمية على وجه لا يجعل السلم والأمن والعدل الدولي عرضة للخطر .

4- يمتنع جميع الأعضاء في علاقاتهم الدولية عن استعمال القوة ضد سلامة الأراضي أو الاستقلال السياسي لأية دولة أو على أي وجه آخر لا يتفق وأهداف الأمم المتحدة [2].

5- يقدم جميع الأعضاء كل ما في وسعهم من عون إلى الأمم المتحدة في أي عمل تتخذه وفق هذا الميثاق كما يمتنعون عن مساعدة أية دولة تتخذ الأمم المتحدة إزاءها عملً من أعمال المنع أو القمع...) إلى آخر ذلك ... بل نصت (المادة الثالثة والأربعون): على أن: " يتعهد جميع أعضاء "الأمم المتحدة" في المساهمة في حفظ السلم العالمي والأمن الدولي وأن يضعوا تحت تصرف مجلس الأمن ما يلزم من القوات المسلحة والمساعدات والتسهيلات الضرورية لحفظ السلم والأمن الدوليين ومن ذلك حق المرور ".

(**المادة العاشرة**) : التعهد باحترام الاستقلال السياسي والسيادة الإقليمية لكل دولة.

(**المادة 55**) فإنه رغبة في تهيئة سبل الاستقرار والرفاهية اللازمة لقيام علاقات سلمية ودية بين الأمم ، علاقات تقوم على احترام المبدأ الذي يقر بحقوق الشعوب على السواء، وبحقها في تقرير مصيرها تعمل الأمم المتحدة على... أن تنشر في العالم أجمع احترام حقوق الإنسان والحريات الأساسية للناس كافة بلا تمييز حسب الجنس أو اللغة أو الدين وبلا تفرقة بين الرجال والنساء ...

هذا وهيئة الأمم المتحدة منظمة عالمية خاضعة للنفوذ اليهودي ومن يراجع أقسامها وإداراتها وأسماء القائمين عليها يعرف هذا معرفة اليقين ... وهي هي المنظمة الدولية التي تحفظ وترعى مصالح الدول الكبرى بحق (الفيتو) الذي منحته وقررته لها... وطعنها وطعن إداراتها ومنظماتها المختلفة في دين الإسلام وشرائع القرآن بيّن واضح مكشوف ... واسمها (الأمم المتحدة) من أعظم الأدلة على اتحاد وتناصر وتعاضد وتعاون المائة والتسعة

---

[1]تأمَّل يرضون بمساواتهم في هذه التشريعات بعباد الصليب وعباد بوذا وعباد البقر والحجر وغيرهم ثم يزعمون الإسلام والتوحيد !!!...

[2] يشرعون هذا ويوقعون عليه ويتعهدون به ثم يقولون ويظن الأغبياء معهم أن أنور السادات كان خائناً وحده لأنّه عقد اتفاقية سلام وتطبيع مع العدو !! الصهيوني !! وهل إسرائيل إلا عضواً من أعضاء أممكم المتحدة هذه ؟؟

وخمسين دولة المشتركة فيها !!! فكل دولة تشترك فيها فهي متحدة مع أمم الكفر الأخرى على اختلاف مللها ونحلها ...

يتبين من كل ذلك أن هيئة الأمم المتحدة ومجلسها طاغوت ومعبود من دون الله ، وذلك من أوجه :

منها : أنه مجلس لا ضابط له من الكتاب والسنة ، وإنما يخضع لأهواء ومصالح وأحقاد قوى الكفر العالمية ...

ومنها : إنه المجلس الذي تتحاكم إليه وإلى قوانينه – من دون الله – الدول والشعوب عند حصول المنازعات والخلافات فيما بينها ..

ومنها : أن الدول والشعوب يتعاملون مع هذا المجلس الطاغوت ، على أنه فوق المساءلة ، أو التعقيب والاعتراض ، فكل ما يصدر عنه واجب التنفيذ والقبول ..!!

فأي طاغوت يُعبد من دون الله أشد ظلماً وطغياناً من هذا الطاغوت ، ومع ذلك فالناس لا يرون حرجاً في الاعتراف بشرعيته ، وفي التحاكم إليه من دون الله ..!!

ونحوه كل مجلس يحمل صفاته أو بعضها فإنه طاغوت يدعي الإلهية ويعبد من دون الله . وإنما اكتفينا بذكر " مجلس الأمم " الطاغوت الأكبر لظهور طغيانه على جميع الأمم والشعوب، وليقيس عليه القارئ بقية المجالس ويحكم عليها من تلقاء نفسه .

15– محكمة العدل (الكفر) الدولية :

محكمة (الكفر) الدولية تلك المحكمة التي مقرها مدينة لاهاي بهولندا والتي تطبق قواعد وأحكام القانون الدولي في حل النزاعات الدولية عن طريق التسوية القضائية ...

وهي الجهاز القضائي الرئيسي للأمم المتحدة. وتقوم هذه المحكمة باختصاصاتها وفقاً لنظام أساسي يعتبر جزءاً من ميثاق الأمم المتحدة [1] الذي تؤمن وتسلّم به وتحترمه وتقرّه كلّ دولة تنضم إلى الهيئة ، والحكم والفصل في النزاع يكون بهوى ورأي أغلبية هؤلاء المشرعين الكفرة. كما في (المادة 55): " تفصل المحكمة في جميع المسائل برأي الأغلبية من القضاة الحاضرين وإذا تساوت الأصوات رجح جانب الرئيس "... وأن في مواد هذا الميثاق ما

---

[1] **الميثاق الذي لا يتم انضمام أي عضو للأمم المتحدة إلا بالتصديق عليه والتعهد بالتزام بنوده... ويتحاكمون إلى قضاتها الكفرة الذين تقوم بانتخابهم كما نصت (المادة الثامنة)....**

وهاك أمثلة من عبوديتهم لتلك المحكمة: مادة (60) من قانونها: (يكون الحكم نهائياً غير قابل للاستئناف، وعند النزاع في معناه أو في مدى مدلوله تقوم المحكمة بتفسيره). وانظر مادة (36) أيضاً ونصّها: [(1) تشمل ولاية المحكمة جميع القضايا التي يعرضها عليها المتقاضون، كما تشمل جميع المسائل المنصوص عليها بصفة خاصة في ميثاق الأمم المتحدة أو في المعاهدات والاتفاقيات المعمول بها...(6) في حالة قيام نزاع في شأن ولاية المحكمة تفصل المحكمة في هذا النزاع بقرار منها] اهـ

ينصّ على أن للجمعية العامة في الأمم المتحدة أن تفصل كل من انتهك مبادئ الميثاق . وأن لكل دولة منتمية لعضوية الأمم المتحدة حق اللجوء والتحاكم إلى محكمة العدل (الكفر) الدولية... بل قد تعهدت كل دولة من الدول الأعضاء بأن تخضع لأحكام المحكمة في أية قضية تكون طرفاً فيها[1]. كما هو نص (المادة الرابعة والتسعون) من ميثاق الأمم المتحدة : (يتعهد كل عضو من أعضاء " الأمم المتحدة " أن ينزل على حكم محكمة العدل (الكفر) الدولية في أي قضية يكون طرفاً فيها) ونص (المادة الثالثة والتسعون): (يعتبر جميع أعضاء "الأمم المتحدة" بحكم عضويتهم أطرافاً في النظام الأساسي لمحكمة العدل (الكفر) الدولية).

أما النظام الأساسي الذي تحكم هذه المحكمة بمقتضاه وعلى أي القوانين يعتمد ويرتكز ويقوم... وإلى أيها يحتكم ويرجع... ترى هل هو شرع الله ؟؟ حكم الله ؟؟ حدود الله ؟؟ أم ماذا ؟؟ تجيبنا على هذا وبكل وضوح وصراحة المادة (38) من النظام الأساسي لمحكمة العدل (الكفر) الدولية... فتبين وتعدد مصادر القانون التي تطبقها هذه المحكمة الدولية الطاغوتية وهذا نصها :

مادة (38):

"1- وظيفة المحكمة أن تفصل في المنازعات التي ترفع إليها وفقاً لأحكام القانون الدولي العام ، وهي تطبق في هذا الشأن [2]:

(أ) الاتفاقات الدولية العامة والخاصة التي تضع قواعد معترف بها صراحة من جانب الدول المتنازعة .

(ب) العادات الدولية المرعية المعتبرة بمثابة قانون دلّ عليه تواتر الاستعمال.

(ج) مبادئ القانون العامة التي أقرّتها الأمم المتمدنة.

(د) أحكام المحاكم ومذاهب كبار المؤلفين في القانون العام من مختلف الأمم ".

إذاً التحاكم يكون عند النزاع إلى : الاتفاقيات الدولية ، والعادات الدولية ، ومبادئ القانون العامة وأحكام المحاكم ومذاهب كبار القانونيين ، هذا هو القانون والشرع الذي تتحاكم إليه الدول كل الدول في هذه المحكمة.

يتبين من ذلك أن " محكمة العدل (زعموا) الدولية " طاغوت يجب الكفر به ، فمن تحاكم إليه أو قبل به حكماً فقد تحاكم إلى الطاغوت وكفر بالله تعالى وإن زعم أنه مسلم . ومن هذا يتبين كفر جميع الدول المنضمة إلى الأمم المتحدة .

---

[1] **راجع (النظام الأساسي لمحكمة العدل الدّولية) و(العلاقات السياسية الدولية) للدكتور إسماعيل صبري ص702 وغيره.**

[2] **إن نص النظام الأساسي للمحكمة الدائمة للعدل الدولي (نص وضع في 16 ديسمبر 1920) كان يكتفي بالقول : " إن المحكمة تطبق ..." أما نص محكمة العدل (بل الجور) الدولية القائمة اليوم فقد فصّل الأمر بجملة أطول ليبين صراحة أن المصادر التي تعددها المادة هي مصادر القانون الدولي نفسها .**

16– ما عبد من صنم ، أو حجر ، أو بقر ، أو قبر ، أو صورة ، أو صليب :

فكل ما يعبد من هذه الأشياء – من دون الله – فهو طاغوت .

فإن قال قائل : هذه الأشياء أتفه من أن تُعنى في البحث ، لأنه لا يوجد من يعبدها أو يتوجه إليها بشيء من معاني ومجالات العبادة ، وبخاصة أننا في عصر العلم والنور ، والعقل والتكنولوجيا كما يقولون .

ولهذا وأمثاله نقول : لو أمعنتم النظر في حياة وواقع الشعوب والأمم لأدركتم أن أكثر من ثلثي أهل الأرض يعبدون هذه الأشياء التافهة من دون الله !!

فانظر في الصين – الذي يزيد عدد سكانها على المليار نسمة – وفي اليابان وكثير من بلاد آسيا.. فسوف تجد أن الناس وثنيون ، يعبدون الأوثان والأصنام والتصاوير ..! وفي القارة الهندية ، فإن أكثر الناس يعبدون البقر والأصنام والمشاهد ..!!

وفي أوربا الصليبية ، فإن كنائسهم ومعابدهم مليئة بالتماثيل والأصنام والصور والصلبان التي تعبد من دون الله ، فعيسى عليه السلام انتحلوا له أصناماً وصوراً يعبدونا من دون الله ، وأمه مريم عليها السلام انتحلوا لها أصناماً وصوراً يعبدونها من دون الله ، وكذلك كبراء أحبارهم ورهبانهم فإنهم قد انتحلوا لهم التماثيل والصور التي يعبدونها من دون الله !!

وأخيرا أحدثوا صنماً جديداً يعبدونه من دون الله وهو " **بابا نويل** " الذي يأتيهم بالخير كما زعموا وكذلك شجرة الميلاد التي يصنعونها على رأس كل سنة فإنهم يعظمونها ويقدسونها ويحتفلون بها أيما احتفال ، وهكذا لم يعد غريباً عليهم أن يفاجئونا في كل عام بوثن جديد تباركه أحبارهم ورهبانهم ، فيعبدونه من دون الله !!

ومن يتأمل عبادة النصارى – على اختلاف مذاهبهم وفرقهم – وما أحدثوه من طقوس دينية ، يدرك أنهم أقرب إلى الوثنية من كونهم أهل كتاب .

وإذا أردت أن تتحدث عن المشاهد والقبور التي تعبد من دون الله في أرض المسلمين ، فحدث ولا حرج ، فما من بلد إلا وفيها عدد من القبور التي تُعبد ويُشد إليها الرحال ، وطواغيت الحكم يحمونها بقوة السلاح !!

ومما يدخل في ذلك الأصنام والتماثيل التي نُصبت لحكام ورؤساء طواغيت ، وبأحجام ضخمة ومختلفة على مداخل المدن ومفارق الطرق ..!

وكذلك مشهد الجندي المجهول ، حيث لا أصل له ولا وجود ، ومع ذلك يأتيه القوم – بحرسهم وحشمهم – ومعهم باقات الورد والزهور يضعونها عليه بخشوع ، ثم يقرأون عليه ما تيسر من القرآن ..!!

ونحو ذلك العلم الذي يُصمد له ، وتُنصب له القامات وتُقدم التحية والمعازف ، والويل كل الويل لمن يتحرك أو يحك رأسه أو أي شيء آخر .

فهذه كلها طواغيت تعبد من دون الله ولو في وجه أو مجال من مجالات العبادة .

17- الديمقراطية :

الديمقراطية دين له نظرته الخاصة عن الوجود والحياة والإنسان ، وهو تكريس للعلمانية التي تقوم على مبدأ فصل الدين عن الدولة والحياة ، وأن ما لله لله ، وهو المساجد والكنائس والزوايا والمعابد . وما لقيصر لقيصر ، وهو كل ما تبقى من شؤون الحياة ومجالاتها العامة والخاصة !

وأن لقيصر حرية التدخل بخصوصيات الله تعالى إن اقتضت المصلحة العامة ذلك ، وليس لله أن يتدخل بخصوصيات قيصر ، وأي محاولة تكون بخلاف ذلك فهي سرعان ما تواجه بتهمة تسييس الدين ، وإدخال الدين في السياسة أو العكس ، وتهمة ترويج الأصولية والإرهاب ..!!.

﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنْ الْحَرْثِ وَالأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ [سورة الأنعام: 136]

ومن إفرازات الديمقراطية ، أن الشعب يحكم نفسه بنفسه ، أي أن المشرع المطاع في نظر الديمقراطية هو الإنسان وليس الله ..!

ومنها : حرية الاعتقاد ، ولو كان مؤداه إلى الارتداد عن الدين...!

ومنها : حرية التعبير ، وإن كان مؤداه إلى الطعن بدين الله تعالى والتهكم به ، حيث لا مقدس – في نظر الديمقراطية ودعاتها – فوق النقد والتعقيب أو السؤال والاعتراض عليه ..!

ومنها : الحرية الشخصية بمدلولها الإباحي البهيمي ، فللمرء – في ظل الديمقراطية – أن يفعل ويمارس ما يشاء ، ما لم يخالف ذلك قوانينهم الوضعية..!

ومنها : اعتماد رأي الأكثرية ، وتقديس ما تذهب إليه ولو كان باطلا..!

ومنها : اعتماد مبدأ التصويت والاختيار في كل شيء مهما سمت قداسته ، ولو كان ذلك دين الله تعالى !!

ومنها : مساواة أصلح الناس وأعلمهم مع أفسد الناس وأجهلهم في تقرير مصير من يحكم البلاد والعباد !!

ومنها : حرية تشكيل الأحزاب والتجمعات السياسية وغيرها ، أيا كانت عقيدة وأفكار وشذوذات هذه الأحزاب والتجمعات..!

فواضح أن المعبود المطاع في نظر الديمقراطية ودعاتها هو الإنسان وما يهواه ، ومن غلو القوم في هذا الدين الجديد ، أنهم يوالون ويعادون عليه ، ويقاتلون ويسالمون عليه ، فمن دخل فيه سالموه ووالوه ، ومن أبى حاربوه وعادوه !

فالديمقراطية طاغوت تفرز طواغيت تعبد من دون الله ، ومع ذلك فالناس يدخلون فيها كدين ، ويحتكمون إليها ، ويثنون عليها خيراً من غير أن يجدوا حرجا ، وهذا الشر لم يسلم منه إلا من رحمه الله ، وهم قليل !

ومن عجائب القوم أنهم يتحرجون الدخول في الديانة اليهودية أو النصرانية ، بينما لا يجدون حرجاً في الدخول في دين الديمقراطية ، أو دين الاشتراكية ، أو دين الشيوعية والعلمانية ، أو في دين غيرها من الأحزاب التي تقوم

على مبادئ وأسس كفرية .. علما أن هذا دين وهذا دين ، وهذا باطل ، والآخر أشد بطلاناً وكفراً من الأول ، لأن الأول له أصل سماوي والآخر أصله يستند إلى عقول الرجال وأهوائهم ..!

18- الساحر :

هو طاغوت لكونه يدعي قدرته على التأثير في الأشياء ، فينزل الضر فيمن يشاء ، ويرفع الضر عمن يشاء ، وهذه من أخص خصوصيات الله تعالى كما تقدم .

ومع ذلك فكثير من الناس – لجهلهم بالتوحيد وحق الله عليهم – يعبدون السحرة من جهة الاعتراف لهم بمقدرتهم على التأثير في الأشياء نفعاً وضراً ، ومن جهة الخوف والخشية والرجاء ، حيث يرجونهم في أن يفعلوا لهم كذا وكذا ، أو أن يرفعوا عن مريض ما أصابه من ضر وغير ذلك !

لذا فإن الساحر طاغوت كافر ، حده في الإسلام ضربة بسيف على العنق تفصل رأسه عن جسده .

أما كونه كافراً ، فهو لقوله تعالى : ﴿ **وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلا تَكْفُرْ** ﴾ [سورة البقرة: 102].

قال القرطبي في التفسير : قوله تعالى : ﴿ **وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ** ﴾ ، تبرئة من الله لسليمان ، ولم يتقدم في الآية أن أحداً نسبه إلى الكفر ، ولكن اليهود نسبته إلى السحر ، ولكن لما كان السحر كفراً صار بمنزلة من نسبه إلى الكفر ، ثم قال : ﴿ **وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا** ﴾ فأثبت كفرهم بتعليم السحر .

وقال : فذهب مالك إلى أن المسلم إذا سحر بنفسه بكلام يكون كفرا يقتل ولا يُستتاب ولا تقبل توبته ، لأنه أمر يستتر به كالزنديق ، ولأن الله تعالى سمى السحر كفرا بقوله : ﴿ **وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلا تَكْفُرْ** ﴾ ، وهو قول أحمد بن حنبل ، وأبي ثور ، وإسحاق ، والشافعي ، وأبي حنيفة ، ورُوي قتل الساحر عن عمر ، وعثمان ، وابن عمر ، وحفصة ، وأبي موسى ، وقيس بن سعد، وعن سبعة من التابعين .

وروي عن الشافعي : لا يقتل الساحر إلا أن يقتل بسحره ، ويقول تعمدت القتل ، وإن قال لم أتعمده لم يُقتل ، وكانت فيه الدية كقتل الخطأ ، وإن أضر به أدب على قدر الضرر !

قال ابن العربي : وهذا باطل من وجهين :

أحدهما : أنه لم يعلم السحر حتى يعمل به ، وحقيقته أنه كلام مؤلف يُعظم به غير الله تعالى ، وتنسب إليه المقادير والكائنات .

الثاني : أن الله سبحانه قد صرح في كتابه بأنه كفر فقال : ﴿ **وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ** ﴾ ، بقول السحر ، ﴿ **وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا**﴾ به وبتعليمه. وهاروت وماروت يقولان : ﴿ **إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلا تَكْفُرْ** ﴾ وهذا تأكيد للبيان" [1].

قلت : لا يتأتى السحر إلا بالشرك والكفر ، من استغاثة بشياطين الجن وتعظيمهم ورجائهم ، وزعم التأثير بالأشياء ، والإتيان بما يعتبر من خوارق العادة وغير ذلك ، ومن فعل السحرة الاستهانة بكلام الله تعالى استرضاء لشياطينهم ، قال ابن تيمية عنهم في الفتاوى 35/19 : "كثير من هذه الأمور يكتبون فيها كلام الله بالنجاسة – وقد يقلبون حروف كلام الله عز وجل – إما دم وإما غيره ، وإما بغير نجاسة ، أو يكتبون غير ذلك بما يرضاه الشيطان ، أو يتكلمون بذلك ، فإذا قالوا أو كتبوا ما ترضاه الشياطين أعانتهم على بعض أغراضهم " ا هـ. فأي كفر بعد هذا الكفر .

19– الكاهن :

وهو الذي يتكهن علم الغيب ، فيدعي علم الغيب وما سيكون ، وهذا من أخص خصائص الله تعالى ، حيث لا يعلم الغيب إلا هو سبحانه وتعالى

كما قال تعالى : ﴿ **وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إِلا هُوَ** ﴾ [سورة الأنعام: 59] وقال : ﴿ **فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ** ﴾ [سورة يونس: 20]. وقال : ﴿ **قُلْ لا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ الْغَيْبَ إِلا اللَّهُ** ﴾ [سورة النمل: 65]. وقال عن نبينا ﷺ : ﴿ **قُلْ لا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلا ضَرًّا إِلا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاسْتَكْثَرْتُ مِنْ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِي السُّوءُ** ﴾ [سورة الأعراف: 188].

لذا فإن أي مخلوق يدعي خاصية علم الغيب وما سيكون ، فهو كاهن وطاغوت ، ورأس في الطغيان . والمقر له بذلك يكون قد أقر له بخصائص الإلهية ، واتخذه إلها من دون الله .

ومما يدخل في مسمى الكهانة والكاهن ، ضارب الفنجان ، والكف ، والرمل ، وكذلك علم الأبراج والكواكب الذي تُصدَّر به الصحف ، ووسائل الإعلام المرئية وغيرها ، فكل ذلك من الطغيان والكهانة الذي يعتبر ضربا في الغيب الذي لا يعلمه إلا الله .

ونحن إذ نبين هذا النوع من الطغيان ، فإننا نحذر العباد – ومن يحرص على سلامة دينه – من الاقتراب من الكهنة – بأنواعهم المختلفة – أو تجربتهم ، ولو كان ذلك على وجه اللعب والمزاح ، فإن دين الله – يجب أن يؤخذ بجد – لا يجوز أن يكون عرضة للعب والتسلية والمزاح ..!

فقد صح عن النبي ﷺ أنه قال : " **ليس منا من تطيّر ولا من تُطيِّرَ له ، أو تكَهَّن أو تُكهِّن له ، أو تسحَّر أو تُسحِّرَ له** " [1].

---

[1] **الجامع لأحكام القرآن : 34/2، 47–48.**

وقال ﷺ : **"من أتى عرافا أو كاهنا فصدقه بما يقول ، فقد كفر بما أُنزل على محمد "**[2].

وقال ﷺ : " **من أتى كاهناً فصدقه بما يقول ، فقد برئ مما أنزل على محمد"** [3]. نعوذ بالله من الكفر والخذلان ، بعد أن أعزنا الله بالإيمان .

20- كل ما يعبد من دون الله :

اعلم أن الطواغيت التي تعبد من دون الله في هذا الزمان قد تعددت واختلفت أنواعها وصورها وأشكالها ، وهي أكثر من أن تحصر في كتاب ، لذا فإننا نعيدك إلى الضابط والتعريف الذي يعينك على معرفة الطواغيت ممن لم نذكرهم لك ، وهو : أن كل ما عبد من دون الله ولو في وجه أو مجال من مجالات العبادة – وهو راض بذلك – [4] فهو طاغوت ، يتعين عليك اجتنابه والكفر به .

والطواغيت التي ذكرناها لك تعتبر عناوين عامة رئيسية يندرج تحتها جميع الطواغيت ، وهي كذلك تعينك على معرفة بقية الطواغيت – الظاهرة منها والخفية[5]– بالقياس عليها والمقارنة بها.

وبعد : فهذه طواغيت العالم بين يديك لتحذرها وتجتنبها وتجنبها وتكفر بها وتُحذِّر منها ، ثم لو تأملتها وتأملت حال الناس معها لرأيت أن أكثر الناس قد عدلوا عن عبادة الله إلى عبادة الطاغوت ، وعن طاعة الله إلى طاعة الطاغوت ، وعن عقد الولاء والبراء في الله إلى عقده في الطاغوت ، وعن التحاكم إلى الله ورسوله إلى التحاكم إلى الطاغوت ، وعن الدخول في دين الله إلى الدخول في دين الطاغوت وحزبه .. وإن تسموا بأسماء إسلامية وزعموا أنهم مسلمين ، فلسان الحال يبطل لسان المقال .

---

[1] **رواه الطبراني وغيره، صحيح الجامع الصغير : 5435.**

[2] **رواه أحمد والحاكم، صحيح الجامع : 5939.**

[3] **رواه أحمد وغيره، صحيح الجامع : 5942.**

[4] **إذا كان المعبود من الجمادات أو الحيوانات أو النباتات لا يستلزم له هذا القيد أو الشرط ، وإنما وضعه أهل العلم ليُخرجوا به الأنبياء والملائكة والصالحين الذين يُعبدون من قبل جهلة الناس ، من دائرة الطاغوت ومسماه وما يجري عليه من أحكام.**

[5] **من الطواغيت الخفية التي يغفل عنها كثير من الناس : العادات والأعراف السائدة المخالفة لشرع الله ، والتي لا يمكن للجاهليين أن يتفلتوا منها أو من الرجوع إليها عند حصول المناسبات وغيرها . ومنها عالم الموضة والأزياء وأربابها الذين يفرضون على الشعوب أن يعيشوا إرهاصاتهم وإنجازاتهم وشذوذاتهم المنحرفة ، ومنها الجنس وما يلحق به من أفلام الدعارة وغيرها . ومنها الكرة معبودة الشعوب ، وكم هي الدماء التي تسيل في سبيلها انتصاراً لفريق دون فريق ، وكم من رجل قد طلق زوجته لأنها تؤيد غير الفريق الذي يؤيده هو !. ومنها نجوم الغناء الذين يسمونهم فنانين .. فلو تأملت هذه الطواغيت – الظاهرة الخفية – لوجدت أنها تعبد من دون الله ولو في وجه من أوجه العبادة .**

بعد أن عرفت أن الكفر بالطاغوت ركن من أركان التوحيد لا يستقيم إيمان ولا إسلام بدونه وعرفت ما هو الطاغوت وما أشكاله وأنواعه المنتشرة في زماننا ، يتعين عليك الآن أن تعرف كيفية الكفر بالطاغوت لتمارسه في واقع حياتك العملية وحتى لا يكون كفرك به مجرد دعوى أو زعماً باللسان من دون عمل .

هل كل طاغوت كافر ؟!

عندما يثار مثل هذا السؤال ، لا شك أنه لا يراد منه الحجر أو الشجر التي تعبد من دون الله —كمن يفعل ممن يريدون أن يميعوا قضية الكفر بالطاغوت [1] وإنما يُراد به شياطين الإنس والجن التي تعبد من دون الله تعالى

وعليه فإننا نقول : كل ما عبد من دون الله – وهو راض بذلك – ولو في مجال من مجالات العبادة فهو كافر ، بل إمام من أئمة الكفر والطغيان يجب الكفر به وتكفيره ، ولا يتوقف في تكفيره أو يشك في كفره إلا كل كافر مثله ، أعمى البصر والبصيرة .

ثم إن الكتاب والسنة لم يرد فيهما ذكر للطاغوت إلا على النحو الذي يدل على كفره كفراً بواحاً ، مما يدل أن الأصل في استخدام هذه الكلمة إطلاقها على طواغيت اجتمعت فيهم صفات الكفر البواح .

ولكن أحياناً يطلق اسم الطاغوت على أعيان ، ويراد منه معناه اللغوي وهو مجاوزة الحد والتعدي – وليس كل ظالم مجاوز للحد كافراً –كإطلاقات بعض السلف على أئمة الجور من حكام بني أمية والعباسيين كالحجاج وغيره ، فإنهم أطلقوا عليه اسم الطاغوت وصفة الطغيان ، ومع ذلك كثير منهم توقف عن تكفيره ، والله تعالى أعلم .

[1] **كما فعل المرشد الثاني للإخوان حسن الهضيبي في كتابه " دعاة لا قضاة " والذي بفضل الله وتوفيقه قد رددنا على ما جاء فيه من الضلالات والتلبيسات والافتراءات في كتابنا " أفحكم الجاهلية يبغون " ننصح بقراءته بتدبر وتجرد .**

الطواغيت التي عظم ابتلاء الناس بها

لقد ورد لفظ الطاغوت في كتاب الله في ثمانية مواضع ، وقد نص الله في كتابه نصاً صريحاً على نوعين من أنواع الطاغوت – لأنه مما يعظم الابتلاء بهما – لئلا يكون للناس على الله حجة ، فيجب الكفر بهما تفصيلاً ليصح الإسلام ، وهذان النوعان هما :

1 – طاغوت العبادة :

قال تعالى : **﴿ وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا ﴾** [سورة الزمر: 17]، وقال: **﴿ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ﴾** [سورة المائدة: 60] وقال : **﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنْ اُعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾** [سورة النحل: 36]

2 – طاغوت الحكم :

قال رب العزة : **﴿ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ ﴾** [سورة النساء: 60].

ومن صوره المعاصرة :-

(أ) من جهة التشريع :

- رؤساء الدول وأعضاء البرلمان ... ممارسة ومناقشة وتصديقاً

(حق السيادة)

- اللجان الفنية بوزارة القضاء ... وضعا وتقنيناً **(سلطة قضائية)**
- الوزراء (الحكومة) ... تنفيذاً. **(سلطة تنفيذية)**

(ب) من جهة الحكم :

- رؤساء الدول .
- القضاة وأعضاء المحاكم .

وأنصار هذا الطاغوت هم الذين يحمونها ويحرسونها ويلزمون الناس بها ويقاتلون في سبيلها . أي : التشريعات والقوانين والنظام القائم في البلاد والحاكم وأحكام المحاكم .

واعلم أن الطاغوت : **يُؤمَنُ به ويُكفر** .

قال تعالى: **﴿ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ ﴾** [سورة النساء: 51].

كما أنه يُعبد ويُتبرأ منه .

قال تعالى : **﴿ وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا ﴾** [سورة الزمر: 17].

وإليك بيان ذلك: -

أسلفنا أن العبادة مدارها على أركان ثلاثة هي :

النسك (الشعائر التعبدية) ، والحكم (التشريع) ، والولاية .

وبناءً على أن عبادة الله وحده لا شريك له بمعناها الحدي أي الراجع إلى حد الإسلام وأصل الدين مبناها ومدارها على ثلاثة أركان هي النسك والحكم (التشريع) والولاية .

فتوحيد العبادة وهو المسمى توحيد الألوهية هو إفراد الله بأنواع العبادة المتقدم ذكرها (النسك ، الحكم ، الولاية) ، وهي نفس العبادة المأمور بها شرعاً في قوله تعالى : **﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلا لِيَعْبُدُونِ ﴾** [سورة الذاريات: 56]، وقوله تعالى : **﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾** [سورة البقرة: 21]

فهذه هي أركان العبادة التي إن صرفتها لله وحده لا شريك له كنت عابداً لله وحده محققاً ما نطقت به بلسانك من شهادتك لله بالوحدانية من جهة ألوهيته في قولك أشهد أن لا إله إلا الله ، وإن صرفت نوعاً من أنواعها أو فرداً من أفرادها لغير الله فقد عبدت ذلك الغير مع الله واتخذته معبوداً وإلهاً مع الله وإن فررت من تسميته إلهاً أو معبوداً لأن هذه هي حقيقة الألوهية وحقيقة العبادة. وعدم اعتقادك لها بأنها عبادة لا يغير من حقيقة الأمر شيئاً ، فهذا عدي بن حاتم قال للرسول صلى الله عليه وسلم : ما عبدناهم ... فما كانوا يعتقدون أن طاعتهم للأحبار والرهبان في التحليل والتحريم (التشريع) عبادة ومع هذا فإن الله عز وجل سمّاها عبادة وسمى الأحبار والرهبان أرباباً من دون الله فألزمهم حكم الشرك ، وسماها الرسول ﷺ كذلك عبادة فتغيير الاسم لا يغير من حقيقة المسمّى شيئاً ولا يؤثّر في الحكم .

وعلى هذا فعبادة الطاغوت المذكورة في قوله تعالى : **﴿والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها﴾** وصفة الإيمان بالطاغوت المذكورة في قوله تعالى : **﴿ويؤمنون بالجبت والطاغوت ﴾** ، إنما تكون بأن يصرف العبد شيئاً من أنواع العبادة المتقدم ذكرها – والتي هي حق خالص لله تعالى – أن يصرفها العبد لطاغوت من الطواغيت المتقدم ذكرهم ...

فإذا صرف له نوعاً من أنواع النسك (كصلاة ، سجود ، ركوع ، ذبح ، نذر ، استغاثة ، خوف ، رجاء ، توكّل ... إلخ) فهو طاغوت نسك ويسمى طاغوت عبادة .

وإذا صرف له نوعاً من الحكم أو التشريع فهو طاغوت حكم .

وإذا صرف له نوعاً من الولاية (استقلالا) فهو طاغوت ولاية ومتابعة.

وهذه هي عبادة الطاغوت التي أمرنا الله أن نكفر به وبها.

والخلاصة أن الطاغوت ... يُؤمن به ، ويُكفر به . ويعبد ، ويُتبرأ منه.

فما هي صفة الإيمان بالطاغوت أو صفة عبادته ؟

وما هي صفة الكفر بالطاغوت ؟

صفة الإيمان بالطاغوت

وسنتكلم فيها عن :

1 – شرك النسك : وهو أن تصرف نوعاً من النسك لغير الله ، ففعلك هذا شرك في النسك ، وهذا الغير هو طاغوت النسك .

2 – شرك الحكم : وله ثلاث صور : **التشريع** ، **الحكم** ، **التحاكم.**

فإن تصرف شيئا منها لغير الله فهو " **شرك الحكم** " وهذا الغير هو طاغوت الحكم .

3 – شرك الولاية : وهو أن تتولى بغير ولاية الله (بولاية الأرض أو القوم أو الحزب أو اللسان) أو تتولى الكفار فهو " **شرك الولاية** "

1 – شرك النسك :- عبادة الطاغوت بنوع من أنواع النسك أو الشعائر التعبدية .

والنسك لغة : هو العبادة والطاعة وكل ما تقرب به إلى الله تعالى، ورجل ناسك أي : عابد ، ونسك وتنسّك أي : تعبد .

اصطلاحاً : كل ما تقرب به إلى الله سبحانه من أنواع التعبدات ممن هي حق خالص لله تعالى ، لا يقبل الشرك ابتداءً ولا انتهاءً ولا استقلالاً ولا تبعاً ، وهي بهذا أحق من غيرها بمعنى العبادة ، ولهذا سميت الشعائر التعبدية ، وهي إما :

أ– عبادات ظاهرة (من فعل الجوارح) :–كالصلاة والصيام والحج والركوع والسجود والطواف والعكوف والذبح والنذر والاستغاثة والاستعانة فيما لا يقدر عليه إلا الله، كجلب الرزق ودفع الضر والدعاء ... إلخ .

قال تعالى : **﴿ وَمَا أُمِرُوا إلا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾** [سورة البينة: 5] وقال سبحانه : **﴿ فصل لربك وانحر ﴾** [سورة الكوثر: 3] وقال عز وجل: **﴿ قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ ، وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنْ الْخَاسِرِينَ ، بَلْ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنْ الشَّاكِرِينَ ﴾** [سورة الزمر: 64-66]

ب–عبادات باطنية (قلبية) : –كالحب والخوف والرجاء والخشية والإنابة والتوكل ... إلخ .

قال تعالى : **﴿ وَمِنْ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ ﴾**[سورة البقرة: 165] وقال تعالى : **﴿ قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۞ لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾** [سورة الأنعام: 162-163] ، إلى غير ذلك من معاني النسك .

فإذا توجه بها العبد لله وحده كان عابداً لله وحده في هذا الركن (توحيد النسك)، وإذا توجه بها لله وفي نفس الوقت توجه بشيء منها أو صرفه لغير الله مع الله كمن دعى غير الله أو ذبح أو نذر أو استغاث أو استعان بميت أو غائب أو بحيٍّ حاضر فيما لا يقدر عليه فقد أشرك الشرك الأكبر وأذنب الذنب الذي لا يغفر ، سواء صرف هذا النوع من العبادة لصنم أو حجر أو شجر أو لنبي من الأنبياء أو لولي من الأولياء حي أو ميت كما يفعل اليوم عند الأضرحة المبنية على القبور ، فإن الله لا يرضى أن يشرك معه في عبادته أحد لا ملك مقرب ولا نبي مرسل ولا ولي ولا غيرهم .

قال تعالى : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ**﴾ [سورة النساء: 48] وقال أيضاً : ﴿ **فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا** ﴾ [سورة الجن: 18]

فمن صرف نوعاً من أنواع النسك الظاهرة أو الباطنة لطاغوت من الطواغيت (كل ما عبد من دون الله أو مع الله من بشر وشجر وحجر...) كان مؤمناً بالطاغوت ، كافراً بالله وإن صلى وصام وحج وزعم أنه مسلم.

قال تعالى : ﴿ **لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ** ﴾ [سورة الزمر: 65].

وإن كل من صرف إليه العبد نوعاً من أنواع النسك وهو راض بذلك فهو طاغوت ويسمى " **طاغوت عبادة** " .

تنبيه :

اختص طاغوت النسك باسم طاغوت العبادة مع أن النسك هي ركن من أركانها الثلاثة فلماذا ؟ وذلك لأن النسك هي أخص الأركان بمعنى العبادة لأنها حق خالص لله لا يقبل الشرك ابتداء وانتهاء واستقلالاً وتبعاً بخلاف باقي الأركان .

فالحكم لا يقبل الشرك ابتداء ﴿ **وَلا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا** ﴾ [سورة الكهف: 26] ، ولا استقلالاً ﴿ **إِنْ الْحُكْمُ إِلا لِلَّهِ** ﴾ [سورة يوسف: 40] ، ولكن يقبلها بالتبع قال تعالى : ﴿ **فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ** ﴾ [سورة النساء: 65]، وقوله : ﴿ **فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ** ﴾ [سورة النساء: 59] ، وهذا يكون للرسول صلى الله عليه وسلم ، فحكم الرسول تابع لحكم الله تعالى وليس مستقل ، ويكون بالإظهار والاستنباط للقاضي والمجتهد لا بالإنشاء ، قال تعالى : ﴿ **يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ** ﴾ [سورة المائدة: 95] ، فالقاضي والمجتهد كلاهما مظهر للحكم لا منشئاً له ولا مستقلاً به .

والولاية لا تقبل الشرك ابتداءً ﴿**قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا**﴾ [سورة الأنعام: 14]، ﴿**إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ**﴾ [سورة الأعراف: 196] ، ﴿**اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنْ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمْ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنْ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ**﴾ [سورة البقرة: 257] ، ولكنها تكون للرسول والمؤمنين بالتبع ، فالله أمرنا أن

نتولاّهم بولاية الله وأن نتولاّهم في الله ، قال تعالى : ﴿ **وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمْ الْغَالِبُونَ** ﴾ [سورة المائدة: 56]

2 – شرك الحكم :– إشراك الطاغوت في الحكم .

أ – الطاعة في التشريع (في التحليل والتحريم) :

معناها : قبول التشريع أو تلقيه من غير الله أو الإقرار بحق سنّ القوانين والتشريعات لغير الله أو الرضى بشيء من ذلك أو الرضى بالتشريع نفسه دستوراً أو قانوناً .

بعض الأدلة على ذلك :

1 – قال الله تعالى : ﴿**قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلا نَعْبُدَ إِلا اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ** ﴾ [سورة آل عمران: 64] وقال سبحانه : ﴿ **اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لا إِلَهَ إِلا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُون**﴾ [سورة التوبة: 31].

وقد ورد تفسير هذه الآية فيما رواه الترمذي بأسانيد قال عن أحدها حسن صحيح وغيره من حديث عدي بن حاتم رضي الله عنه: " فدخل على رسول الله وفي عنق عدي صليب من فضة ، وهو – الرسول – يقرأ هذه الآية : ﴿ **اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّه**﴾ ، قال – عدي– : فقلت : إنهم لم يعبدوهم ، فقال صلى الله عليه وسلم : « **بلى ، إنهم حرّموا عليهم الحلال وأحلّوا لهم الحرام فاتبعوهم، فذلك عبادتهم إيّاهم** » ، ورواه كذلك أحمد في مسنده وابن جرير من طرق وحسنه ابن تيمية ، ففسر الرسول صلى الله عليه وسلم العبادة هنا بالطاعة والاتباع في التشريع – التحليل والتحريم –.

قال ابن كثير رحمه الله : " قال السدي : استنصحوا الرجال ونبذوا كتاب الله وراء ظهورهم ، ولهذا قال تعالى ﴿ **وَمَا أُمِرُوا إِلا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا** ﴾ ، أي الذي إذا حرم الشيء فهو الحرام وما حلله فهو الحلال وما شرعه اتبع وما حكم به نفذ ﴿ **لا إِلَهَ إِلا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ**﴾ أي تعالى وتنزه عن الشركاء "[1].

قال القرطبي في تفسير قوله تعالى : ﴿ **قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ...** ﴾ الآية [سورة آل عمران: 64] : " قوله : ﴿ **وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ**﴾ أي نتبعه في تحليل شيء أو تحريمه إلا فيما

[1] **تفسير ابن كثير تفسير آية (اتخذوا أحبارهم).**

حلله الله تعالى وهو نظير قوله تعالى : ﴿ **اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ**﴾ معناه : أنهم أنزلوهم منزلة ربهم في قبول تحريمهم وتحليلهم فيما لم يحرمه الله ولم يحله الله " اهـ.

فالآية نصٌّ في أن كل من شرّع للناس ما لم يأذن به الله فقد جعل نفسه لله شريكاً وجعل نفسه للناس ربا من دون الله ، قال تعالى : ﴿ **أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ** ﴾ [سورة الشورى: 21] ، وهذا هو "**طاغوت الحكم** "، وكل من أطاعه في ذلك أو قبِله منه أو أقرّه أو رضي به فقد أشرك بالله في ربوبيته وألوهيته واتخذ ذلك الطاغوت رباً وإلهاً مع الله سبحانه وتعالى .

قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن : " فظهر بهذا أن الآية دلت أن من أطاع غير الله ورسوله ، وأعرض عن الأخذ بالكتاب والسنة ، في تحليل ما حرّم الله أو تحريم ما أحل الله ، وأطاعه في معصية الله واتبعه في ما لم يأذن به الله ، فقد اتخذه رباً ومعبوداً أو جعله لله شريكاً ، وذلك ينافي التوحيد الذي هو دين الله ، الذي دلت عليه كلمة الإخلاص " لا إله إلا الله " فإن الإله هو المعبود ، وقد سمى الله طاعتهم عبادة لهم وسماهم أرباباً كما قال : ﴿ **وَلا يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا** ﴾ [سورة آل عمران: 80] أي شركاء لله تعالى في العبادة ﴿ **أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ**﴾ [سورة آل عمران: 80] وهذا هو الشرك ، فكل معبود رب وكل مُطَاعٍ مُتَّبَعٍ على غير ما شرعه الله ورسوله ، فقد اتخذه المطِيعُ المتَّبعُ رباً معبوداً ، كما قال تعالى في آية الأنعام : ﴿**وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ**﴾ [سورة الأنعام: 121] " اهـ [1].

2- قال تعالى : ﴿**وَلا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ**﴾ [سورة الأنعام: 121]

قال الشنقيطي في تفسير قوله تعالى ﴿**وَلا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ** ﴾ [سورة الأنعام: 121] : " ولما كان التشريع وجميع الأحكام شرعية كانت أو كونية قدرية ، من خصائص الربوبية —كما دلت عليه الآية المذكورة —كان كل من اتبع تشريعاً غير تشريع الله فقد اتخذ ذلك المشرع رباً أشركه مع الله، والآيات الدالة على هذا كثيرة وقد قدمناها مراراً ، وسنعيد منها ما فيه الكفاية ، فمن ذلك وهو من أوضحه وأصرحه أنه في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وقعت مناظرة بين حزب الرحمن وحزب الشيطان في حكم من أحكام التحليل والتحريم ، وحزب الشيطان يتبعون (تشريع الشيطان في وحيه) وحي الشيطان في تحليله ، وحزب الرحمن يتبعون تشريع الرحمن في وحيه في تحريمه ، وقد حكم الله بينهما وأفتى فيما تنازعوا فيه فتوى سماوية قرآنية تتلى في سورة الأنعام .

وذلك أن الشيطان لما أوحى إلى أوليائه فقال لهم في وحيه : سلوا محمداً عن الشاة تصبح ميتة من هو الذي قتلها ؟ فأجابوهم : أن الله هو الذي قتلها. فقالوا : الميتة إذاً ذبيحة الله وما ذبحه الله كيف تقولون أنه حرام ؟! مع

---

[1] **فتح المجيد: ص85-86.**

أنكم تقولون أن ما ذبحتموه بأيديكم حلال ، فأنتم إذاً أحسن من الله وأحل ذبيحة . فأنزل الله بإجماع من يعتد به من أهل العلم قوله تعالى : **﴿ وَلا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرْ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ ﴾** يعني الميتة ، أي وإن زعم الكفار أن الله زكاها بيده الكريمة بسكين من ذهب ، **﴿ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ ﴾** والضمير عائد إلى الأكل المفهوم من قوله : **﴿ وَلا تَأْكُلُوا ﴾** وقوله **﴿ لَفِسْقٌ﴾** أي خروج عن طاعة الله واتباع لتشريع الشيطان **﴿ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ ﴾** أي بقولهم ما ذبحتموه حلال وما ذبحه الله حرام فأنتم إذن أحسن من الله وأحل تذكية ، ثم بين الفتوى السماوية من رب العالمين في الحكم بين الفريقين في قوله تعالى: **﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾** [سورة الأنعام: 121] فهي فتوى سماوية من الخالق جل وعلا صرّح فيها بأن متبع تشريع الشيطان المخالف لتشريع الرحمن مشرك بالله " [1]اهـ.

وقال أيضا رحمه الله : " وبهذه النصوص السماوية التي ذكرنا يظهر غاية الظهور أن الذين يتبعون القوانين الوضعية التي شرعها الشيطان على ألسنة أولياءه مخالفة لما شرعه الله جل وعلا على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم أنه لا يشك في كفرهم وشركهم إلا من طمس الله بصيرته وأعماه عن نور الوحي مثلهم " اه [2].

3 – قال تعالى : **﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنْ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ﴾** [سورة الشورى: 21].

ثبت بهذا النص أن من شرع للناس ما لم يأذن به الله فقد جعل نفسه شريكاً لله في ربوبيته ومن أطاعه في ذلك واتبع التشريع المخالف فقد أشرك بالله .

قال ابن كثير رحمه الله في تفسير هذه الآية : " أي هم لا يتبعونك فيما شرع الله من الدين القويم بل يتبعون ما شرع لهم شياطينهم من الجن والإنس من تحريم ما حرموا عليهم من البحيرة والسائبة والوصيلة والحام ، وتحليل أكل الميتة والدم والقمار وإلى نحو ذلك من الضلالات والجهالة الباطلة التي كانوا قد اخترعوها في جاهليتهم من التحليل والتحريم والعبادات الباطلة والأموال الفاسدة " [3].

4 – قال تعالى : **﴿ وَلا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا﴾** [سورة الكهف: 26]، **﴿ إِنْ الْحُكْمُ إِلا لِلَّهِ أَمَرَ أَلا تَعْبُدُوا إِلا إِيَّاهُ ﴾** [سورة يوسف: 40].

فالتشريع للخلق حق خالص لله تعالى :

---

[1] **أضواء البيان : ج7/ ص169.**

[2] **أضواء البيان : ج4/ ص83–84.**

[3] **تفسير ابن كثير : ج4/ ص120.**

﴿ **أَلا لَـهُ الْخَـلْقُ وَالأَمْـرُ** ﴾ [سورة الأعراف: 54] ، فمن توجه به أو صرفه لغير الله فقد أشرك مع الله غيره في العبادة ، وهذا الذي شرع جعل نفسه شريكاً لله وهذا هو "**طاغوت الحكم** " ، والآيات في هذا المعنى كثيرة متوافرة .

ب– التحاكم إلى غير الكتاب والسنة :

(كالقوانين والدساتير الوضعية ، الشعب ، العرف ، رئيس قبيلة أو حزب... إلخ)

وهو الصورة الثانية من صور " شرك الحكم " .

ومعناه : فض التنازع والخصومات أي : اتخاذ الخصمين حاكماً برضاهما لفصل خصومتهما ودعواهما [1] .

فالحكم والتحاكم هما الركن الثاني من أركان العبادة الحدّية أي الراجعة إلى حد الإسلام وأصل الدين ، فمن صرفهما لله وحده بلا شريك كان موحداً لله في باب الحكم ، ومن صرفهما لغير الله كان مشركاً بالله مؤمناً بالطاغوت ، فالحكم والتحاكم عبادة لا ينبغي صرفها إلا لله وحده .

1 – قال تعالى : ﴿ **إِنْ الْحُكْمُ إِلا لِلَّهِ أَمَرَ أَلا تَعْبُدُوا إِلا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ** ﴾ [سورة يوسف: 40]

فدلت هذه الآية على أن الحكم لا يكون إلا لله العلي الكبير وحده ، لماذا ؟ ، لأنه ﴿ **أَمَرَ أَلا تَعْبُدُوا إِلا إِيَّاهُ** ﴾ ، فالجملة الثانية تعليل للجملة الأولى ، فلأن الحكم ومنه التحاكم عبادة ولأن العبادة لا تكون ولا تصرف إلا لله ، إذن فالحكم لا يكون ولا يصرف إلا لله وحده بلا شريك

قال صاحب الظلال – على هذه الآية – : " والتعبير القرآني الدقيق في هذه القضية يحدد مدلول العبادة تحديداً دقيقاً ، فهي الحكم من جانب الله ، والدينونة من جانب البشر ، هذا وحده هو الدين القيم ، فلا دين إذن لله :

ما لم تكن دينونة الناس لله وحده ، وما لم يكن الحكم إليه وحده .

ولا عبادة لله إذن إذا دان الناس لغير الله في شأن واحد من شؤون الحياة ، فتوحيد الألوهية يقتضي توحيد الربوبية ، والربوبية تتمثل في أن يكون الحكم لله أو تكون العبادة لله ، فهما (الحكم والعبادة) مترادفان أو متلازمان ، والعبادة التي يعتبر بها الناس مسلمين أو غير مسلمين هي : الدينونة والخضوع والاتباع لحكم الله دون سواه ، وهذا التقرير القرآني بصورته هذه الجازمة ينهي كل جدل في اعتبار الناس في أي زمان ، وفي أي مكان ، مسلمين أو غير مسلمين ، في الدين القيم أم في غير هذا الدين.

فهذا الاعتبار يعد من المعلوم من الدين بالضرورة .

من دان لغير الله وحكّم في أي أمر من أمور حياته غير الله فليس من المسلمين وليس في هذا الدين .

---

[1] **القاموس الفقهي لغة واصطلاحا : ص96.**

ومن أفرد الله سبحانه بالحاكمية ورفض الدينونة لغيره من خلائقه فهو من المسلمين وهو في هذا الدين .

وكل ما وراء ذلك تمحّل لا يحاوله إلا المهزومون أمام الواقع الثقيل في بيئة من البيئات وفي قرن من القرون، ودين الله واضح .

وهذا النص وحده ﴿ **إِنْ الْحُكْمُ إِلا لِلَّهِ أَمَرَ أَلا تَعْبُدُوا إِلا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ** ﴾ كافٍ في جعل هذا الحكم من المعلوم من الدين بالضرورة من جادل فيه فقد جادل في هذا الدين " اهـ [1].

2 – قال الله تعالى : ﴿ **أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلالا بَعِيدًا** ﴾ [سورة النساء: 60] ، إلى قوله ﴿ **فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا** ﴾ [سورة النساء: 65].

قال ابن عباس رضي الله عنه : " والطاغوت – المذكور في الآية – رجل من اليهود كان يقال له كعب بن الأشرف ، وكانوا إذا ما دعوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول ليحكم بينهم قالوا : بل نحاكمكم إلى كعب بن الأشرف فذلك قوله تعالى : ﴿ **يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ** ﴾ "[2].

قال ابن كثير : " والآية أعم من ذلك كله فإنها ذامّة لمن عدل عن الكتاب والسنة وتحاكموا إلى ما سواهما من الباطل وهو المراد بالطاغوت هنا ولهذا قال: ﴿ **يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ** ﴾ "[3].

قال ابن القيم : " من تحاكم أو حاكم إلى غير ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم، فقد حكّم الطاغوت وتحاكم إليه " اهـ [4].

فدلت الآية على أن كل ما تحوكم إليه غير كتاب الله وسنة رسوله من دستور أو قانون أو شعب أو عرف أو حاكم أو قاض ... إلخ فهو طاغوت أمرنا الله أن نكفر به، ويسمّى طاغوت حكم ، فقد سبق وبينا أن الطاغوت – بحسب الظاهر – هو : كل ما عبد من دون الله إما بشيء من النسك فهو طاغوت عبادة ، وإما بشيء من عبادة الحكم والتحاكم فهو طاغوت حكم ، وإما بشيء من عبادة الولاية فهو طاغوت ولاية ومتابعة.

ودلت على أن التحاكم إلى غير الله ورسوله هو تحاكم إلى طاغوت.

ودلت على أن التحاكم إلى الطاغوت عبادة له وإيمان به ، لقوله تعالى : ﴿ **وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ** ﴾

ودلت على أن التحاكم إلى الطاغوت كفر بالله عز وجل لقوله : ﴿ **يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا ...** ﴾ ، فأبطل زعم الإيمان وأنكر عليهم دعواهم ولقوله فيما تلاها ﴿ **فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ** ....

---

[1] **في ظلال القرآن : ج4/ ص1991،1990.**

[2] **جامع البيان للطبري ، الدر المنثور للسيوطي.**

[3] **ج1/ ص531.**

[4] **أعلام الموقعين : ج1/ ص 50.**

﴾ الآية ، وقد تقدّم في قول ابن عباس رضي الله عنهما وقول ابن تيمية وابن القيّم والشيخ أبو بطين وسليمان بن سمحان وغيرهم في تعريف الطاغوت أنه يشمل كل من تحاكم إليه الناس في فصل الخصومات وفض النزاعات من حاكم بغير الكتاب والسنة.

قال تعالى : **﴿ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلا﴾** [سورة النساء: 59].

فهنا جملة شرطية علّق الله تعالى فيها الإيمان بالله واليوم الآخر على شرط هو الرد عند التنازع إلى الكتاب والسنة إلى الله والرسول ، فالرد عند التنازع إلى غير الكتاب والسنة يستلزم انتفاء الإيمان بالله واليوم الآخر لأن انتفاء الشرط يستلزم انتفاء المشروط ... هذا هو مفهوم الشرط .

قال ابن كثير : " قال مجاهد وغير واحد من السلف : أي : كتاب الله وسنة رسوله، وهذا أمر من الله عز وجل بأن كل شيء تنازع الناس فيه من أصول الدين وفروعه ، أن يرد التنازع في ذلك إلى الكتاب والسنة ، كما قال تعالى : **﴿ وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله ﴾** فما حكم به الكتاب والسنة وشهدا له بالصحة فهو الحق وماذا بعد الحق إلا الضلال ، ولهذا قال : ﴿ **إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ﴾** فدل على أن من لم يتحاكم في محل النزاع إلى الكتاب والسنة ولا يرجع إليهما في ذلك فليس مؤمناً بالله ولا باليوم الآخر " اهـ [1].

والآيات في هذا المعنى كثيرة جداً كلها دالة على أن من تحاكم في شيء من الخصومات كبيرها وصغيرها أو في أصول الدين وفروعه إلى غير الكتاب والسنة — سواء في ذلك الدستور أو القانون أو الشعب أو القانون الدولي – فهو كافر بالله عز وجل مؤمن بالطاغوت وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم ، ويدخل في ذلك — أول ما يدخل — التحاكم إلى الدستور في حق إنشاء حزب سياسي ، والتحاكم إلى الشعب عن طريق الانتخابات والاستفتاءات والمجالس النيابية (البرلمانات) ، كما هو الشأن في الأنظمة الديمقراطية الكافرة ، وهذه واحدة من أعظم بلايا هذا الزمان .

قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن : " فمن خالف ما أمر الله به ورسوله صلى الله عليه وسلم بأن حكم بين الناس بغير ما أنزل الله ، أو طلب ذلك اتباعاً لما يهواه ويريده فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه وإن زعم أنه مؤمن ، فإن الله أنكر على من أراد ذلك ، وأكذبه في زعمه الإيمان كما في ضمن قوله **﴿يزعمون﴾** من نفي إيمانه ، فإن **﴿يزعمون﴾** إنما تقال غالباً لمن ادعى دعوى هو فيها كاذب ، لمخالفته لما فيها وعمله بما ينافيها " [2] اهـ.

إذا علمت هذا تبين لك غربة الدين وغربة أهله من الموحّدين ، وتبين لك أن من يدعي الإيمان وهو مع ذلك يتحاكم في فصل الخصومات وفض النزاعات إلى الدساتير أو القوانين الوضعية أو القانون الدولي أو هيئة الأمم

---

[1] **تفسير ابن كثير : ج1/ص531.**

[2] **فتح المجيد : ص351.**

المتحدة ، أو محكمة العدل (بل الجور) الدولية ، أو إلى الشعب أو إلى المحاكم التي لا تحكم بما أنزل الله أو إلى من يحكم بهذه القوانين والدساتير من البشر من الطواغيت ، أو أراد ذلك وإن لم ينفذ فهو كافر بالله مؤمن بالطاغوت ، فإن الله أكفرهم وهم في مرحلة الإرادة وقبل التنفيذ .

بل الأدهى من ذلك أن هناك من يزين للناس التحاكم إلى الطاغوت – في أي شكل من أشكاله – ويدعوهم إليه أو يجيزه لهم بحجة أن حقوق الناس لا يمكن تحصيلها إلا من هذا الطريق فأصبح بذلك التحاكم إلى الطاغوت محذوراً تبيحه الضرورة ، فسبحان الله ماذا جرى لعقول هؤلاء ، وكيف نصّبوا أنفسهم للدعوة والإفتاء وهم أجهل الناس بتوحيد رب الأرض والسماء ، وقد نص الله على أن مرتكب الكفر كافر ولم يستثن إلا المكره مع طمأنينة القلب ، وشتّان بين الإكراه والضرورة ، فإذا كان التحاكم إلى الطاغوت يخرم أصل الدين ويطعن في توحيد رب العالمين ، فأي ضرورة تبقى بعد هذا ، سبحانك هذا بهتان عظيم .

والضرورة لا تبيح إلا المعاصي أما الكفر فلا يباح إلا بالإكراه الملجئ .

فالإكراه كما عرفه الإمام ابن حجر العسقلاني :

" هو إلزام الغير بما لا يريده "[1]

وقال ابن حجر رحمه الله : " وشروط الإكراه أربعة :

الأول : أن يكون فاعله قادراً على إيقاع ما يهدد به ، والمأمور عاجزاً عن الدفع ولو بالفرار .

الثاني : أن يغلب على ظنه أنه إذا امتنع أوقع به ذلك .

الثالث : أن يكون ما هَدَّده به فورياً ، فلو قال : إن لم تفعل كذا ضربتك غداً لا يُعد مُكرهاً ، ويستثنى ما إذا ذكر زمناً قريباً جداً أو جرت العادة بأنه لا يُخلف.

الرابع : أن لا يظهر من المأمور ما يدل على اختياره " [2]

ولم يذكر ابن حجر في كلامه هذا صفة التهديد الذي يُعَد إكراها ، وإنما ذكره بعد ذلك ، وينبغي أن يكون هذا شرطاً خامساً ، فنقول :

الخامس : نوع ما يهدده به أو ما يسمى (حَدّ الإكراه).

فقال ابن حجر : " واختُلف فيما يهدد به ، فاتفقوا على القتل واتلاف العضو والضرب الشديد والحبس الطويل ، واختلفوا في يسير الضرب والحبس كيومٍ أو يومين " اهـ

---

[1] **فتح الباري : 12/ 311**.

[2] **فتح الباري : 12/ 311**

وقال أيضا : " واختلف في حَدّ الإكراه ، فأخرج عبد بن حميد بسند صحيح عن عمر قال : " ليس الرجل بأمين على نفسه إذا سُجن أو أوثِقَ أو عُذّب " ، ومن طريق شُريح نحوه وزيادة ولفظه " أربعٌ كُلهن كُره : السجن والضرب والوعيد والقيد " ، وعن ابن مسعود قال : " ما كلام يدرأ عني سوطين إلا كنت متكلماً به " [1] ، وهو قول الجمهور " اهـ [2]

وهذه الأمور المذكورة في حَدّ الإكراه قسَّمها الأحناف إلى قسمين :

" **الأول** : إكراه ملجئ أو تام : وذلك بالتهديد بالقتل والقطع وبالضرب الذي يخاف منه تَلَف النفس أو العضو .

الثاني : إكراه غير ملجئ أو ناقص : وهو ما كان بالحَبْس والقيد والضرب الذي لا يخاف منه التلف . " [3]

ومذهب جمهور العلماء أن الترخص في الكفر لا يكون إلا بالإكراه الملجئ ، وهذا قول الأحناف والمالكية والحنابلة ، وقال الشافعي إن الحبس والقيد إكراه على الردّة. وقول الأحناف في (بدائع الصنائع 9/ 4493) وقول المالكية في (الشرح الصغير 2/ 548 – 549) وقول الحنابلة في (المغني مع الشرح الكبير 10/ 107 – 109) ، وقول الشافعية في (المجموع 18/ 6 – 7). وكلهم أجمعوا على أن من أكرِهَ على الكفر فاختار القتل أنه أعظم أجراً عند الله ممن اختار الرخصة ، نقله ابن حجر عن ابن بطال وهذا لفظه في (فتح الباري 12/ 317)، ونقل الإجماع أيضا القرطبي في تفسيره (10/ 188) .

وفي الترجيح بين أقوال المختلفين فيما يقع به الإكراه على الكفر ، رجّح ابن تيمية قول الجمهور وهو قول الحنابلة فقال " تأملت المذاهب فوجدت الإكراه يختلف باختلاف المكرَه عليه ، فليس الإكراه المعتبر في كلمة الكفر كالإكراه المعتبر في الهبة ونحوها ، فإن أحمد قد نصَّ في غير موضع أن الإكراه على الكفر لا يكون إلا بالتعذيب من ضربٍ وقيد ولا يكون الكلام إكراها " [4]

والحجة لقول الجمهور هو سبب النزول ، فإن عمار بن ياسر لم يتكلم بالكفر حتى عذّبه المشركون ، وعلى المشهور فإن هذا هو سبب نزول قوله تعالى ﴿ **مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ** ﴾ [سورة النحل: 106]

---

[1] يجب أن لا يفهم كلام ابن مسعود رضي الله عنه هذا في الإكراه الملجئ الذي يرخص فعل أو قول الكفر به ، لأنه لم يفهم ذلك الفهم أي عالم معتبر ولا قال به . لهذا قسم الإكراه إلى إكراه ملجئ يرخص به الكفر الأكبر وإكراه غير ملجئ لا يرخص به الكفر الأكبر .

[2] فتح الباري : 12/ 312 و 314

[3] بدائع الصنائع للكاساني : 9/ 4479.

[4] (الدفاع عن أهل السنة والأتباع) لحمد بن عتيق صـ 32 ، و (مجموعة التوحيد) صـ 419 ضمن الرسالة الثانية عشرة لحمد بن عتيق أيضا.

قال ابن حجر : " والمشهور أن الآية المذكورة نزلت في عمار بن ياسر ، كما جاء من طريق أبي عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر قال " أخذ المشركون عماراً فعذبوه حتى قاربهم في بعض ما أرادوا ، فشكى ذلك إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال له : كيف تجد قلبك ؟ قال : مطمئناً بالإيمان ، قال : فإن عادوا فعُد ". وهو مُرسَل ورجاله ثقات أخرجه الطبري وقبله عبد الرزاق وعنه عبد بن حميد " [1]

وقد أشار البخاري رحمه الله – حسب عادته في التلميح – إلى حد الإكراه المرخص في الكفر وذلك في باب (من اختار الضرب والقتل والهوان على الكفر) بكتاب الإكراه من صحيحه ، وذكر فيه ثلاثة أحاديث الأول حديث أنس مرفوعاً (ثلاث من كُنّ فيه وجد حلاوة الإيمان – ومنها – **وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار)** وفيه إشارة إلى أن العودة في الكفر تعدل دخول النار بما يعني الهلاك ، فلا يرخص في الكفر إلا عند خشية الهلاك وتلف النفس وهو قول الجمهور . والحديث الثاني عن سعيد بن زيد قال (لقد رأيتُني وإن عمر مُوثِقِي على الإسلام) الحديث ، وفيه أن عمر بن الخطاب – قبل إسلامه – كان يوثق سعيد بن زيد ويقيّده ليرتد عن الإسلام ، ولم يكن القيد ليرخص له في ذلك وفيه إشارة للرد على الشافعية في قولهم إن الحبس والقيد إكراه على الردة . ثم ذكر البخاري حديث خباب مرفوعاً (**قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيُحفر له في الأرض فيُجعل فيها، فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيُجعل نصفين ، ويمشط بأمشاط الحديد من دون لحمه وعظمه ، فما يصدّه ذلك عن دينه)** الحديث ، وفيه أثنى النبي صلى الله عليه وسلم على من اختاروا القتل والعذاب على الكفر وامتدحهم ، ويشير البخاري بذلك إلى الدليل الموافق للإجماع على أن من اختار القتل على الكفر أنه أعظم أجراً ." [2]

وبعد هذا الشرح لأنواع الإكراه يتبين أن الضرورة غير الإكراه الملجئ الذي يرخص الكفر الظاهر به . فالضرورة لا تبيح إلا المعاصي أما الكفر فلا يباح إلا بالإكراه الملجئ .

قال الشيخ سليمان بن سمحان عندما سئل عن التحاكم إلى الطاغوت بحجة الاضطرار :

" **المقام الثاني** : أن يقال إذا عرفت أن التحاكم إلى الطاغوت كفر ، فقد ذكر الله في كتابه أن الكفر أكبر من القتل ، قال تعالى **﴿ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنْ الْقَتْلِ﴾** [سورة البقرة: 191]، وقال **﴿ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنْ الْقَتْلِ ﴾** [سورة البقرة: 217]، والفتنة هي الكفر ، فلو اقتتلت البادية والحاضرة حتى يذهبوا لكان أهون من أن ينصبوا في الأرض طاغوتاً يحكم بخلاف شريعة الإسلام ، التي بعث الله بها رسوله .

---

[1] فتح الباري : **12/ 312**.

[2] الأحاديث الثلاثة المذكورة هنا أرقامها (**6941** و **6942** و **6943**).

هذا ويجب التذكير أن المُكرَه إذا علم أنه إذا أعطى المكرِه ما يريده من الكفر سوف لا يرفع عنه الإكراه وسوف يطلب منه الدوام على الكفر فيجب في هذه الحالة أن لا يستسلم للإكراه وأن لا يعطيه ما يريد من الكفر ، لأنه لا يجوز له البقاء على الكفر في أي حال من الأحوال .

المقـام الثالـث : أن نقـول إذا كـان التحـاكم كفـراً ، والنـزاع إنمـا يكـون لأجـل الـدنيا ، فكيـف يجـوز أن تكفـر لأجل ذلك ، فإنه لا يؤمن أحد حتى يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، وحتى يكون الرسول أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين ، فلو ذهبت دنياك كلّها لما جاز المحاكمة إلى الطاغوت لأجلها ، ولو اضطرك أحد وخيرك بين أن تحاكم إلى الطاغوت أو تبذل دنياك لوجب عليك البذل ، ولم يجز لك المحاكمة إلى الطاغوت والله أعلم " اهـ [1].

قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن على قوله تعالى : ﴿**فمن يكفر بالطاغوت...** ﴾ : " وذلك أن التحاكم إلى الطاغوت إيمان به " [2].

الخلاصة :

1 – التحـاكم عبـادة مجـردة كالصـلاة والـذبح والـدعاء إذا صـرفت لغـير الله كانـت كفـراً صـريحاً دون النظـر إلى معتقـد صـاحبها ، واشـتراط الاعتقـاد في الـذنوب المكفـرة أي اشـتراط الجحـد والاسـتحلال هـو قـول غـلاة المرجئـة (الجهمية) الذين أكفرهم السلف .

2 – أن من تحاكم إلى غير شرع الله فقد تحاكم إلى الطاغوت ، ومن تحاكم إلى الطاغوت فقد عبده ومن عبد الطاغوت فقد كفر بالله العظيم ، ألا ترى كيف أكذبهم الله في دعواهم الإيمان بقوله تعالى : ﴿**يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا...** ﴾ [سورة النساء: 60] ثم أقسم بذاته الكريمة أنهم غير مؤمنين ﴿**فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ...**﴾ [سورة النساء: 65] ما داموا يتحاكمون إلى الطاغوت ، حتى يتحاكموا إلى شرع الله وحده ، وقوله ﴿**وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلالا بَعِيدًا**﴾ [سورة النساء: 60]، والضلال البعيد إذا أطلق في عرف لغة الشارع فالمراد به الشرك ، وهو دليل استقرائي كما في قوله تعالى : ﴿ **وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالا بَعِيدًا** ﴾ [سورة النساء: 116] وقوله ﴿ **يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لا يَضُرُّهُ وَمَا لا يَنْفَعُهُ ذَلِكَ هُوَ الضَّلالُ الْبَعِيدُ**﴾ [سورة الحج: 12].

3-كل من تحوكم إليه غير الكتاب والسنة فهو طاغوت وجب الكفر به .

4 – أن الله تعالى نصّ في كتابه نصاً صريحاً على طاغوت الحكم لأنه مما يعظم الابتلاء به كما هو واقع في زماننا (رؤساء الدول ، والوزراء ، وأعضاء البرلمان ، والانتخابات ، والأحزاب وأعضاءها والقانون الدولي والأمم المتحدة ، ومحكمة العدل (بل الجور) الدولية ، والدساتير والمحاكم والقضاة ... إلخ) ، فلا يصح للعبد إسلام حتى يكفر به تفصيلاً وبخاصة طاغوته المبتلى به ، كطاغوت زمانه أو طاغوت قومه ، ولعظم الخطب كان لا بد من تفصيل الحديث عن طاغوت الحكم .

---

[1] **الدرر السنية : جزء حكم المرتد : ص275.**

[2] **فتح المجيد : ص 351.**

3 – شرك الولاية : موالاة الطاغوت ونصرته وإن اعتقد بطلان عبادته :

ومن معاني الموالاة وصورها التي تدخل دخولاً كلياً في مسماها الراجع إلى حد الإسلام وأصل الدين :

أ – النصرة :

وهي أظهر معاني الموالاة وهي إما باللسان أو باليد أو بالمال .

قال تعالى : ﴿ **وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ أَوْلِيَاءَ يَنصُرُونَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَنْ يُضْلِلْ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ سَبِيلٍ** ﴾ [سورة الشورى: 46]

ب – الطاعة والمتابعة :

قال تعالى : ﴿ **وَمِنْ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ ، كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَنْ تَوَلاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ**﴾ [سورة الحج: 3-4].

ج – المودة والمحبة :

قال تعالى : ﴿**يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة...** ﴾ الآية [سورة الممتحنة: 1] ، ولا يكون العبد موحداً في باب الموالاة حتى يصرف هذه الخصال جميعاً لله وفي الله (رسوله والمؤمنين).

فإذا صرف العبد شيئاً من هذه الخصال – واحدة أو أكثر – لغير الله كان مشركاً بالله العظيم ، كالنسك تماماً ، فكل خصلة من خصال الموالاة عبادة ينبغي صرفها لله وفي الله ، ومن صرف خصلة منها – أو جميعها – لطاغوت من الطواغيت السابق ذكرهم ، كان مؤمناً بالطاغوت ، كافراً بالله العظيم ، وكان فعله (شرك ولاية)، وكان هذا الطاغوت طاغوت ولاية ومتابعة .

فمن نصر التوحيد وعمل به وأحبه وقاتل في سبيله كان موحداً .

ومن نصر الطاغوت وذبّ عنه وحسّن للناس دينه وخطّأ أهل التوحيد في الكفر به والبراءة منه وقتال أوليائه والخروج عليه وسماهم خوارج ونحوه ، فهو مؤمن بالطاغوت كافر بالله العظيم ، وإن اعتقد بطلان عبادته – أي الطاغوت –.

ومن قاتل في سبيل الطاغوت دفاعاً عن نظام كفري أو حاكم كافر أو .... إلخ حماية للدستور والقانون ، أو قاتل لإقامة نظام ديمقراطي أو للمشاركة في نظام ديمقراطي أو قاتل لأجل القومية أو الحزبية أو العصبية .. إلخ ، فهو مؤمن بالطاغوت كافر بالله العظيم وإن اعتقد بطلان عبادة الطاغوت ، ومثله من ناصر وأعان بالمال والسلاح .

الدليل : ﴿ **وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ** ﴾ [سورة المائدة: 51]

فعلم : أنه من نصر الطاغوت ، وذبّ عنه وحسّن للناس دينه ورمى أهل التوحيد بالضلال فهو مؤمن بالطاغوت ، كافر بالله وإن اعتقد بطلان عبادة الطاغوت .

قال الله تعالى : ﴿ **أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنْ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلاءِ أَهْدَى مِنْ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلا** ﴾ [سورة النساء: 51].

قال الحافظ ابن كثير في تفسيره [ج1/ ص513] : " عن عكرمة قال : جاء حُيَي بن أخطب وكعب بن الأشرف إلى أهل مكة فقالوا لهم (أي أهل مكة) أنتم أهل الكتاب وأهل العلم ، فأخبرونا عنا وعن محمد ، فقالوا : ما أنتم وما محمد ؟. فقالوا : نحن نصل الأرحام وننحر الكوماء [1] ونسقي الماء على اللبن ، ونفك العاني ، ونسقي الحجيج ، ومحمد صنبور [2] قطّع أرحامنا واتبع سرّاق الحجيج من غفار ، فنحن خير أم هو ؟ فقالوا : أنتم خير وأحسن سبيلا . فأنزل الله ﴿ **أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنْ الْكِتَاب** ﴾ [سورة آل عمران: 23] وقد روي هذا من غير وجه عن ابن عباس وجماعة من السلف" اهـ.

والآن نسأل جهمية عصرنا ومشايخ الطواغيت وأتباعهم : ما معنى الإيمان بالجبت والطاغوت في هذه الآية؟ هل هو اعتقاد قلب أو هو موافقة أصحابها مع بغضها ومعرفة بطلانها ؟ إن هؤلاء الأحبار من اليهود ، كانوا يعرفون بطلان ما عليه المشركون من عبادة الأصنام قطعا ، بل كانوا يستفتحون عليهم كما حكى الله عنهم ، لكن مجرد موافقتهم في الظاهر على ما كانوا عليه من الباطل ، وتحسين ذلك لهم ، والشهادة على أهل الحق بالضلال ، جعله الله إيماناً بجبتهم وطاغوتهم ، فالإيمان بالطاغوت الوارد في هذه الآية هو موافقة الكفّار في الظاهر ، وتحسين ما هم عليه ، والشهادة على أهل الحق بالضلال مع سلامة عقدهم وبواطنهم أي مع عدم تغيّر اعتقادهم الثابت في الكفر والإيمان ، وإنما فعلوه ابتغاء حظّ من الحظوظ العاجلة أو مصلحة من المصالح الآجلة فأين أنتم يا أصحاب فقه المصالح والمناورات السياسية والتكتيك ؟!!!

موافقة الطاغوت في الظاهر ، الله سماه " **إيماناً بالطاغوت** ".

والدعاة على أبواب جهنم في هذا الزمان يسمّونه "**تكتيكا**" و "**الحرب خدعة**" و "**مصلحة الدعوة**" و "**فقه الحركة**" ...إلخ من قاموس المهلكات .

قال الشيخ سليمان بن عبد الله : " اعلم رحمك الله تعالى أن الإنسان إذا أظهر للمشركين الموافقة على دينهم خوفاً منهم ومداراة لهم ومداهنة لدفع شرهم فإنه كافر مثلهم وإن كان يكره دينهم ويبغضهم ويحب الإسلام والمسلمين ، هذا إذا لم يقع منه إلا ذلك – إلى قوله – فكيف إذا كان في دار منعة (مما يوضح أنه كان يتكلم في الحالة الأولى عمن هو في "دار استضعاف") واستدعى بهم ودخل في طاعتهم وأظهر الموافقة على دينهم الباطل ، وأعانهم عليه بالنصرة ووالاهم وقطع الموالاة بينه وبين المسلمين وصار من جنود القباب والشرك وأهلها (للقصور حكم القباب والقبور) بعد ما كان من جنود الإخلاص والتوحيد وأهله ، فإن هذا لا يشك مسلم أنه كافر من

---

[1] **الكوماء : الناقة عظيمة السنام.**

[2] **صنبور : أبتر لا عقب له.**

أشد الناس عداوة لله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم ، ولا يستثنى من ذلك إلا المكره وهو الذي يستولي عليه المشركون فيقولون له اكفر أو افعل كذا ، وإلا فعلنا بك وقتلناك ، أو يأخذونه فيعذبونه حتى يوافقهم ، فيجوز له الموافقة باللسان مع طمأنينة القلب بالإيمان .

وقد أجمع العلماء على أن من تكلم بالكفر هازلاً فإنه يكفر ، فكيف بمن أظهر الكفر خوفاً وطمعاً في الدنيا ، وأنا أذكر بعض الأدلة على ذلك بعون الله وتأييده ..." اهـ[1].

ثم ساق واحداً وعشرون دليلاً من الكتاب والسنة ، تجدها مفصلة في رسالته هذه .

أقول : فكيف بمن أظهر طاعتهم ، وأعانهم على كفرهم وباطلهم ، ودخل في مجالسهم وانتخاباتهم وديمقراطيتهم ، وتبرأ من أهل التوحيد وصد الناس عنهم ، وسماهم أهل التكفير ونبزهم بلقب الخوارج والبغاة ، طمعاً في مناصب الطواغيت وكراسيهم كما يحدث في زماننا هذا ؟!!! تباً لهم ولأوليائهم .

واعلم : أن من قاتل في سبيل الطاغوت أو نصره وأعانه بالمال والسلاح دفاعاً عنه أو حماية له أو تمكيناً له فهو كافر بالله العظيم .

قال تعالى : **﴿ الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ﴾** [سورة النساء: 76].

والطاغوت –كما سبق بيانه – : كل ما عبد من دون الله ، وكل ما تحوكم إليه من دون الله من حاكم بغير ما أنزل الله أو دستور أو قانون كفري أو ميثاق دولي أو منهج كفري .. إلخ .

فكل من قاتل في سبيل حاكم بغير ما أنزل الله أو دستور أو قانون كفري أو نظام جاهلي أو فكرة كفرية كالاشتراكية والقومية والبعثية ، أو منهج كفري كالديمقراطية (إقامة دولة ديمقراطية أو المشاركة في البرلمان أو الحكومة) دفاعاً عنه أو حماية له أو تمكيناً له فهو كافر بالله العظيم كما نصت عليه الآية بوضوح وحسم شديدين .

﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ ﴾ [سورة النساء: 76] ثم زاد الله هذا الحكم تأكيداً وتقريراً لتستقر هذه الحقيقة بجلاء وقطع في النفوس ، فقال : **﴿ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ ﴾** [سورة النساء: 76] فكل من قاتل في سبيل الطاغوت، فهو من أولياء الشيطان ، وأولياء الشيطان كفّار .

قال تعالى : **﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمْ الطَّاغُوتُ ﴾** [سورة البقرة: 257] هذا هو طاغوت الولاية .

وقال تعالى : **﴿ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ ﴾** [سورة الأعراف: 27]

---

[1] **رسالة حكم موالاة أهل الإشراك : مجموعة التوحيد : ص 331–354.**

ففي هذه الآية دليل آخر على ما أسلفنا عند حديثنا عن "معنى الطاغوت" أن الطاغوت كائناً ما كان في الظاهر فهو على الحقيقة "الشيطان" الداعي إلى كل كفر وأن كل من قاتل في سبيل الطاغوت سواء دفاعاً عنه أو حماية له أو تمكيناً له ، فهو يقاتل في سبيل الشيطان على الحقيقة ، وفيها دليل أيضاً على أن القتال ولاية والولاية عبادة لا ينبغي صرفها إلا لله ، وفي الله ، قال تعالى : **﴿ قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾** [سورة الأنعام: 14] ومن صرف صورة من صورها أو خصلة من خصالها (النصرة والطاعة والمتابعة والمودة والمحبة) من صرفها لغير الله كان مشركاً بالله وهذا الشرك يسمّى " **شرك الولاية** " في مقابل " **توحيد الولاية** " كركن من أركان العبادة الحدية الراجعة إلى حد الإسلام وأصل الدين ، وهذا الغير الذي صرفت له فهو طاغوت ولاية .

فمن قاتل في سبيل الله فهو مؤمن بالله كافر بالطاغوت .

ومن قاتل في سبيل الطاغوت فهو مؤمن بالطاغوت كافر بالله عز وجل ، وإن كان عقده سليماً.

بقيت مسألتان :

الأولى :– أن القتال في سبيل الطاغوت يكون بالقول كما يكون بالفعل.

قال ابن تيمية (في معرض كلامه عن قتال الكفار الأصليين) : "أما من لم يكن من أهل الممانعة والمقاتلة كالنساء والصبيان والراهب والشيخ الكبير والأعمى والزمن ونحوهم ، فلا يقتل عند جمهور العلماء ، إلا أن يقاتل بقوله أو فعله "[1].

وقال أيضا رحمه الله : " المحاربة نوعان : محاربة باليد ومحاربة باللسان – إلى قوله – وكذلك الإفساد يكون باليد ويكون باللسان، وما يفسده اللسان من الأديان أضعاف ما تفسده اليد . " [2]

وقال تعالى عن القرآن : **﴿ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا ﴾** [سورة الفرقان: 52]، فهذا جهاد اللسان.

الثانية : أن القتال في سبيل الطاغوت بالفعل يكون بالمال والسلاح ، كما يكون باليد والنفس ، فقرن الله سبحانه في كتابه في آيات الجهاد والقتال بين المال والنفس ، ولم يفرّق بينهما ، بل قدّم الجهاد بالمال على الجهاد بالنفس في كل المواضع إلا موضعاً واحداً، ولحكمة خاصة .

---

[1] **مجموع الفتاوى : ج28/ ص354.**

[2] **الصارم المسلول : ص385.**

قال تعالى : ﴿ **وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ** ﴾ [سورة الصف: 11] وكذا قال تعالى : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ** ﴾ [سورة الأنفال: 36]

وعلى هذا فالذين يقاتلون في سبيل الطاغوت أصناف :

أ– بالقول : يأتي على رأسهم أحبار السلطة وكل من أضفى عليها الشرعية من المتعالمين وكتّاب السلطة والصحافيون والإعلاميّون .

ب– بالنفس : الجيش والشرطة والميليشيا والمجموعات المتطوعة للقتال في أي مكان تحت راية الطاغوت .

ج – بالمال : المموّلون والداعمون بالأموال والعتاد .

ولا يشترط للحكم بكفرهم مباشرة القتال فعلا ، وأن يقع القتال ، بل كل من كان مُعدّا بواسطة دساتير هذه الدول وقوانينها أو مناهج أية مجموعة مقاتلة وبرامجها للقتال في سبيل الطاغوت دفاعاً أو حماية أو تمكيناً لأنظمة حكم كفرية أو مناهج وأفكار كفرية ، فهو كافر له حكم المباشر منهم ، ولا فرق البتة .

وهذه الأصناف كلها لا يشك في كفرهم إلا من طمس الله على بصيرته ، وأعماه عن نور الوحي مثلهم .

صفة الكفر بالطاغوت

بعد أن عرفت أنه يجب عليك الكفر بالطاغوت ، وأن إيمان المرء لا يصح إلا بعد الكفر به ، وعرفت أنواع الطواغيت ، يتعين عليك أن تعرف صفة الكفر بالطاغوت لتمارسه في واقع حياتك العملية ، وحتى لا يكون كفرك به مجرد دعوى أو زعماً باللسان من دون عمل ، لا تظهر آثاره على الجوارح وفي واقع الحياة ، فيطالك قوله تعالى : **﴿كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ﴾** [سورة الصف: 3].

حينما يُذكر الكفر بالطاغوت يتداعى لذهن بعض الناس صورة هلامية باهتة الملامح للطاغوت وكأنه شيء لا وجود له في عالم الواقع وإنما وجوده في عالم النظريات فقط ، فينبغي أن يكون الطاغوت وعياً حاضراً في الذهن ، ووجوداً حياً محدد الملامح والسمات في الواقع .

لقد بين الله لنا صفة الكفر بالطاغوت في كتابه الكريم أتمّ بيان على لسان إمام الحنفاء نبي الله إبراهيم عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام ...

قال تعالى : ﴿ **قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَاؤُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ...** ﴾ الآية [سورة الممتحنة: 4].

وصفة الكفر بالطواغيت تكون :

1 – بتكفير الطواغيت وتكفير من عبدهم ودخل في دينهم[1]:

[1] **دين الطاغوت: أي نظامه وشرعه ومنهجه ودستوره وقوانينه.**

وذلك بأن تعتقد كفر كل طاغوت وكُفر كل من عبده بأي نوع من أنواع العبادة (نسك ، وحكم ، وولاية) ، وتعاملهم معاملة الكفار .

فقد أمر الله تعالى رسوله ﷺ في فجر الدعوة وحال الاستضعاف أن يجهر لقومه من المشركين بكلمة الفصل صريحة بلا مداهنة واضحة بلا خفاء مقرراً بذلك منهج رب العالمين في التعامل مع المشركين ، هذا قبل فرض القتال وقبل الهجرة وفي بداية الدعوة ، أمره الله أن يصدع لقومه بحكم الله فيهم ، فقال تعالى: **﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ۞ لا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۞ وَلا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ... ﴾** السورة ، ولو كان في الأمر سعة لأخّرها الرسول صلى الله عليه وسلم تألّفاً للقوم ، ولو كان في الأمر سعة لأخفاها الرسول صلى الله عليه وسلم تحسّباً للبطش ومراعاة لحال الاستضعاف ، ولكن القضية قضية الدين الأولى ، قضية هذه العقيدة الربانية ، فما رأي أصحاب الدعوات والمناهج الأرضية ممن يرون هذا تنفيراً وتكفيراً ... فإنا لله وإنا إليه راجعون .

قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن – في معرض ردّه على أحد المخالفين من أهل الزيغ – : " ما من أحد إلا وهو يدّعي الإسلام لنفسه ، ولكل قول حقيقة ، وقد ذكر شيخنا رحمه الله تعالى (الشيخ محمد بن عبد الوهاب) تعريفاً جامعاً لأصل الإسلام قال : **أصل دين الإسلام وقاعدته أمران** : –

الأول : الأمر بعبادة الله وحده لا شريك له ، والتحريض على ذلك ، والموالاة فيه، وتكفير من تركه.

الثاني : الإنذار عن الشرك في عبادة الله ، والتغليظ في ذلك ، والمعاداة فيه ، وتكفير من فعله.

والمخالف في ذلك أنواع :

فأشدهم مخالفة من خالف في الجميع .

ومنهم من عبد الله ولم ينكر الشرك .

ومنهم من أنكر الشرك ولم يعاد أهله .

ومنهم من عاداهم ولم يُكفرهم .

ومنهم من لم يحب التوحيد ولم يبغضه.

ومنهم من أنكره ولم يُعاد أهله.

ومنهم من لم يكفّرهم وزعم أن ذلك مسبة للصالحين .

ومنهم من لم يبغض الشرك ولم يحبه .

ومنهم من لم يعرف الشرك ولم ينكره .

ومنهم وهو أشد الأنواع خطراً من عمل بالتوحيد ولم يعرف قدره فلم يبغض من تركه ولم يكفرهم .

ومنهم من ترك الشرك وكرهه وأنكره ولم يعرف قدره فلم يعاد أهله ولم يكفرهم .

وكل هؤلاء قد خالفوا ما جاءت به الأنبياء من دين الله " انتهى كلامه [1].

---

[1] **الدرر السنية: الجزء السابع.**

فمن كان هذا حاله فليس بمؤمن ولا مسلم حتى يأتي بأصل الدين، ويُكفِّر من دخل في دين الطاغوت وعبده
.

وقد سئل الشيخ حسين والشيخ عبد الله ابنا الشيخ محمد رحمهما الله جميعاً عن رجل دخل هذا الدين وأحب أهله ولكن لا يعادي المشركين ، أو عاداهم ولم يُكفرهم ؟.

فأجابا : " بأن هذا لا يكون مسلماً إلا إذا عرف التوحيد ودان به وعمل بموجبه ، وصدق الرسول صلى الله عليه وسلم فيما أخبر به وأطاعه فيما نهى عنه وأمر به وآمن بما جاء به، فمن قال : لا أعادي المشركين ، أو عاداهم ولم يكفرهم . أو قال : لا أتعرض لأهل " لا إله إلا الله " ولو فعلوا الكفر والشرك وعادوا دين الله . أو قال: لا أتعرض لأهل القباب. فهذا لا يكون مسلماً بل ممن قال الله فيهم **﴿ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلا﴾** [سورة النساء: 150] " اهـ [1].

وروى أبو داود وغيره بسند صحيح قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأحد أصحابه : « **اقرأ ﴿ قل يا أيها الكافرون ﴾ ، ثم نم على خاتمتها فإنها براءة من الشرك** ».

وقال تعالى : ﴿ **قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ** ﴾ إلى قوله ﴿ **كَفَرْنَا بِكُمْ** ... ﴾ الآية [سورة الممتحنة: 4].

2 – ويكون باعتقاد بطلان عبادة الطاغوت :

بأن يعلم العبد ويعتقد أن كل طاغوت عبده العابدون مما سبق بيانهم بأي صورة من صور العبادة وبأي نوع من أنواعها ، سواء كان هذا الطاغوت حجراً أو صنماً أو شجراً أو كاهناً أو ساحراً أو حبراً من الأحبار أو داع من دعاة الضلالة أو حاكماً بغير الكتاب والسنة أو هيئة كالأمم المتحدة وغيرها أو حزباً أو فكرة كالقومية وغيرها أو كائناً ما كان من شيء ، فعبادته باطلة وألوهيته من دون الله شرك وضلال .

قال تعالى : **﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴾** [سورة لقمان: 30].

يقول العلامة الوزير أبو المظفر بن هبيرة الحنبلي في الإفصاح :

" قوله شهادة " أن لا إله إلا الله " يقتضي أن يكون الشاهد عالماً بـ "لا إله إلا الله" كما قال تعالى : **﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ ﴾** [سورة محمد: 19] ... قال : واسم **"الله"** مرتفع بعد "إلا " من حيث أنه الواجب له الإلهية فلا يستحقها غيره سبحانه... قال : وجملة الفائدة في ذلك أن تعلم أن هذه الكلمة مشتملة على الكفر

---

[1] **مجموعة التوحيد : ج1/ ص353.**

بالطاغوت والإيمان بالله ، فإنك لما نفيت الإلهية، وأثبتّ الإيجاب لله سبحانه ، كنت ممن كفر بالطاغوت وآمن بالله " اهـ [1].

فمن اعتقد أن طاغوتاً من الطواغيت . يجوز أن يصرف له شيء من أنواع العبادة التي سبق بيانها ، أو شك في ذلك ، أو توقف – وإن لم يفعلها – فإنه لم يحقق ما أوجبه الله عليه من الكفر بالطاغوت الذي يصير به مسلماً .

3 – ويكون بترك عبادة الطاغوت والبراءة منها :

وذلك يكون بأن يجتنب العبد التوجه بنوع من أنواع العبادة أو فرد من أفرادها لغير الله ، لطاغوت من الطواغيت الذين سبق بيانهم .

قال تعالى : ﴿ **وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولا أَنْ اُعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلالَةُ فَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ** ﴾ [سورة النحل: 36]

قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن : " فأخبر تعالى أنه بعث في كل طائفة من الناس رسولا بهذه الكلمة ﴿**أَنْ اُعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ**﴾ [سورة النحل: 36]، أي اعبدوا الله وحده واتركوا عبادة ما سواه ، كما قال تعالى : ﴿ **فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لا انفِصَامَ لَهَا**﴾ [سورة البقرة: 256] وهذا معنى لا إله إلا الله ، فإنها هي العروة الوثقى " اهـ. [2]

وقال تعالى : ﴿ **وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلا تَتَّقُونَ**﴾ [سورة الأعراف: 65] ثم أخبر جواب قومه فقال سبحانه : ﴿ **قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنتَ مِنْ الصَّادِقِينَ**﴾ [سورة الأعراف: 70] فبينت الآيات أنه لما دعاهم إلى توحيد الله عز وجل علموا أن ذلك يستلزم منهم ترك ما كان يعبد آباؤهم من الأنداد ، فقالوا : ﴿ **أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا...**﴾ [سورة الأعراف: 70]

قال تعالى : ﴿ **إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ، وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ**﴾ [سورة الصافات: 35-36]

ففهم الكفار أن " **لا إله إلا الله** " تعني ترك الآلهة المعبودة من دون الله أو معه والبراءة منها ، والعجيب أن كثيراً من المتأخرين ممن ينتسبون لهذا الدين ويظنون أنفسهم مسلمين لم يفهموا أن توحيد الله عز وجل يستلزم منهم ترك كل معبود سوى الله ، فعبدوا الله وأشركوا معه غيره .

فويلٌ لمن لم يفهم من " **لا إله إلا الله** " ما فهمه الكفار منها .

---

[1] **الإفصاح عن معاني الصحاح للعلامة الوزير أبو المظفر بن هبيرة الحنبلي.**

[2] **فتح المجيد : ص 19.**

وفي حديث أبي سفيان الطويل وقصته مع هرقل – فيما رواه البخاري من حديث أبي سفيان – لما سأله هرقل عن النبي صلى الله عليه وسلم: " قال: فماذا يأمركم ؟. قلت : يقول : اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئاً واتركوا ما يقول آباؤكم... " الحديث اهـ.

فأول ما كان يدعوا الأنبياء قومهم كانوا يدعونهم إلى ترك عبادة الطاغوت ، أي إلى الكفر بالطاغوت ، ولا يقبلون منهم إيماناً إلا بترك عبادة ما سوى الله سبحانه فكان في أول ما نزل من القرآن الكريم على الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم قوله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ۞ قُمْ فَأَنذِرْ** (وهذه أول آية أرسل بها) ۞ **وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۞ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۞ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ** (أي فاترك واهجر الأصنام) ﴾ [سورة المدثر: 1-7]

قال تعالى : ﴿ **وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ ، إلا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ ، وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ**﴾ [سورة الزخرف: 26-28].

إذا علمت هذا تبين لك أن أحدا لا ينفعه دعوى الكفر بالطاغوت إلا بترك عبادة ما سوى الله ، ولا يكفي مجرد اعتقاد بطلانها ، أو الإقرار بذلك إذا لم يكن معه عمل هو ترك الشرك .

قال تعالى : ﴿ **إِنَّا بُرَءَاؤُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ** .... ﴾ الآية [سورة الممتحنة: 4].

4- وتكون بمعاداتهم وبغضهم والتبرؤ منهم وممن يعبدونهم من دون الله.

فمن اعتقد بطلان عبادة الطاغوت ، وتركها لكنه لم يبغضها ويبغض أهلها ويتبرأ منهم لم يكن آتياً بما افترضه الله عليه من الكفر بالطاغوت الذي لا يصير العبد مسلماً إلا به :

قال تعالى : ﴿ **لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمْ الإِيمَانَ** ...﴾ [سورة المجادلة: 22]

قال البيضاوي : " أخبر تعالى أنك لا تجد من يؤمن بالله واليوم الآخر يوادّون من حادّ الله ورسوله ، ولو كان أقرب قريب ، وأن هذا مناف للإيمان مضاد له ، لا يجتمع هو والإيمان إلا كما يجتمع الماء والنار "[1].

قال الشيخ سليمان بن عبد الله – في رسالة أوثق عرى الإيمان –: " نفى الله سبحانه الإيمان عمن هذا شأنه ولو كانت مودته ومحبته ومناصحته لأبيه وأخيه وابنه ، ونحوهم فضلا عن غيرهم "[2].

قال صاحب كتاب " الموالاة والمعاداة " : " وقد أجمع العلماء من الصحابة والتابعين وتابعيهم وجميع المسلمين سلفاً وخلفاً أن المرء لا يكون مسلماً إلا بالتجرد من الشرك الأكبر والبراءة منه وممن فعله ، وبغضهم ومعاداتهم بحسب الطاقة والقدرة والإمكان " اهـ.[3]

---

[1] **تفسير البيضاوي.**

[2] **الدرر السنية.**

[3] **الموالاة والمعاداة ، ج1/ ص170.**

فولاية الله لا تنال إلا بالبراءة من الكفّار ولو كانوا أقرب قريب...

والإيمان بالله واليوم الآخر ومودة أعداء الله نقيضان وضدّان لا يجتمعان في قلب عبد، هذا حكم الله فلا ولاء إلا ببراء .

قال تعالى : ﴿ **قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَاؤُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ** ﴾ [سورة الممتحنة: 4].

تأمل قوله ﴿ **بدا** ﴾ الذي يفيد غاية الظهور والوضوح ، وتقديم العداوة التي مكانها الجوارح الظاهرة على البغضاء التي مكانها القلب ، وهذا يدل على أهمية إظهار العداوة والبراءة منهم إظهاراً لا لبس فيه ولا مواربة ولا غموض ، إذ لا يكفي إضمار البغضاء لهم في القلب ثم نحن في الظاهر مسالمون لهم متوددون..!

ثم تأمل تقديم البراءة من العابدين وشركهم قبل المعبودين ، وما ذلك إلا للأهمية ، فإن البراءة من العابد وشركه يقتضي البراءة من المعبودين دون العكس ، فإن البراءة من المعبودين لا يستلزم البراءة من عابديهم وما يشركون .

وقال تعالى عن إبراهيم : ﴿ **وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ ، إلا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ** ﴾ [سورة الزخرف: 26-27] وقال : ﴿ **قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ، أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ الأَقْدَمُونَ ، فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلا رَبَّ الْعَالَمِينَ** ﴾ [سورة الشعراء: 75-77] وقال : ﴿ **أُفٍّ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلا تَعْقِلُونَ** ﴾ [سورة الأنبياء: 67].

هذه هي : الأسوة الحسنة التي أمرنا بالاقتداء بها ، وهذه هي ملة إبراهيم التي لا يرغب عنها إلا من سفه نفسه : ﴿ **وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ** ﴾ [سورة البقرة: 130].

5 – وتكون بإبداء العداوة للطواغيت ولعابديهم وجهادهم باليد واللسان بقدر الإمكان :

إن القاعدة العقدية الكبرى قاعدة الولاء والبراء والتي مدارها على الحب والبغض في الله وقطب رحى العبودية هي : شرط الإيمان . وهي ركن التوحيد.

قال تعالى : ﴿ **وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاء** ﴾ [سورة المائدة: 81] وقال تعالى : ﴿ **فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لا انفِصَامَ لَهَا** ﴾ [سورة البقرة: 256]

وهي أخص لوازم لا إله إلا الله بل هي من معناها ، وإظهار العداوة والبغضاء للكفار هو التطبيق العملي لركن الكفر بالطاغوت في عالم الواقع المحسوس .

وهو الترجمة الفعلية لملة إبراهيم والأنبياء أجمعين .

وما حل بأمة الإسلام ما حل من الذل والهوان وتسلط الكفار عليها وضياع الأديان إلا حينما انفرط عقد الولاء والبراء ، حينما أهمل هذا الأصل وفرّط فيه فانتقضت تلك العروة الوثقى ، فهذا إمام الحنفاء أبو الأنبياء

عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام لم يكتف بمجرد قول لا إله إلا الله ، ولم تتم له المحبة والموالاة وهو إمام المحبين إلا بمعاداة الكفّار والمشركين . كما قال تعالى مخبراً عنه : ﴿ **قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ، أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ الأَقْدَمُونَ ، فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلا رَبَّ الْعَالَمِينَ** ﴾ [سورة الشعراء: 75-77]

وهذا هو معنى قول لا إله إلا الله كما قال تعالى : ﴿ **وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ ، إِلا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ ، وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ** ﴾ [سورة الزخرف: 26-28] فجعل الموالاة لله والبراءة من كل معبود سواه كلمة باقية في عقبه أورثها إمام الحنفاء لأتباعه يتوارثها الأنبياء بعضهم عن بعض ، فلما بعث نبينا محمد صلى الله عليه وسلم أمره الله بقولها كما قالها أبونا إبراهيم ، فأنزل الله عز وجل بها سورة كاملة هي سورة الكافرون : ﴿ **قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ۞ لا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۞ وَلا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ۞ وَلا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدتُّمْ ۞ وَلا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ۞ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ** ﴾

وهذا هو تفسير شهادة أن لا إله إلا الله (الكلمة الباقية في عقبه).

قال ابن تيمية : " ليس المراد بقول لا إله إلا الله قولها باللسان مع الجهل بمعناها وترك العمل بمقتضاها ، فإن المنافقين يقولونها وهم تحت الكفّار في الدرك الأسفل من النار مع أنهم يتصدقون ويصلّون ، ولكن المراد بقولها مع معرفة القلب لمعناها ومحبته لها ومحبة أهلها وبغض من خالفها ومعاداته " [1].

قال الشيخ حمد بن عتيق : " ومن أعظم الواجبات على المسلم (المؤمن) محبة الله ومحبة ما يحبه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة، وكذلك ما يحبه من الأشخاص كالملائكة وصالح بني آدم وموالاتهم ، وبغض ما يبغضه الله من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة وبغض من فعل ذلك ، فإذا رسخ هذا الأصل في قلب المؤمن لم يطمئن إلى عدوّ لله ولم يجالسه ولم يساكنه وساءه النظر إليه ، فلما ضعف هذا الأصل في قلوب كثير من الناس واضمحل صار كثير منهم مع أولياء الله كحاله مع أعداء الله يلقى كلا منهم بوجه طلق وصارت بلاد الحرب كبلاد الإسلام ، ولم يخش غضب الله الذي لا تطيق غضبه السماوات والأرض والجبال الراسيات ، ولما عظمت فتنة الدنيا وصارت أكبر همهم ومبلغ علمهم حملهم ذلك على التماسها وطلبها ولو بما يسخط الله " اهـ[2].

وقال أيضا : " وبالجملة فأصل دين جميع الرسل هو القيام بالتوحيد ومحبته ومحبة أهله وموالاتهم وإنكار الشرك وتكفير أهله وبغضهم وإظهار عداوتهم كما قال تعالى: ﴿ **قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَاؤُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ** ﴾ [سورة الممتحنة: 4]

ومعنى قوله ﴿ **وَبَدَا** ﴾ أي ظهر وبان والمراد التصريح باستمرار العداوة والبغضاء لمن لم يوحد ربه ، فمن حقق ذلك علماً وعملاً وصرّح به حتى يعلمه منه أهل بلده لم تجب عليه الهجرة من أي بلد كان ، وأما من لم يكن

---

[1] **مجموعة التوحيد : ص 108.**

[2] **الدرر السنية : الجزء السابع : ص196.**

كذلك بل ظن أنه إذا ترك يصلي ويصوم ويحج سقطت عنه الهجرة فهذا جهل بالدين وغفول عن زبدة رسالة المرسلين " اهـ[1]

قال تعالى : ﴿ **فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لا أَيْمَانَ لَهُمْ** ﴾ [سورة التوبة: 12] ، وأئمة الكفر هم الطواغيت .

وقال تعالى : ﴿ **قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ** ﴾[سورة التوبة: 14].

6- ويكون الكفر بالطواغيت أيضاً ، باجتنابهم واعتزالهم وعدم مخالطتهم ..

قال تعالى : ﴿ **وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى فَبَشِّرْ عِبَادِ** ﴾ [سورة الزمر: 17] وقال تعالى : ﴿ **وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولا أَنْ اُعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ** ﴾ [سورة النحل: 36] وقال عن إبراهيم عليه السلام :﴿ **وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ** ﴾ [سورة مريم: 48] وقال تعالى : ﴿**فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلا جَعَلْنَا نَبِيًّا**﴾ [سورة مريم: 49]. فما وهبه الله إياه من النبيين الصالحين كان ببركة اعتزاله للطواغيت ومن يعبدونهم من دون الله .

7 – و يكون بالإغلاظ عليهم ..

قال تعالى : ﴿ **وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً** ﴾ [سورة التوبة: 123] وقال تعالى : ﴿ **مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ** ﴾ [سورة الفتح: 29].

8 – ومن لوازم الكفر بالطواغيت انتفاء موالاتهم أو موادتهم ، أو الركون إليهم ، أو التحالف معهم ..

قال تعالى : ﴿ **أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلا** ﴾ [سورة الكهف: 102].

فهذه الآية تبين أن اتخاذ عباد الله من دونه أولياء مستحيل إلا إذا آثروا الكفر وأن يكونوا غير مؤمنين ..

وقال تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ** ﴾ [سورة النساء: 144].

وقال تعالى : ﴿ **وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ** ﴾ [سورة المائدة: 51] وقال تعالى : ﴿ **لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ** ﴾ [سورة المجادلة: 22] وقال تعالى : ﴿**لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ**﴾ [سورة الممتحنة: 1] وقال تعالى : ﴿ **وَلا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لا تُنصَرُونَ** ﴾ [سورة هود: 113]. قالوا في الركون : هو الميل اليسير .

[1] **الدرر السنية: الجزء السابع : ص199.**

قال ابن عباس : "و لا تركنوا " قال : ولا تميلوا ."

وقال الثوري : " ومن لاق لهم دواة أو برا لهم قلماً ، أو ناولهم قرطاساً دخل في هذا ."

وقال ابن مسعود : ﴿**جاهد الكفار والمنافقين**﴾ [سورة التوبة: 73] ، قال : بيده فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه ، وليلقه بوجه مكفهر أي عابس متغير من الغيظ والبغض " [1].

هذه هي صفة الكفر بالطواغيت ، وهكذا يجب أن تكون ، أما أن يبسط لهم في الموالاة والتودد ، ويركن إليهم ، ويذود عنهم ، ويتوسع في التأويل لهم ، وينصرهم على من عاداهم من أهل التوحيد ، ثم هو بعد ذلك يحسب أنه يكفر بالطواغيت ، فهذا لا يكون مؤمناً بالله كافراً بالطاغوت .

والعجب أن أناسا محسوبين من زمرة العلماء في زماننا هذا يصورون – رهبة أو رغبة – الكفر بالطواغيت ومعاداتهم وبغضهم والخروج عليهم على أنه فتنة يجب اجتنابها ، ثم يتكلفون في ليّ النصوص الشرعية التي قيلت في المسلمين وأئمة المسلمين ليحملوها على طواغيت اجتمعت فيهم جميع خصال الكفر والنفاق !!

ولهؤلاء ومن لفّ لفهم نقول : ما من نبي إلا وقد ابتلاه الله تعالى بطاغوت بل طواغيت يقارعهم ويجاهدهم ويبطل شركهم وكفرهم ، ولتتمايز بجهادهم النفوس فيُعرف المجاهد الصابر من المنافق القاعد المتخاذل ، كما قال تعالى : ﴿ **وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ**﴾ [سورة محمد: 31] وقال تعالى : ﴿ **أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ**﴾ [سورة العنكبوت: 2]

فعلام أنتم – دعاة الاقتداء بالأنبياء ! – لا تريدون أن يكون لكم طواغيت تبتلون بهم ، وتظهرون الحق والتوحيد من خلال مقارعتهم ومجاهدتهم ..!!

فعلام تريدون أن تكونوا نشازاً عن الأنبياء وتابعيهم من علماء الأمة العاملين ، ليس لكم طواغيت تجاهدونهم وتبتلون بهم ، علماً أن الأرض تعج بآلاف الطواغيت التي تُعبد – جهاراً نهاراً – من دون الله تعالى؟!

فررتم من الفتنة بزعمكم ، ولكنكم قد وقعتم فيها ودخلتموها من أوسع أبوابها وأنتم تدرون أو لا تدرون .

﴿ **وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي وَلا تَفْتِنِّي أَلا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا** ﴾ [سورة التوبة: 49]

---

[1] **مجموعة التوحيد ، رسالة أوثق عرى الإيمان ، للشيخ سليمان آل الشيخ.**

صفة الكفر بالطاغوت
كما دلّت عليه الآيات من سورة الممتحنة

والآن تعالوا لنقف وقفة تدبر وتأمل لآية الممتحنة التي قرر فيها الحق سبحانه صفة الكفر بالطاغوت ، ملة التوحيد التي أرسل بها أنبياء الله على مر الزمان .

قال الحق سبحانه وتعالى :

﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ

إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ:

إِنَّا بُرَءَاؤُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ...

كَفَرْنَا بِكُمْ ...

وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا ...

حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ ... ﴾ الآية [سورة الممتحنة: 4] .

قوله تعالى :

﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ ..﴾

والأسوة المذكورة هنا هي أسوة الفرض لا أسوة الفضل لقرينتين :-

الأولى : في نفس السورة في خاتمة الآيات التي تتحدث عن ملة إبراهيم ، قال تعالى : **﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾** .

الثانية : قوله تعالى في سورة البقرة: **﴿ وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ﴾** [سورة البقرة: 130] وقوله تعالى في سورة النحل: **﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنْ الْمُشْرِكِينَ﴾** [سورة النحل: 123].

قوله تعالى : **﴿ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ ﴾** فإذا أمرهم الله تعالى أن يقولوا هذا لقومهم وفيهم الأب والأخ والابن والعشيرة ممن تربوا في وسطهم ، وتربطهم صلات الدم ووشائج الرحم ، فقولها للكافر الأبعد أوجب وأولى.

قوله تعالى : ﴿ **إِنَّا بُرَءَاؤُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ**﴾ ، قدّم الله سبحانه الأمر بالبراءة من المشركين العابدين على البراءة من الطواغيت المعبودين فقال ﴿ **مِنْكُمْ** ﴾ أنتم أيها المشركون أولا ، فالمرء قد يتبرأ من الطاغوت ولا يتبرأ من أتباعه وأنصاره فلا يكون ءاتياً بالواجب عليه حتى يتبرأ منهم جميعاً ، بل يتبرأ من الأعوان والأنصار قبل البراءة من الطاغوت ذاته كما نصت عليه الآية .

قوله تعالى : ﴿ **وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا** ﴾ ، قوله ﴿ **بَدَا** ﴾ أي ظهر وبان ، وتأمل تقديم العداوة على البغضاء لأن الأولى أهم من الثانية فإن الإنسان قد يبغض المشركين ولا يعاديهم فلا يكون ءاتيا بالواجب عليه حتى تحصل منه العداوة والبغضاء ، ولا بد أيضاً من أن تكون العداوة والبغضاء باديتين ظاهرتين بيّنتين ، واعلم أنه وإن كانت البغضاء متعلقة بالقلب فإنه لا تنفعه حتى تظهر آثارها وتتبين علاماتها ، ولا تكون كذلك حتى تقترن بالعداوة والمقاطعة فحينئذ تكون العداوة والبغضاء ظاهرتين .

ويظهر أن السياق يقتضي تقديم البغضاء على العداوة لأنها سابقة لها من حيث الوجود، فالعداوة وهي فعل الجوارح لا تنشأ إلا أن يسبقها بغضاء وهي فعل القلب ، وأفعال الجوارح مترتبة على عمل القلب ، إلا أن الله تعالى ولحكمة بالغة قدّم العداوة على البغضاء .

قال الشيخ إسحاق بن عبد الرحمن : " ولا يكفي بغضهم – أي الكفار – بالقلب، بل لا بد من إظهار العداوة والبغضاء – وذكر آية الممتحنة السابقة ثم قال : – فانظر إلى هذا البيان الذي ليس بعده بيان حيث قال تعالى : **﴿ بَدَا بَيْنَنَا ﴾** أي ظهر . هذا هو إظهار الدين ، فلا بد من التصريح بالعداوة ، وتكفيرهم جهاراً ، والمفارقة بالبدن.

ومعنى العداوة أن تكون في عدوة والضد في عدوة أخرى ، كما أن أصل البراءة المقاطعة بالقلب واللسان واليد . " اهـ.[1]

قال الشيخ سليمان بن سمحان عند آية الممتحنة السابقة : " فهذه هي ملة إبراهيم التي قال الله تعالى فيها : **﴿ وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ﴾** فعلى المسلم أن يعادي أعداء الله ويظهر عداوتهم ويتباعد عنهم كل التباعد ولا يواليهم ولا يعاشرهم ولا يخالطهم ." اهـ.[2]

---

[1] **الدرر السنية: الجزء السابع : جزء الجهاد ص 141.**

[2] **الدرر السنية: الجزء السابع: جزء الجهاد ص 221**

ويمكن إجمال صفة الكفر بالطاغوت في ثلاث صوركما دلت عليه الآيات من سورة الممتحنة:

1 – إعلان البراءة من المشركين والمرتدين وطواغيتهم .

قال تعالى : ﴿ **إِنَّا بُرَءَاؤُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ**﴾ .

2 – إعلان الكفر بهم وبطواغيتهم ومناهجهم وهيئاتهم وقوانينهم ودساتيرهم .

قال تعالى : ﴿ **كَفَرْنَا بِكُمْ ...**﴾

3 – إبداء العداوة والبغضاء لهم ولأحوالهم ولأوضاعهم الكفرية ، وجهادهم باليد واللسان ما أمكن .

قال تعالى : ﴿ **وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ** ﴾

شبهة والرد عليها

من ضلالات مشايخ الطواغيت وتلبيساتهم على الناس حصرهم لشهادة التوحيد في دائرة النطق أو القول ، حيث صوروا لهم أن من ينطق – مجرد النطق – بشهادة أن لا إله إلا الله ، هو كاف لدخوله الجنة والحكم عليه بالإيمان مهما كان منه من عمل !

و استشهدوا بحديث " **البطاقة** " الصحيح ،وبغيره من الأحاديث التي ظاهرها أن من قال لا إله إلا الله فهو مؤمن وهو من أهل الجنة ، فأخذوا هذه النصوص بمفردها وعزلوها عن بقية النصوص التي تفسر شهادة التوحيد وتبين المراد منها ، وصفة قائلها الذي يحكم له بالإيمان وبدخول الجنة !

وهذا ينتفي مع الأمانة العلمية التي تقتضي أخذ مجموع النصوص الشرعية ذات العلاقة بالمسألة المراد بحثها ، لذا فإننا نقول : عند الحديث عن شهادة التوحيد والوعد والوعيد لا بد من أخذ مجموع النصوص الشرعية ذات العلاقة بالموضوع ، المفصل منها والمجمل والتي يفسر بعضها بعضا ، فإن خير تفسير يوضح مراد الشارع هو تفسير النصوص الشرعية بعضها لبعض .

وإليك بيان ذلك :

فقد صح عن النبي ﷺ أنه قال : " **بني الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وحج البيت ، وصوم رمضان** "[1].

فينبري مشايخ الطواغيت فيقولون : هذا نص يفيد أن المرء إذا أقر بشهادة **أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله** فإنه قد وفى بالمطلوب وقام بالواجب ، وعليه نبني دعوتنا وقولنا ..!!

قلنا لهم : على رسلكم ما هكذا تبنى الأحكام ، تغمضون العين عن نصوص وتفتحونها على نصوص بحسب ما تهوى أنفسكم ، ففي هذه الحالة يتعين عليكم النظر في الأحاديث الأخرى التي تبين المراد من **شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله** .

فقد صح عن النبي ﷺ أنه قال : " **بني الإسلام على خمس : على أن يوحد الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصيام رمضان ، والحج** " [2].

فتأمل كيف استبدل شهادة التوحيد واستعاض عنها بعبارة " **على أن يوحد الله** " التي تعني شهادة أن لا إله إلا الله . والتوحيد المراد في هذا النص من مقتضياته إفراد الله تعالى بالعبادة والاتباع ، والكفر بكل مألوه ومعبود سواه ، وهذا يوضحه النص التالي :

قال رسول الله ﷺ : " **بني الإسلام على خمس : على أن يُعبد الله ويكفر بما دونه ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وحج البيت ، وصوم رمضان** "[3].

فانظر كيف فسر النبي ﷺ شهادة التوحيد الواردة في النص المشكل على مشايخ الطواغيت ، بان يوحد الله تعالى ، ثم بأن يعبد الله وحده ويكفر بالطاغوت وهو كل ما يعبد من دونه .

وعليه فإننا نقول : من شهد أن لا إله إلا الله على الوجه الذي فسره النبي ﷺ ، وهو إفراد الله بالعبادة والكفر بكل ما يعبد من دونه ، فإنه قد وفى بالمطلوب وقام بالواجب ، وشهادته بهذه الصورة تنفعه وتنجيه ، وما سوى ذلك فهو مردود على قائله – أيا كان – لا قيمة له ولا وزن لمخالفته لتفسير وقول النبي ﷺ .

وكذلك قوله ﷺ : " **من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله حرم الله عليه النار** " [4].

قالوا أيضا هذا دليل على أن من نطق بالشهادتين وصرح بهما فإن مصيره إلى الجنة ، وهو حرام على النار!!

[1] **متفق عليه.**

[2] **رواه مسلم.**

[3] **رواه مسلم .**

[4] **رواه مسلم.**

قلنا لهم : إن لا إله إلا الله قيدت واشترط لها شروط في نصوص وأحاديث أخرى لا بد من مراعاتها والأخذ بها والعمل بمضمونها ، وأن قائلها الذي يدخل الجنة لا بد له من أن يراعي في نفسه تلك القيود والشروط الزائدة عن الإقرار التي أطلقتها تلك النصوص .

منها ، قوله ﷺ : " **من قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه وحسابه على الله** " [1] فقيدت بشرط الكفر بالطاغوت .

ومنها ، قوله ﷺ : "**من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله دخل الجنة** "[2] . فقيدت بالعلم ومعرفة معناها ومتطلباتها..

ومنها قوله ﷺ : "**ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله صدقاً من قلبه إلا حرمه الله على النار** " [3].

وقال : " **أبشروا وبشروا من وراءكم ، أنه من شهد أن لا إله إلا الله صادقاً بها دخل الجنة** " [4]. فأضاف قيد الصدق والإخلاص المنافي للتكذيب والنفاق..

ومنها ، قوله ﷺ : " **أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله ، لا يلقى الله بهما عبد غير شاك فيهما إلا دخل الجنة** " [5].

فهذه القيود وغيرها التي أطلقتها النصوص الشرعية لا يمكن كتمانها أو تجاهلها عند الحديث عن لا إله إلا الله وصفة قائلها الذي ينتفع بها ..

ورحم الله سيد قطب إذ يقول : " ولكن المشقة الكبرى التي تواجه حركات الإسلام الحقيقية اليوم .. أنها تتمثل في وجود أقوام من الناس من سلالات المسلمين ، في أوطان كانت في يوم من الأيام داراً للإسلام ، يسيطر عليها دين الله ، وتحكم شريعته ، ثم إذا هذه الأرض ، وإذا هذه الأقوام تهجر الإسلام حقيقة ، وتعلنه اسماً، وإذا هي تتنكر لمقومات الإسلام اعتقاداً وواقعاً ، وإن ظنت أنها تدين بالإسلام اعتقاداً فالإسلام شهادة أن لا إله إلا الله تتمثل في الاعتقاد بأن الله وحده هو خالق هذا الكون المتصرف فيه ، وأن الله وحده هو الذي يتقدم إليه العباد بالشعائر التعبدية ونشاط الحياة كله ، وأن الله وحده الذي يتلقى منه العباد الشرائع ويخضعون لحكمه في شأن حياتهم كله .. وأيما فرد لم يشهد أن لا إله إلا الله بهذا المدلول فإنه لم يشهد ولم يدخل في الإسلام بعد كائناً ما كان اسمه ولقبه ونسبه ، وأيما أرض لم تتحقق فيها شهادة أن لا إله إلا الله بهذا المدلول فهي أرض لم تدن بدين الله ، ولم تدخل في الإسلام بعد..

---

[1] **رواه البخاري.**

[2] **رواه أحمد والطبراني، صحيح الجامع : 35.**

[3] **رواه مسلم.**

[4] **رواه البخاري.**

[5] **رواه مسلم.**

وفي الأرض اليوم أقوام من الناس أسماؤهم أسماء المسلمين ، وهم من سلالات المسلمين ، وفيها أوطان كانت في يوم من الأيام داراً للإسلام ... ولكن لا الأقوام اليوم تشهد أن لا إله إلا الله بذلك المدلول ، ولا الأوطان اليوم تدين لله بمقتضى هذا المدلول . وهذا أشق ما تواجهه حركات الإسلام الحقيقية في هذه الأوطان مع هؤلاء الأقوام .

أشق ما تعانيه هذه الحركات هو الغبش والغموض واللبس الذي أحاط بمدلول لا إله إلا الله ، ومدلول الإسلام في جانب ، وبمدلول الشرك ، وبمدلول الجاهلية في الجانب الآخر .

أشق ما تعانيه هذه الحركات هو عدم استبانة طريق المسلمين الصالحين ، وطريق المشركين ، واختلاط الشارات والعناوين ، والتباس الأسماء والصفات والتيه الذي لا تتحدد فيه مفارق الطريق !

ويعرف أعداء الحركات الإسلامية هذه الثغرة ، فيعكفون عليها توسيعاً وتمييعاً وتلبيساً وتخليطاً ، حتى يصبح الجهر بكلمة الفصل تهمة يؤخذ عليها بالنواصي والأقدام .. تهمة تكفير المسلمين ، ويصبح الحكم في أمر الإسلام والكفر مسألة المرجع فيها لعرف الناس واصطلاحاتهم ، لا إلى قول الله وإلى قول رسول الله ؟

إن الإسلام ليس بهذا التميع الذي يظنه المخدوعون ، إن الإسلام بيِّن ، الإسلام شهادة أن لا إله إلا الله بذلك المدلول ، فمن لم يشهدها على هذا النحو ، ومن لم يقمها في الحياة على هذا النحو ، فحكم الله ورسوله فيه أنه من الكافرين الظالمين الفاسقين المجرمين " اهـ. [1]

---

[1] في ظلال القرآن : 1106.

خاتمة

هذه كلمات نودعك بها أيها القارئ ، ونستودعها عندك أمانة ، فإنا – والله – لك ناصحون ، وبك مشفقون ، وعليك غيورون ، وإنا لنذكرك بكلمات قلناها لك في مقدمة هذا الكتاب وطياته :

اعلم أن أصل الأصول وغاية الغايات هو إفراد الله تعالى وحده بالعبادة في جميع مجالاتها وتفرعاتها والكفر بالطاغوت ...

لا يصح من دونه بناء ، ولا يُقبل عمل ، وهو أول ما يجب أن تنهض به نحو ربك ، وآخر ما تودع عليه الحياة ..

لأجله خلق الله الخلق ، وأرسل الرسل ، وأنزل الكتب ، وفطر السماوات والأرض ، وعليه يُعقد الولاء والبراء ، وفي سبيله يُشرع الجهاد والقتال وترخص الدماء ..

فيه منجاتك في الدنيا والآخرة ، وفيه عزتك وكرامتك وحريتك، فحذاري أن تفرط به فتركن إلى الطواغيت ، أو تُشغل عنه إلى ما هو دونه قبل أن تستوفيه حقه بحثاً وتعلماً وفهماً والتزاماً ..

ولا يغرنك اشتغال القوم بالفروع والفقهيات والرقائق وغير ذلك قبل التمكن من هذا الأصل العظيم ، فزهدهم بهذا العلم الجليل من تلبيسات إبليس عليهم ليسهل عليه جرهم إلى أعظم الظلم والذنوب وهو الإشراك بالله تعالى .

فكم من عالم اتسع صيته وكثرت شهاداته ، وطالت مسبحته تراه واقعاً في الشرك – وهو يدري أو لا يدري – ومقراً له ، ويدعو إليه ، ولا يلفت نظره واهتمامه تزاحم الطواغيت التي تستشرف خصائص الإلهية والربوبية ، هذا إذا لم يكن واقعاً في عبادتها والركون إليها..

كل ذلك بسبب غفلته عن التوحيد ومتطلباته .

فإن عبادة الطاغوت نتائجه وخيمة على جميع جوانب الحياة ، وتكاليفه باهظة ، تضحي في سبيله بالنفس والعرض والمال والولد ويريد منك المزيد ، إلى جانب الخسران الكبير في الآخرة ، حيث جهنم وبئس المصير .

قال تعالى : **﴿ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنْ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمْ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنْ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ﴾** [سورة البقرة: 257]، فهي ليست ظلمة واحدة بل ظلمات بعضها فوق بعض ، ظلمات الشرك ، وظلمات العبودية والخضوع للطواغيت ، وظلمات النفس وضيق الصدر ، وظلمات الحياة الضنك ، وفي الآخرة ظلمات جهنم وكرباتها ..

قال تعالى : **﴿ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُوْلَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾** [سورة المائدة: 60] وقال تعالى: **﴿ حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنْ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾** [سورة الحج: 31].

هذا جزاء من يشرك بالله تعالى أما من يوحد الله فيعبده ولا يُشرك به شيئاً فله البشرى في الحياة الدنيا والآخرة .

قال تعالى : **﴿ وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمْ الْبُشْرَى فَبَشِّرْ عِبَادِ ، الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمْ اللَّهُ وَأُوْلَئِكَ هُمْ أُوْلُوا الأَلْبَابِ﴾** [سورة الزمر: 17-18] وقال تعالى : **﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمْ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾** [سورة النور: 55].

فكل هذه المنح الربانية مقابل **﴿يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾**، فهل حققنا هذا الشرط في أنفسنا وفي أسرنا وفي حياتنا العامة ثم سألنا الله النصر والاستخلاف والتمكين وأن يبدل خوفنا أمنا..؟

وفي هذا تذكير وبيان لدعاة التغيير الذين ينشدون قيام خلافة راشدة في الأرض : إذا لم تحققوا هذا الشرط الهام في أنفسكم وفي جماعاتكم وفي حياة الناس العامة ، ولم تجعلوه همكم الأكبر وعلى رأس قائمة الأولويات التي يجب العمل لها .. فإن سعيكم لا طائل منه ولا فائدة ، وهو كالركض وراء سراب ، إلى جانب كونه مخالفاً لمنهج الأنبياء في الدعوة إلى الله .

أسأل الله تعالى القبول ، والعفو ، والثبات وحسن الختام ، وأن ينفعني وجميع العباد بهذا الكتاب ، إنه تعالى سميع قريب مجيب الدعاء .

وصلى الله على محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم.
وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المراجع

- **أحكام أهل الذمة** لابن قيم الجوزية.
- **أحكام القرآن** لمحمد بن عبد الله المعروف بابن العربي المالكي.
- **الإحكام شرح أصول الأحكام** لابن حزم .
- **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن** لمحمد أمين الشنقيطي.
- **إعلام الموقعين** لابن القيم .
- **الإفصاح عن معاني الصحاح** للعلامة الوزير أبو المظفر بن هبيرة.
- **الاعتصام** لأبي اسحق إبراهيم بن موسى الشاطبي.

- **اقتضاء الصراط المستقيم** لتقي الدين ابن تيمية.
- **بدائع التفسير** لابن القيم .
- **البداية والنهاية** للحافظ ابن كثير.
- **تاريخ الطبري** لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري.
- **تاريخ دمشق** لابن عساكر.
- **التبيان في أقسام القرآن** لابن القيم .
- **تفسير البيضاوي** للبيضاوي.
- **تفسير الداعية** لسيف الدين الموحد .
- **تفسير القرآن العظيم** للحافظ ابن كثير.
- **تفسير محاسن التأويل** لجمال الدين القاسمي .
- **جامع البيان في تفسير القرآن** لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري.
- **الجامع في طلب العلم الشريف** لعبد القادر بن عبد العزيز.
- **الجامع لأحكام القرآن** لمحمد بن أحمد الأنصاري القرطبي.
- **الخطط** للمقريزي.
- **الدرر السنية** لمجموعة من علماء نجد .
- **الدرر المنثورة** للسيوطي .
- **الدفاع عن أهل السنة والأتباع** لحمد بن عتيق .
- **الديمقراطية دين** لأبي محمد عاصم المقدسي .
- **رسالة تحكيم القوانين** للشيخ محمد بن إبراهيم.
- **زاد المسير** لابن الجوزي .
- **زاد المعاد** لشمس الدين أبي عبد الله المعروف بابن قيم الجوزية.
- **السنة** لابن أبي عاصم .
- **السنن الكبرى** للبيهقي .
- **شرح السنة** للالكائي .
- **الشفا بتعريف حقوق المصطفى** للقاضي عياض.
- **الصارم المسلول على شاتم الرسول** لتقي الدين ابن تيمية.
- **صحيح البخاري** لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري.
- **صحيح سنن ابن ماجة** .

- **صحيح مسلم بشرح النووي** للحافظ محيي الدين النووي .
- **صحيح مسلم** لأبي الحسين مسلم بن الحجاج.
- **الصلاة** للمروزي .
- **الطاغوت** لعبد المنعم مصطفى حليمة .
- **طريق الدعوة في ظلال القرآن** لأحمد فايز .
- **العبودية** لابن تيمية .
- **العلاقات السياسية الدولية** للدكتور إسماعيل صبري .
- **عمدة التفسير** لأحمد شاكر.
- **عون المعبود شرح سنن أبي داود** للعلامة أبي الطيب محمد شمس الحق آبادي.
- **الغياثي** للجويني .
- **فتح الباري بشرح صحيح البخاري** للحافظ ابن حجر العسقلاني.
- **فتح القدير** لمحمد بن علي بن محمد الشوكاني.
- **فتح المجيد شرح كتاب التوحيد** لعبد الرحمن بن حسن آل الشيخ.
- **الفروق** للقرافي .
- **الفصل في الملل والأهواء والنحل** لابن حزم الظاهري.
- **في ظلال القرآن** لسيد قطب .
- **القاموس الفقهي لغة واصطلاحا**.
- **قرة عيون الموحدين** لعبد الله بن عبد الرحمن أبي بطين.
- **الكامل** لابن الأثير.
- **لسان العرب** لابن منظور.
- **مجمع الزوائد** ابن حجر الهيثمي .
- **مجموع الفتاوى** لتقي الدين أبي العباس أحمد ابن تيمية .
- **مجموعة التوحيد، رسالة أوثق عرى الإيمان** لسليمان آل الشيخ.
- **مجموعة الرسائل والمسائل النجدية** لبعض علماء نجد الأعلام.
- **مدارج السالكين** لابن قيم الجوزية .
- **المستدرك** للحاكم .
- **مسند الإمام أحمد** للإمام أحمد بن حنبل .
- **مصنف ابن أبي شيبة** لابن أبي شيبه .

- **معالم التنزيل** لأبي محمد الحسين بن مسعود البغوي .
- **المعجم الكبير** للطبراني .
- **المغني** لابن قدامة .
- **المنافقون في القرآن** لعبد العزيز بن عبد الله الحميدي .
- **منهاج السنة النبوية** لابن تيمية .
- **الموافقات** لأبي إسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي.
- **نهاية المحتاج شرح المنهاج.**

المحتويات

